العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

شهر رجب
شهر شعبان
شهر رمضان
شهر شوال
شهر ذي القعدة
شهر ذي الحجة

Al-Sada

Cultural Quavterly Journal For Hegira Events

Issued by the al _abbas holey shrine Department of Intellectual and
Cultural Affairs Division of thought and creativity

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العلي العظيم
سورة الزلزلة: الآية/ ٧.

الإشـــــراف الـعـــام
الـسـيـد لـيـث الـمـوسـوي

السلامة الفكرية
السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التّحرير
صباح نعيم الصافي

مدير التّحرير
محمد الأسدي

هيأة التّحرير
رضوان عبد الهادي
حيدر فائق هادي
حيدر الدفاعي
محمد يوسف محمد صالح

المراجعة اللغوية
محمد رضا جاسم

المشاركون
الشيخ عبدالرزاق فرج الله الأسدي
الشيخ حيدر المؤيد
الأستاذ سعيد رشيد زميزم
الشيخ محمد المحفوظ

التصميم و الإخراج
وحدة التصميم

التنفيذ الطباعي
دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

.. للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث والمقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام.

ترسل المشاركات على العنوان الآتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الاسكان / خلف متنزه الحسين عليه السلام الكبير

التواصل مع المجلة :

alsadda@alkafeel.net
info@alkfeel.net

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية
٢١٩٤ لسنة ٢٠١٦م

في البدء

من فضل الله -تعالى- ورحمته أن جعل لعباده مواسم يستكثرون فيها من الخير والعمل الصالح، ومن أعظم هذه المواسم وأجلّها (شهر رجب، وشعبان، ورمضان، وشوال، وذو القعدة، وذو الحجة)، فهي شهور الضيافة الإلهية الكريمة، شهور مليئة بفرص الخير والسعادة والغفران.

وما يفترض أن يكون موضع اهتمامنا بصورة خاصّة تجاه عظمة هذه الشهور ومكانتها وما تحتويها من فرص الخير، هو أن يخاطب كلّ واحدٍ منّا نفسه فيقول: ما هو نصيبي من هذه الشهور المباركة؟ وما هو نصيب المؤمنين الصائمين من بركات هذه الشهور العظيمة؟

كما وينبغي أن يتساءل كلٌ منّا ويقول: هل سأحظى بغفران الله-تعالى- ورضاه، وهل سأكون من الفائزين بالدرجات الرفيعة في نهاية هذه الشهور، أم أنّني سأكون من الخاسرين الذين لا نصيب لهم من بركات هذه الشهور؛ لأنّهم ضيّعوا فرص الخير فجلبوا الحسرة والندم لأنفسهم، ومن الواضح أنَّ النَّدم لا يفيد، والحسرة لا تجدي بعد فوات الفرص!

فما علينا بالنسبة لهذه الشهور العظيمة هو بذل ما بوسعنا والاجتهاد بصورة جادَّة، لأن نكون ممّن يفوز بأكبر قدر ممكن من بركات شهور الرّحمة والغفران.

ولكي يكون نصيبنا من هذه الشهور وبركاتها وافرًا، فلا بُدَّ أن نعرف أوّلاً وبصورة واضحة ومحدّدة معنى الفوز الذي نتحدّث عنه، عندها سنعرف من هو الفائز حقًّا.

ولو تأمَّلنا في أدعية شهر رمضان المبارك لحصلنا على الإجابة الدّقيقة، كذلك لو تأمّلنا

في أدعية عيد الفطر، فقد ورد في الدّعاء في يوم الفطر: (**وَاجْعَلْ أَفْضَلَ جَائِزَتِكَ لِي الْيَوْمَ فَكَاكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، وَأَعْطِنِي مِنَ الْجَنَّةِ مَا أَنْتَ أَهْلُه**) بحار الأنوار، ج٨٨، ٢٦ص .

إذًا فلو أردنا تحديد الفائز بكلمة واحدة أمكننا أن نقول أنَّ المستفيد الحقيقيّ من بركات هذه الشهور هو الإنسان الحاصل على غفران الله -عَزَّ وجَلَّ-، القادر على تخليص نفسه من عذاب الله وسخطه، وهو الفائز بالجائزة الإلهية.

كما وأنَّ الخاسر الحقيقيّ هو المتقاعس عن الحصول على غفران الله-تعالى-.

فإذا علمنا بأنَّ نقطة الهدف هي الخلاص من النّار، فإنَّ نقطة الانطلاق سوف لا تكون إلَّا الورع عن محارم الله التي نهى عنها، والورع هو التقوى، والوصول إلى درجة المتّقين هو الغاية والحكمة من تشريع الصّيام، حيث قال -سبحانه وتعالى-: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

وإذا كان الإنسان محافظًا على عدم الخروج من دائرة الورع والتقوى، وملتزمًا بأوامر الله-تعالى- ونواهيه، عاملاً بما افترض الله-تعالى- عليه في هذه الشهور، فإنَّه سوف يفوز بغفران الله -تعالى-، وعندها يكون الإنسان فائزًا.

إنَّ هذه الشهور شهور تربية النّفس، وتعويدها على الأخلاق الحميدة، وتحمّل المسؤولية، وهي شهور مضاعفة العمل!!

نسأل الله-عَزَّ وجَلَّ- أن يكون نصيبنا من هذه الشهور نصيبًا وافرًا مباركًا، وأن يرزقنا مغفرته وجنَّته ورضوانه.

المحتوى

شهر رجب

الحركة العلمية للإمام الباقر عليه السلام ١١
التعامل مع المعوقات الإمام الهادي عليه السلام أنموذجاً ٢٣
السيدة زينب عليها السلام مظهرة الحقائق ٣٧
دور الإمام الكاظم عليه السلام في ردّ الإلحاد ٤٥

شهر شعبان

ما قاله مفكرو الديانة المسيحية في الإمام الحسين عليه السلام..... ٦٥
العباس عليه السلام بين الوراثة والبيئة. ٧٩
شذرات سجادية ٨٩
قبسات من حياةالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف..... ١٠١

شهر رمضان

الإعانة الإلهية للصائم تأمّلات في دعاء اليوم السابع من شهر رمضان ١١٧
صور التضحية ١٢٩
فن الاعتذار مبدأ في العلاقات الإنسانية ١٣٩
ملامح مسؤولية الحاكم عند الإمام علي عليه السلام ١٥٩

شهر شوال

البقيع ونزول النصر الإلهي ١٥٧
فريضة الخمس في زمن الغيبة عند الإمامين الصادقين عليهما السلام ١٨٣

شهر ذي القعدة

الإمام الرضا عليه السلام وتأكيد مبدأ حياة الإنسان بعقيدته ١٩٧

شهر ذي الحجة

الحج وعي ومقاصد ٢٠٩

الخاتمة

خطبة الغدير ٢٢٧

البيان
عليه السلام

شهـر رجب

- الحركة العلمية للإمام الباقر عليه السلام
- التعامل مع المعوقات الإمام الهادي عليه السلام أنموذجاً
- السيدة زينب عليها السلام مظهرة الحقائق
- دور الإمام الكاظم عليه السلام في ردّ الإلحاد

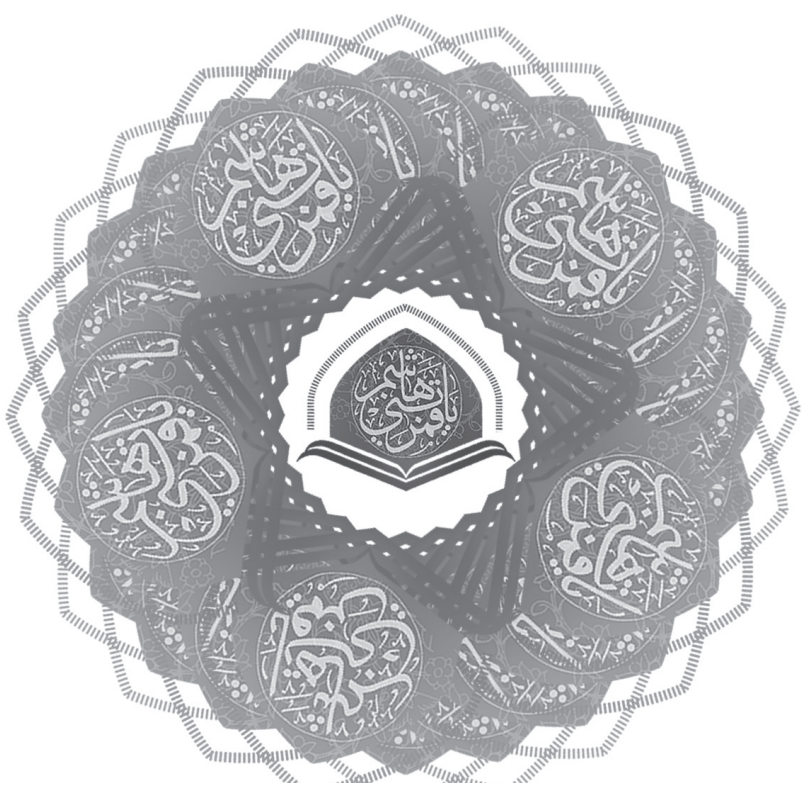

الحركة العلمية للإمام الباقر عليه السلام

الشيخ حيدر حسن الأسدي

إنَّ الظروف التي أتيحت للإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ساهمت بشكل كبير في نشرهما للعلوم ما ملأ الآفاق، وقد تصديا عليهما السلام للتيارات الضّالّة وأرباب الشبهات والبدع في عصرهما.

وفي الواقع التراث العلمي الموجود بين أيدينا اليوم أكثره من هذين الإمامين الهمامين عليهما السلام حتى بلغ الأمر أنّ عدد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام بلغوا عشرين ألفاً.

المناظرات

للإمام الباقر عليه السلام مناظرات علمية مع أهل الشبهات، ففي أحد الأيام سأل الأبرشُ الكلبي هشام بن الحكم قائلاً: من هذا الذي احتوشه أهل العراق ويسألونه؟.

قال: هذا نبي الكوفة، وهو يزعم أنّه ابن رسول الله، وباقر العلم، ومفسر القرآن، فاسأله مسألة لا يعرفها.

فأتاه وقال: يا بن علي، قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؟.

قال: نعم.

قال: فإنِّي سائلك عن مسائل.

قال: سل؛ فإن كنت مسترشداً فستنتفع بما تسأل عنه، وإن كنت متعنتاً فتضل بما تسأل عنه.

قال: كم الفترة التي كانت بين محمد صلى الله عليه وآله وعيسى عليه السلام؟.

قال عليه السلام:أمّا في قولنا فسبعمائة، وأمّا في قولك فستمائة سنة.

قال: فأخبرني عن قوله تعالى: [**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ**][1] ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل

(١) سورة إبراهيم: ٤٨.

بينهم يوم القيامة؟.

قال: يحشر الناس على مثل فرضة الأرض فيها أنهار متفجرة يأكلون حتى يفرغ من الحساب.

فقال هشام: قل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ!.

قال عليه السلام: هم في النار أشغل ولم يشغلوا عن أن قالوا: أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله.

قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: [**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا**](١) كان في أيّامه من يسأل عنه فيسألهم فأخبروه؟.

فأجاب عن ذلك مثل ما تقدم من فصل الميثاق من هذا الكتاب، قال: فنهض الأبرش وهو يقول: أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حقاً.

ثم صار إلى هشام فقال: دعونا منكم يا بني أمية فإنّ هذا أعلم أهل الأرض بما في السماء والأرض، فهذا ولد رسول الله صلى الله عليه وآله (٢).

المرجع للجميع

كان أرباب المخالفين ممّن طرحتهم السلطات كأئمّة مقابل الإمام الباقر عليه السلام عندما يحرجون أمام الناس يلجئون إلى الإمام عليه السلام. فقد نقل أنَّ ابن عمر سأل عن مسألة فلم يدر بما يجيب، فقال: اذهب إلى ذلك الغلام فاسأله، وأعلمني بما يجيبك، وأشار إلى محمد بن علي الباقر عليه السلام. فأتاه وسأله، فأجابه فرجع إلى ابن عمر فأخبره، فقال: إنَّهم أهل بيت مفهمون(٣).

بل كان العلماء من سائر الفرق يرجعون إلى تلامذة الإمام الباقر عليه السلام ويستفيدون من علومهم، دون أن يخبروا الناس بذلك. ففي الخبر أنّ امرأة أتت إلى محمد بن مسلم في منتصف الليل وقالت: لي بنت عروس ضربها الطلق، فما زالت تطلق حتى ماتت والولد يتحرك في بطنها ويذهب ويجيء، فما أصنع؟.

فقال: يا أمة الله، سُئل الباقر عليه السلام عن مثل ذلك فقال: يشقّ بطن الميّت ويستخرج الولد، افعلي مثل ذلك يا أمة الله

---

(١) سورة الزخرف: ٤٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٤ :ص١٩٨.

(٣) المصدر نفسه: ج٤: ص١٩٧.

أنا في ستر من وجّهكِ إليَّ.

قالت: سألت أبا حنيفة فقال: عليكِ بالثقفي، فإذا أفتاكِ فأعلمينيه.

فلما أصبح محمد بن مسلم ودخل المسجد رأى أبا حنيفة يسأل عن أصحابه، فتنحنح محمد بن مسلم، فقال: اللهم غفراً دعنا نعيش[١].

تربية الفقهاء والعلماء

قام الإمام الباقر ﷺ بتربية الفقهاء والعلماء، وذلك عندما فرجت الظروف نسبيًّا للإمام ﷺ، كان منهم:

*** أبان بن تغلب:**

وهو أبرز تلامذة الإمام الباقر ﷺ، وكان الإمام ﷺ يأمره بالفتوى. فقال له: (اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس؛ فإنِّي أحب أن يرى في شيعتي مثلك)[٢].

وكفاه فضلاً تصديق العامّة بفضله مع اعترافهم بتشيعه، قال الذهبي في ميزان الاعتدال عند ترجمته: (شيعي، جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه، وعليه بدعته)![٣].

وعن إبراهيم النخعي: (وكان أبان مقدماً في كلّ فنّ من العلوم: في القرآن والفقه والحديث والأدب واللغة والنحو، وله كتب منها: تفسير غريب القرآن، وكتاب الفضائل)[٤].

*** محمد بن مسلم:**

كان فقيهًا عالمًا ورعًا، وكفاه فضلاً قول الإمام الصادق ﷺ لعبد الله بن أبي يعفور الذي اشتكى للإمام ﷺ عدم القدرة على الوصول إليه في كلّ وقت مع سؤال الناس منه، فقال له ﷺ: فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي! فإنّه قد سمع من أبي وكان عنده وجيهًا[٥].

*** مؤمن الطّاق:**

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤ :ص٢٠٠.

(٢) رجال النجاشي: ص٠١

(٣) ميزان الاعتدال: ج١: ص٥.

(٤) رجال النجاشي: ص١١.

(٥) رجال الكشي: ص١٦١-١٦٢.

كان من فطاحل الشيعة وعلمائها المدافعين عن أهل البيت ﷺ بالبيان والحجة والمجادلة بالتي هي أحسن، وقد دفعه الأئمة ﷺ إلى مناظرة مخالفيهم وإفحامهم وردّ شبهاتهم.

فعن أبي خالد الكابلي، قال: رأيت أبا جعفر صاحب الطاق في الروضة وقد قطع أهل المدينة أزراره وهو دائب يجيبهم ويسألونه. فدنوت منه وقلت له: إنَّ أبا عبد الله نهانا عن الكلام.

فقال: لقد أمرك أن تقول لي؟.

فقال: لا والله ولكنه أمرني أن لا أكلّم أحداً.

قال: فاذهب وأطعه فيما أمرك.

قال الكابلي: فدخلت على أبي عبد الله الصادق ﷺ فأخبرته بقصّة صاحب الطاق وما قلت له وما أجابني به. فتبسّم أبو عبد الله ﷺ وقال:يا أبا خالد، إنّ صاحب الطاق يكلّم فيطير وينقض، وأنت إذا قصوك لن تطير[١].

وكان مؤمن الطاق متخصّصًا في المناظرة والمحاججة والنقض والإبرام على المخالفين، حتى أنّهم كانوا يتحاشونه لشدة محاججته، وقد سجل له كثير من المناظرات منها:

سأله أبو حنيفة قائلاً: ما تقول في المتعة، أ تزعم أنّها حلال؟.

قال: نعم.

قال: فما منعك أن تأمر نساءك أن يستمتعن ويكتسبن عليك؟.

فقال له أبو جعفر الطاق: ليس كل الصناعات يرغب فيها وإن كانت حلالاً، وللناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم. ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ أ تزعم أنه حلال؟.

قال: نعم.

قال: فما يمنعك أن تقعد نساءك في الحوانيت نباذات فيكسبن عليك؟.

فقال أبو حنيفة: واحدة بواحدة، وسهمك أنفذ...إلخ[٢].

---

(١) رجال الكشي: ص١٨٥-١٨٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٧ :ص٤١١.

وفي خبر آخر أنّ أبا حنيفة كان يتّهم مؤمن الطاق بالرجعة، وكان مؤمن الطاق يتّهم أبا حنيفة بالتناسخ. فخرج أبو حنيفة يوماً إلى السوق، فاستقبله مؤمن الطاق ومعه ثوب يريد بيعه.

فقال له أبو حنيفة: أ تبيع هذا الثوب إلى رجوع علي عليه السلام.

فقال: إن أعطيتني كفيلاً أن لا تمسخ قرداً بعتك.

فبهت أبو حنيفة[١].

ونقل أنّه لما استشهد الإمام الصادق عليه السلام كان مؤمن الطاق عند المهدي العباسي هو وأبو حنيفة.

فقال أبو حنيفة: قد مات إمامك.

فقال الطاقي: وإمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم[٢].

* جابر بن يزيد الجعفي:

وهو من خيرة صحابة الإمام الباقر عليه السلام، ومن أصحاب سره. ففي الخبر أنه قال: حدثني أبو جعفر عليه السلام بسبعين ألف حديث، لم أحدّث بها أحداً أبداً.

يقول: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: جُعلت فداك، إنَّك حملتني وقراً عظيماً بما حدثتني به من سرّكم الذي لا أحدث به أحداً، وربما جاش في صدري حتى يأخذني منه شبيه الجنون.

فقال الإمام عليه السلام: يا جابر، فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجبّان فاحفر حفيرة ودُلّ رأسك فيها، ثم قل: حدثني محمد بن علي كذا وكذا[٣].

وكان جابر إذا روى حديثاً عن الإمام الباقر عليه السلام يرويه بكلّ إجلال واحترام، فيقول: حدّثني وصيّ الأوصياء، ووليّ الأولياء، ووارث علم الأنبياء، محمد بن علي بن الحسين عليه السلام[٤].

وفي الخبر أنّه قال: خدمت سيدنا الإمام أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام ثماني عشرة سنة، فلما أردت الخروج ودّعته

---

(١) قاموس الرجال: ج٩: ص٣٨٢-٣٨٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٤: ص٢٧٧.

(٣) بحار الأنوار: ج٤٦: ص٣٤٠.

(٤) روضة الواعظين: ج١: ص٢٠٣.

وقلت له: أفدني.

فقال: بعد ثماني عشرة سنة يا جابر!.

قلت: نعم، إنّكم بحر لا ينزف ولا يبلغ قعره.

قال ﷺ: (يا جابر، بلّغ شيعتي عنّي السلام وأعلمهم أنّه لا قرابة بيننا وبين الله عزّ وجلّ، ولا يتقرب إليه إلاّ بالطاعة له.

يا جابر، من أطاع الله وأحبّنا فهو وليّنا، ومن عصى الله لم ينفعه حبّنا.

يا جابر، من هذا الذي يسأل الله فلم يعطه، أو توكل عليه فلم يكفه. أو وثق به فلم ينجه!.

يا جابر، أنزل الدنيا منك كمنزل نزلته تريد التحويل عنه، وهل الدنيا إلاّ دابة ركبتها في منامك فاستيقظت وأنت على فراشك غير راكب ولا آخذ بعنانها. أو كثوب لبسته أو كجارية وطئتها.

يا جابر، إنَّ الدنيا عند ذوي الألباب كفيء الظلال. لا إله إلّا الله إعزاز لأهل دعوته، الصلاة تثبيت الإخلاص وتنزيه عن الكبر، والزكاة تزيد في الرزق، والصيام والحج تسكين القلوب، والقصاص والحدود حقن الدماء، وحبنا أهل البيت ﷺ نظام الدين، وجعلنا الله وإياكم من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون)[1].

وقد أمره الإمام الباقر ﷺ بالتظاهر بالجنون؛ وذلك لما همّ الطاغوت بقتله فأمره ﷺ بذلك حفظاً له من القتل. يقول النعمان بن بشير: كنت مزاملاً لجابر بن يزيد الجعفي، فلمّا أن كنّا بالمدينة دخل على أبي جعفر ﷺ فودعه وخرج من عنده وهو مسرور، حتى وردنا الأخيرجة[2] أول منزل نعدل من فيد[3] إلى المدينة يوم جمعة فصلينا الزوال، فلمّا نهض بنا البعير إذا أنا برجل طوال آدم معه كتباً فناوله جابراً. فتناوله فقبّله ووضعه على عينيه، وإذا هو من محمد بن علي ﷺ إلى جابر بن يزيد وعليه طين أسود رطب. فقال له: متى عهدك بسيدي؟. فقال: الساعة. فقال له: قبل الصلاة أو بعد الصلاة؟.

فقال: بعد الصلاة. ففك الخاتم وأقبل يقرؤه ويقبض وجهه حتى أتى على آخره، ثم أمسك الكتاب فما رأيته ضاحكاً ولا مسروراً حتى وافى الكوفة. فلمّا وافينا الكوفة ليلاً بت ليلتي، فلما أصبحت أتيته إعظامًا له فوجدته قد

---

(١) الأمالي للطوسي: ص٢٩٦.

(٢) أخاريج وأخرجة، وهو اسم موضع بالمدينة.

(٣) قلعة في طريق مكة.

خرج عليَّ وفي عنقه كعاب قد علقها وقد ركب قصبة وهو يقول: أجد منصور بن جمهور أميراً غير مأمور، وأبياتاً من نحو هذا. فنظر في وجهي ونظرت في وجهه فلم يقل لي شيئاً ولم أقل له، وأقبلت أبكي لمّا رأيته واجتمع عليَّ وعليه الصبيان والناس. وجاء حتى دخل الرحبة وأقبل يدور مع الصبيان والناس يقولون: جنّ جابر بن يزيد جنّ. فو الله ما مضت الأيام حتى ورد كتاب هشام بن عبد الملك إلى وإليه أن انظر رجلاً يقال له: جابر بن يزيد الجعفي فاضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه. فالتفت إلى جلسائه فقال لهم: من جابر بن يزيد الجعفي؟.

قالوا: أصلحك الله، كان رجلاً له علم وفضل وحديث، وحج فجن وهو ذا في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم. قال: فأشرف عليه فإذا هو مع الصبيان يلعب على القصب. فقال: الحمد لله الذي عافاني من قتله. قال: ولم تمضِ الأيام حتى دخل منصور بن جمهور الكوفة وصنع ما كان يقول جابر[1].

دفع الشبهات:

إلى جانب تربية الإمام عليه السلام لتلامذته على المحاججة والمناظرة، كان هو عليه السلام بنفسه أيضاً يتصدّى للشبهات ويرد حجج المغرضين ممن يثيرون الشبهات في أذهان البسطاء من الناس.

ففي التاريخ أنَّ عبد الله بن نافع الأزرق كان يقول: لو عرفت أنّ أحداً بين قطريها تبلغني إليه الإبل يخصمني بأنّ عليّاً قتل أهل النهروان وهو غير ظالم لرحلتها إليه.

قيل له: ائت ولده محمد الباقر عليه السلام. فأتاه فسأله، فقال عليه السلام بعد كلام: الحمد لله الذي أكرمنا بنبوّته، واختصّنا بولايته. يا معشر أولاد المهاجرين والأنصار من كان عنده منقبة في أمير المؤمنين عليه السلام فليقم فليحدث. فقاموا ونشروا من مناقبه، فلمّا انتهوا إلى قوله: لأعطين الراية (الخبر)، سأله أبو جعفر عليه السلام عن صحّته؟.

فقال: هو حق لا شك فيه، ولكن عليًّا أحدث الكفر بعد!. فقال أبو جعفر عليه السلام: أخبرني عن الله أحبّ علي بن أبي طالب يوم أحبه، وهو يعلم أنّه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ إن قلت: لا، كفرت.

فقال: قد علم.

قال: فأحبّه على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته؟.

قال: على أن يعمل بطاعته.

---

(١) الكافي: ج١: ص٣٩٦-٣٩٧.

فقال أبو جعفر عليه السلام: قم مخصومًا. فقام وهو يقول: (**حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ**)[١]، الله يعلم حيث يجعل رسالاته[٢].

وقال عبد الله بن عطاء المكي: ما رأينا العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر عليه السلام يعني الباقر، ولقد رأيت الحكم بن عيينة مع جلالته وسنه عنده كأنّه صبي بين يدي معلم يتعلم منه[٣].

ضرب الدراهم

نقل الكسائي أنّه دخل على هارون ذات يوم، وهو في إيوانه وبين يديه مال كثير، قد شقّ عنه البدر[٤] شقّاً، فأمر هارون بتفريق ذلك المال الكثير في خدمة الخاصة.

قال: وكان بيده درهم تلوح كتابته، وهو يتأمّله، وكان كثيراً ما يحدثني. فقال: هل علمت أوّل من سنّ هذه الكتابة في الذهب والفضّة؟.

قلت: يا سيدي هو عبد الملك بن مروان.

قال: فما كان السبب في ذلك؟.

قلت: لا علم لي غير أنَّه أوّل من أحدث هذه الكتابة.

فقال هارون: سأخبرك.. كانت القراطيس للروم (القرطاس: برد مصري كانوا يحملون به الآنية والثياب).

قال: وكان أكثر من بمصر نصرانيًّا على دين ملك الروم، وكانت تلك القراطيس المصريّة تطرز بالرومية (الخط اللاتيني)، وكان طرازها: باسم (الأب والابن وروح القدس). فلم يزل كذلك صدر الإسلام كله يمضي على ما كان قبله حتى أيّام عبد الملك بن مروان فتنبه له وكان فطنًا.

فبينما هو ذات يوم إذ مرّ به قرطاس فنظر إلى طرازه، فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره وقال: ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام أن يكون طراز القراطيس وهي تحمل فيها الأواني والثياب وهما يعملان بمصر، وغير ذلك ممّا يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله، والبلد يخرج منه هذه القراطيس تدور في

---

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٤ :ص٢٠١.

(٣) المصدر نفسه: ج٤: ص٤٠٢.

(٤) البدر: جمع بدرة وهي القطعة من الذهب أو كمية عظيمة من المال، تقدر بعشرة آلاف درهم. وشق: أفرز.

الآفاق والبلاد وقد طرزت بهذا الطراز!.

فكتب عبد الملك إلى عامله على مصر عبد العزيز بن مروان يأمره بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك، وأن يأمر صناع القراطيس أن يطرزوها بصورة التوحيد: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وهذا طراز القراطيس خاصة إلى هذا الوقت (أيام هارون) لم ينقص ولم يزد ولم يتغيّر، وكتب إلى عمال الآفاق جميعاً بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منها بالضرب الوجيع والحبس الطويل.

فلما ثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد، وحمل إلى بلاد الروم ومنها انتشر الخبر ووصل إلى ملكهم، وترجم له ذلك الطراز الإسلامي أنكره الملك وغلظ عليه، واستشاط غيظاً. فكتب إلى عبد الملك: إنّ عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم، ولم يزل يطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، وإن كنت قد أصبت فقد أخطئوا. اختر من هاتين الحالتين أيهما شئت وأحببت، وقد بعثت إليك بهدية تشبه محلك، وأحببت أن تجعل رد ذلك الطراز إلى ما كان عليه في جميع ما كان يطرز من أصناف الأغلاق حاجة أشكرك عليها.

فلما قرأ عبد الملك كتابه ردّ الرسول وأعلمه أن لا جواب له ورد الهدية، فانصرف بها إلى صاحبه.

فلما وافاه، أضعف الهدية ورد الرسول إلى عبد الملك، وقال: إنِّي ظننت أنّك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبني عن كتابي فأضعفت الهدية، وإنِّي أرغب إليك إلى مثل ما رغبت فيه من رد الطراز إلى ما كان عليه أوّلاً.

فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه وردّ الهدية. فكتب إليه ملك الروم يقتضي أجوبة كتبه ويقول: إنَّك قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعفني بحاجتي، فتوهمتك أنّك استقللت الهدية فأضعفتها فجريت على سبيلك الأول، وقد أضعفتها ثالثة، وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه، أو لآمرن بنقش الدراهم والدنانير، فإنَّك تعلم أنّه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي، فينقش عليها شتم نبيك فإذا قرأته أرفض جبينك عرقاً، فأحب أن تقبل هديتي وترد الطّراز إلى ما كان عليه، ويكون فعل ذلك هدية تودني بها ونبقي على الحال بيني وبينك.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه الأمر وغلظ وضاقت به الأرض، وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام؛ لأنّي جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب، إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم. فجمع عبد الملك أهل الإسلام واستشارهم،

فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به. فقال له روح بن زنباع: إنَّك لتعلم المخرج من هذا الأمر، ولكنك تتعمد تركه. فقال: ويحك من؟!

فقال: عليك بالباقر من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

قال: صدقت، ولكنه ارتج عليّ الرأي فيه. فكتب إلى عامله بالمدينة: أن أشخص إليَّ محمد بن علي بن الحسين عليه السلام مكرماً، ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه، وبثلاثمائة ألف درهم لنفقته، وأرح عليه في جهازه من يخرج معه من أصحابه. وحبس رسول ملك الروم عنده إلى موافاة محمد بن علي عليه السلام، فلما وافاه أخبره الخبر.

قال الإمام الباقر عليه السلام: لا يعظم هذا عليك فإنّه ليس بشيء من جهتين:

إحداهما: إنَّ الله عزّ وجلّ لم يكن ليطلق ما تهدّد به صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وآله.

والأخرى: وجود الحيلة فيه.

فقال عبد الملك: وما هي؟.

قال الإمام عليه السلام: تدعو في هذه الساعة بصناع فيضربون بين يديك سككاً للدراهم والدنانير، وتجعل النقش عليها صورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله: أحدهما في وجه الدرهم والدينار، والآخر في الوجه الثاني. وتجعل مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه، والسنة التي يضرب فيها تلك الدراهم والدنانير، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهمًا عددًا من الأصناف الثلاثة التي تكون العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعاً إحدى وعشرين مثقالاً، فتجزئها من الثلاثين، كل عشرة وزن سبعة مثاقيل.

وتصب صنجات (قوالب) من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن الأجزاء العشرة التي تعادل سبعة مثاقيل، وتضرب الدنانير على وزن سبعة مثاقيل التي تعادل عشرة دراهم فتكون كل عشرة دراهم يعادل وزنها سبعة دنانير فيصير وزن كل درهم نصف مثقال وخمسه. ففعل ذلك عبد الملك. وأمره محمد بن علي الباقر عليه السلام أن تكتب السكك في جميع بلدان الإسلام، وأن تتقدم إلى الناس في التعامل بها وأن يتهدّد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير، وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى السكك الإسلامية.

ففعل ذلك عبد الملك، ورد رسول ملك الروم، وقال له: إنَّ الله عزّ وجلّ مانعك ممّا قد أردت أن تفعله، وقد تقدمت إلى عمالي في أقطار البلاد بكذا وكذا وبإبطال السكك والطّروز الرّومية.

فقيل لملك الروم: افعل ما كنت تهدد به ملك العرب. فقال: إنَّما أردت أن أغيظه بما كتبت إليه؛ لأنّي كنت قادراً عليه، فأمّا الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام. وامتنع من ذلك وثبت ما أشار به الإمام الباقر عليه السلام إلى اليوم (أيام هارون) ثم رمى هارون بالدرهم إلى بعض الخدم[1].

لقد نهض الإمام الباقر عليه السلام بأدوار عظيمة لولاها لاستطاع المنحرفون وذوي الأطماع أن يحرفوا الدين ويقدموا للناس ديناً قشريًا فقط بعيد كل البعد عن الدين الذي ارتضاه الله -سبحانه وتعالى-.

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري: ج١، ص٩٠-٩٢.

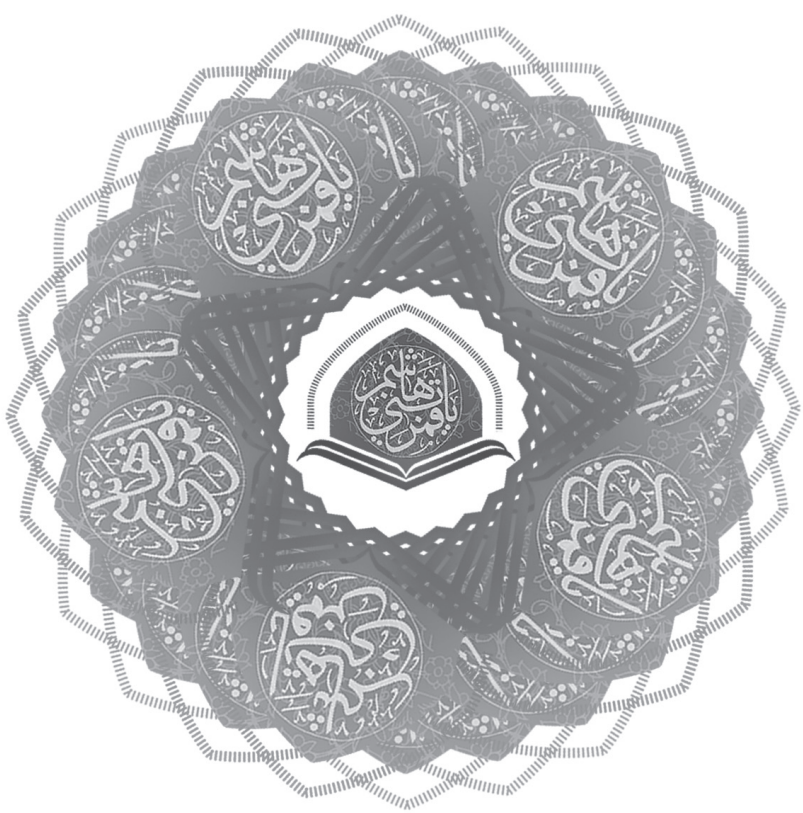

التعامل مع المعوقات
الإمام الهادي عليه السلام أنموذجاً

فاطمة كامل المسعودي

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، والحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على الرَّسول الأعظم محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

كلُّ عمل قد تواجهه بعض المعوقات؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- خلق الدنيا دار امتحان فهذا العالَم الدنيويّ لما فيه من النقص والقصور والضعف لا يكون دار كرامة، ولا محلًّا لثواب الحقّ -سبحانه-، ولا محلًّا لعذابه وعقابه؛ لأنّ دار كرامة الحقّ -عزّ وجلّ- عالَمٌ تكون نعمه خالصة وغير مشوبة بالنقم، وراحته غير مخلوطة بالشقاء والتعب، ومثل هذه النعم غير متوفّرة في هذا العالَم الدنيويّ؛ لأنّه دار التزاحم والصراع والمعوقات. فإذا كانت الأمور في كلِّ شيء على حسب رغبة الإنسان فهذه ليست دنيا، فالرّاحة التامة المطلقة جعلها الله -سبحانه وتعالى- في الجنة، ولذلك أيّ شيء من الأشياء وأي عمل من الأعمال، لا يخلو في الغالب من معوقات، وليس المهم أن يكون هناك عمل من غير معوق، وإنَّما المهم كيفية التعامل مع هذه المعوقات، فلا يمكن لأحد أن يتصوّر شيئًا بدون مشاكل، وإنَّما المهم كيفيّة التعامل مع هذه المشاكل.

في القرآن الكريم وفي الروايات الشريفة لدينا تأكيد كبير على الصبر، قال الله -تعالى-: **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)**[1].

ومنه قوله-تعالى-: **(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ)**[2].

والصبر هو عدم الانهيار أمام المشكلات، فالإنسان قد يصاب بمصيبة من غير اختياره مثل موت أبيه، أو حدوث مشاكل اقتصادية، أو فقد شخصٍ عزيزٍ، أو حدوث مصائب كثيرة من غير اختيار فهنا يلزم الصّبر أمام هذه

(١) سورة البقرة/ الآيات:١٥٥- ١٥٧.

(٢) سورة الكهف/ الآية:٢٨.

الصعوبات، وأحيانًا قد يواجه طاعة يصعب الإتيان بها، وهنا على الإنسان أن يصبر على هذه الطاعة الصّعبة، كذلك يمكن أن تواجه الشخص شهوة ملحّة لكن من غير الحلال، وهنا يتوجّب الصبر على تلك الشهوات، لذلك نجد الروايات الشريفة تتحدّث عن عدة أنواع من الصبر؛ فمنها الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على المصيبة.

فالقرآن الكريم أعطى عناية بالغة بالصّبر، لما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة، بل هو ضرورة لازمة للإنسان؛ ليرقى ماديًّا ومعنويًّا، ويسعد فرديًّا واجتماعيًّا، فلا ينتصر دين، ولا تنهض دنيا إلَّا بالصبر، ولا تحل مشكلة إلَّا بالصبر.

إنَّ المعوقات ليس دائمًا تعني المشاكل والمحن والصعوبات، وإنَّما أحيانًا دنيا يملكها، فهل يرغب فيها، ويتمسّك بها، أم يزهد فيها زهدًا لا يرتبط ولا يرتكز على قاعدة شرعية، فالزهد كما ورد في القرآن الكريم وأحاديث المعصومين-صلوات الله عليهم- بصورة واضحة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «الزهد بين كلمتين من القرآن، قال الله-تعالى-: **(لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا اتَاكُم)** ومن لم يأسَ على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد استكمل الزّهد بطرفيه»[1]. وهذه الرواية تشرح أمرين:

أوّلاً: ليس الزهد أن لا تحصل على شيء أو أن ترفض نعم الدنيا وتبتعد عنها وتعيش حياة الفقراء والمساكين، فالآية الكريمة تقول ﴿**وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتاكم**﴾[2] فالله -تعالى- ينعم على الإنسان المؤمن وسيستفيد هذا المؤمن من النعمة «آتاكم» ولم يطلب الله -تعالى- من الزّاهد أن يرفض النّعم، وهذا واضح من شرح أمير المؤمنين عليه السلام فهو عليه السلام يؤكِّد أنَّ النعم سيحصل عليها الزاهد أيضاً «لم يفرح بالآتي». وهذا ما تشير له العديد من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله عز وجل»[3].

ثانيًا: الزّهد هو صفة راسخة في نفس الإنسان تكون نتيجتها أمرين: لا يفرح بالدنيا المقبلة ولا يحزن على الدّنيا المدبرة؛ ليصل إلى مرحلة لو أصاب فيها حظًّا وافرًا لم يفرح فرح المنتصرين، ولو أصيب بمصيبة لم يجزع جزع الحريصين. فالزّاهد هو الذي يستفيد من الدنيا دون أن يكون أسيرًا لها.

أمير المؤمنين عليه السلام ما كان فقيرًا، بل كان من أثرى الأثرياء لكن كان زاهدًا، راغبًا عن تلك الأموال، فينفقها في

(١) بحار الأنوار / ج ٦٧ / ص٣١٧.

(٢) سورة الحديد/ الآية:٢٣.

(٣) وسائل الشيعة / ج ١٦ / ص ١٥.

سبيل الله -سبحانه وتعالى-.

فالرغبة في الدنيا معوق من المعوقات، وكذلك الزّهد الذي لا يبتني على أسس وفهم صحيح معوق أيضًا.

محل الابتلاء

هناك ثلاث نقاط يكثر ابتلاؤنا بها، وحسن التعامل معها ينتج نتيجة باهرة، وسوء التعامل يضر ضرراً كبيراً وبالغًا:

أوّلاً: تضخيم الأمور التّافهة: فلن يزيدك إلا تعبًا ومشقَّة، أعط كُلّ شيء قدره المناسب فإن أعطيته أكبر من حجمه صعب عليك التعامل معه.

لكن المشكلة أنَّ بعض الناس يصرفون أوقاتهم وأعصابهم وجهدهم في الأمور التافهة، وبالتالي ينحرف عن مسيره الأصلي، بسبب الدخول في النزاعات الاجتماعية والأسرية والعشائرية الناشئة من أسباب تافهة، ولكن تضخمت بسبب إعطائها أكثر من قيمتها، لذلك ينبغي لنا أن لا ننشغل بالأمور التافهة حتى لو كان الحق معك.

فمثلاً لو كان حقّك بأنَّك دائن لشخص مبلغ ١٠٠٠٠٠ مائة ألف دينار، ولم يعطكَ حقّك ولم يسدّدك المبلغ فمن الخطأ صرف الوقت والأعصاب، والذهاب للمحكمة ورفع دعوى ضدّه، قال الإمام علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه -: «من عظَّم صغائرَ المصائب، ابتلاه الله بكبارها»[1].

لذلك إذا حدثت لك مشكلةٌ، فأهمَّتْك وكدَّرت عليك نومَك، فقد أعطيتَها أكبرَ من حجمها الذي تستحق، وبذلك سوف تكونُ فاتورةُ السداد مرتفعةً جدًّا؛ إذ إنَّها سوف تكونُ على حساب راحة بالك، وسُبات جسدك، ولذّة طعامك، وعلاقتك بمن حولك، وخصوصًا أسرتَك.

كثيرون عكسوا الأمر، فما من مشكلةٍ إلا وينظرون إليها بمرآةٍ مُقعّرة تكبرها وتقربُها؛ فيصبح خائفًا مكتوف الأيدي أمام طوفانٍ سوف يغمُره ويبتلعُه.

إذا صادفتْك مشكلةٌ، فاجعل علاجها ما يلي:

أوّلاً: اجلس مع نفسك جلسةً هادئةً، تنظُر بعين التأمّل والتفكير.

ثانيًا: اكتُب هذه الأسئلة الآتية في ورقةٍ، وضعْها أمامها، ولا بد من كتابتها، ولا يكفي أن تجعلها في عقلك:

(١)شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٢٠ - ص ٩٨ .

السّؤال الأوّل: ما الذي أنا قلقٌ بسببه؟

السّؤال الثّاني: ما هو أسوأُ ما يُمكن أن يترتّب على هذه المشكلة، إذا لم أجد الحل المناسب؟

السّؤال الثّالث: ما هي الحلولُ التي يُمكن أن تعالج هذه المشكلة؟

السّؤال الرّابع: ما هو الأنسبُ من هذه الحلول؟

وابدأ أنتَ بالإجابة عن السّؤال الأوّل، واكتب سببَ القلق الذي أهمَّك.

ثم اكتب أسوأ ما يُمكن أن يترتّب على تلك المشكلة؛ إذ إنَّ كثيرًا من المشاكل يترتب على عدم حلّها أمورٌ تافهةٌ لا تستحق حتى صداعَ رأس، فضلاً أن يغتم يومَه ذلك، أو يجعل نفسه في كربةٍ وبلاءٍ.

ثم اكتب كل حلٍّ يُمكن أن يكون لتلك المشكلة، ولو أن تكون تلك الحلولُ ليست وليدةَ اللحظة، بل كلّما جال في فكرك حلٌّ فاكتبه، ولا تؤجّل كتابته.

بعد ذلك سوف ترى أمامك عدّة حلولٍ، اختر ما هو أنسبُها في نظرك، وممكنٌ أن تزاوج بين حَلّين أو ثلاثةٍ، ثم اختر الحلّ المناسب.

بهذه الطريقة سوف يتّضح لك أنَّ كثيرًا من مشاكلنا ما هي إلا كالبالون الكبير، نحن من جعلناه يكبرُنا بكثيرٍ، ونخشى أن يسقط علينا، في حين أنّه لا يحتاج إلى ذلك الخوف، ولا يحتاجُ لإعادته إلى حجمه الطبيعي صغيرًا تحت أقدامنا إلَّا إلى وخزةِ دبوسٍ واحدة.

إنَّ تضخيم الأمور التّافهة يؤدّي بها كثيراً إلى أن توضع تحت ضغط نفسيّ رهيب بسبب هذا التّضخم الذي لا واقع ولا أساس له، فيوضع الإنسان تحت موقفٍ نفسيٍّ لا يحسد عليه ولا يدري بمدى الضغط الذى يطاله بسبب ذلك، وهو كلّه بسبب التّوهم الشَّديد الذي عاش فيه الإنسان فهو يشعر أنَّه إنسان شديد الضّعف أمام هذه المشكلة الكبرى بل ويعتاد الإنسان على هذا الأمر ويظل يضخّم في كلّ شيء في الحياة ممّا يؤرقه كثيرًا في حياته ويعرقله في كلّ شيء بعد ذلك، ويعرقل تعاملاته مع الناس أيضًا.

لذا على الإنسان تجنّب تضخيم الأمور وينظر إليها بشكلٍ مجرّد وفي حجمها الطبيعي، ولا يضغط على نفسه.

ثانياً: العواطف:

فهي عادة لا تركن للاستدلال والبرهنة وإنَّما هي عبارة عن العشق والاندفاع والثورة، فحب العــاشق ووله

لا يستند الى الاستدلال العلمي والمحاسبة المنطقية، إنّه لم يعشق على طبق معادلات رياضـية، والحديث مـعه عن العلم والمنطق الدليل خطأ فضيع، فهو لا يفهم دليلاً، ولا يدرك عقلاً.

إنَّ السير خلف العاطفة بدون الاستدلال بالعقل والشرع من أكبر المعوقات فعندما تتغلب العاطفة على العقل؛ تضيع الشريعة ويُتحاكم إلى غير ما أنزل الله-تعالى-، فتصبح الخرافات ديناً، وتقوم النفس مقام العقل، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم، والرياء مقام الإخلاص، والباطل مقام الحق، والظلم مقام العدل، وعندما تتغلب العاطفة على العقل تتغير المفاهيم، وتنقلب الموازين، يكون المقياس للأكثرية، والحق مع الغالبية، ولا يصبح للوقت قيمة، وتضعف الهمم، ويقل العمل، وتزداد الفتن، ويكثر والتفرق والتشرذم، ويزداد التشبث بالماديات والحرص على الحياة.

ولذلك علاج كبح العاطفة الالتزام بالشرع المقدّس والسّماع للعقل، فالعقل يعتبر كالقاضي العادل وعالم جالس في غرفة مغلقة ومحيط هادئ يطـالع الأضابـير بدقّة عالية، ويقيس جميع جوانب القضية ثم يصدر الحكم على أساس الاستدلال المنـطقي والبرهنة الدقيقة.

آثار اتّباع هوى النفس

أ- عدم الإيمان بالآخرة: اتّباع الهوى يمكن أن يحول بين الإنسان والإيمان الصحيح بالآخرة: **(إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى)**[١].

ب- الضلال: فهو يخرج الإنسان عن طريق الله -تعالى-**(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**[٢].

ج- غياب الإنصاف: اتّباع الهوى مانعٌ من العدل والإنصاف **(فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا)**[٣].

د- التأثير على السنن الكونية: إنّ نظام السماء والأرض خاضعٌ لإرادةٍ حكيمة وعادلة، فلو دار حول محور أهواء الناس وشهواتهم لعمّ الفساد كلّ ساحة الوجود: **(وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ)**[٤].

---

(١) سورة طه/ الآية: ١٦.

(٢) سورة القصص/ الاية: ٠٥.

(٣) سورة النساء/ الاية: ٥٣١

(٤) سورة المؤمنون/ الاية: ١٧

هـ – فساد العقل: اتّباع الهوى يفسد العقل ويضعفه ويمنعه من التمييز بين الحق والباطل: عن الإمام علي ﷺ، قال: «طاعة الهوى تفسد العقل»، وفي حديثٍ آخر عنه، قال: «الهوى عدوّ العقل»[١].

ز– التلوّث بالكبائر: إنّ الإفراط في طلب اللذّة وعبادة الهوى يسوق الإنسان نحو منزلقات الإثم وارتكاب الذنوب، كما حدث مع بني إسرائيل: **(لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ)**.[٢]

من منابع العلاج

إن التذكير بالموت وما يصار إليه الإنسان لهو خير طريق للخلاص من ضغط العاطفة والانتباه من سكرات الغفلة، لذلك يروى أنّه أنشد الإمام الهادي ﷺ، يخاطب به المتوكل العباسي:

باتُوا عَلى قُلَلِ الأَجبال تَحرُسُهُم ... غُـلبُ الرِّجالِ فَلَم تَنفعهُم القُلَلُ

وَاستُنزلوُا بَعدَ عِزٍّ عَن مَعاقِلِهِم ... وَأسـكِنُوا حُفَراً يا بِئسَ ما نَزَلوُا

ناداهـُمُ صارخٌ مِن بَعدِ دَفنِهِمُ ... أَيـنَ الأَساوِرُ وَالتّيجانُ وَالحُلَلُ

أَيـنَ الوُجوهُ الَّتي كانَت مُنَعَّمَةً ... مِـن دُونِها تُضرَبُ الأَستارُ وَالكلَلُ

فَأَفصَحَ القَبرُ عَنهُم حينَ ساءَلُهُم ... تِلـكَ الوُجوهُ عَلَيها الدّوُدُ يَقتَتِلُ

قَد طالَمَا أَكَلوُا دَهراً وَقَد شَرِبُوا ... فَأَصبَحُوا اليَومَ بَعدَ الأَكلِ قَد أُكِلُوا

وَطـالَمَا عَمَّروُا دوُراً لِتُسكِنَهُم ... فَـفارَقُوا الدّوُرَ وَالأَهلينَ وَانتَقَلوُا

وَطالَمَا كَنَّزوُا الأَموالَ وَادَّخَروُا ... فَفَرَّقُوها عَلَى الأَعداءِ وَارتَحَلوُا[٣].

ثالثًا: الاختلاف السلبي

الاختلاف لغة: ضدُّ (الاتفاق)، ومعناه فك الارتباط، وجعل الشَّيء في الخلف أي وراء الظهر، مما يؤدّي إلى حالة التَّقابل من ناحية، والتَّدابر من ناحية أخرى.

---

(١) التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق وتصحيح مصطفى درايتي، إيران، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٧ هـ، ط ١، ص ٦٤.

(٢) سورة المائدة/ الاية: ٠٧

(٣) أعيان الشيعة/ ج٢/ ص٣٨.

والاختلاف والمخالفة، أن يأخذ كلُّ واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد؛ لأنَّ كلَّ ضدّين مختلفان، وليس كلُّ مختلفين ضدّين، ولما كان الاختلاف بين النَّاس في القول قد يقتضي التَّنازع أستعير ذلك للمنازعة، والمجادلة [١].

أقسام الاختلاف

الاختلاف في الرَّأي ينقسم على ثلاثة أقسام، وهذه الأقسام الثَّلاثة التي سنذكرها لا تحتاج أبداً إلى العنف، والخشونة، وتعالي الأصوات.

القسم الأوّل: الاختلاف في الاجتهاد، فمثلاً هناك مجتهد رأيه الاجتهادي هو أنَّ الكرَّ يساوي (٣٦ شبراً مكعباً)، بينما هناك مجتهد آخر رأيه أنَّ الكرَّ (٢٧شبرًا مكعباً)، وفي الوقت نفسه هناك مجتهد يرى أنَّ الكرَّ هو ما وصل إلى (٤٣شبرًا مكعباً)، والحال أنَّ هؤلاء الفقهاء قد يكونوا من الذين قد درسوا معًا، وعاشوا في مكان واحد أيضًا، ولكن مع ذلك كانت اجتهاداتهم مختلفة، وهذا أمر طبيعيّ.

القسم الثاني: الاختلاف في المصالح، هناك اختلاف يحدث أحيانًا نتيجة لمصالح الحياة المتباينة فمثلاً الأطباء عادة يداوون مرضاهم في بيوتهم، وقد يتضايق الطَّبيب وعائلته حينما يأتي المريض ليلًا يتأوّه من الألم، ويبكي فيؤدّي ذلك إلى انزعاجهم، وسلب راحتهم فيحصل تعارض بين المصالح. مصلحة الطَّبيب التي هي راحته، وراحة عائلته، ومصلحة المريض الذي يريد التَّداوي ورفع الآلام. هذه الاختلافات هي من مصالح الحياة الشَّخصية، وهي اختلافات طبيعية، ومشروعة.

القسم الثالث: **اختلاف العالم والجاهل**، غالباً ما نرى الاختلاف قائماً بين العالم والجاهل في كثير من جوانب الحياة، ومتعلقاتهم الشخصية سواء كانت فيما يتعلق بوجهات النَّظر أو فيما يتعلق بالمأكل، والملبس... فالعالم آراؤه سديدة وبنّاءة، وكذلك كلُّ ما يتعلق بها من أمور، ويتصرَّف وفق القوانين، والموازين السَّليمة على العكس من الجاهل تكون تصرفاته طائشة متهوّرة، فالعالم تبرز رؤيته، وتحليله للحياة بأسلوب يختلف عن الرؤيا والتَّحليل الذي يتبعه الجاهل تمامًا، ومما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الجاهل يستوحش عما يأنس به الحكيم» [٢].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن/ ص٢٩٤/ مادة (خلف).

(٢) غرر الحكم ودرر الكلام/ ١١٩.

الاختلاف السَّلبي والإيجابي

الاختلاف ليس حالة سلبية دائمًا وإنَّما قد تكون حالة إيجابية محفزة نحو اختيار السَّبيل الأمثل، والاستفادة من وجهات النَّظر المختلفة، فالاختلاف حالة طبيعية في حياة الإنسان وخصوصًا في الرَّأي، وهذه سنة الله -تعالى- في الكون، قال -تعالى-:

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) (١).

ولكن نتيجة لقلة الوعي، وضيق الصَّدر يصبح هذا الاختلاف سببًا للتَّصارع، والتَّصادم بين النَّاس فيصبح الإنسان نتيجة لذلك عنيفًا في تصرّفاته، وسلوكه الخارجي، بل حتَّى مع نفسه، ويبني أغلب أموره وعلاقاته على أساس العنف، والخشونة، وعدم إبداء المرونة في تقبل الرَّأي المخالف لرأيه، وهذا هو الاختلاف السَّلبي. إذاً الاختلاف على قسمين: سلبي إذا كان يؤدّي إلى صراع وتقاتل، وإيجابي إذا أدَّى إلى التَّنافس الشَّريف المبني على أساس القواعد السَّليمة.

ومما لا شك فيه أنَّ الاختلاف السَّلبي غير المستند إلى الأدلة العلمية، والحجج الشَّرعية له آثار سيئة على المجتمع بل إنَّ دمار المجتمع أساسه الاختلاف.

معاناة الإمام الهادي عليه السلام

لقد تسلّم الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام شؤون الإمامة عام ٢٢٠ للهجرة حيث كان عمره حوالي ست سنوات. وقد مارس عليه السلام دوره التوجيهي كواحد من أئمة الهدى ومصابيح الدجى وفي طليعة أهل العلم للتوجيه السياسي ومصدراً لقلق السلطة العباسية وقتذاك.

فكان الإمام الهادي عليه السلام خير أهل الأرض وأفضل من برأه الله تعالى في عصره، ولذلك تسالم علماء عصره والفقهاء على الرجوع الى رأيه في المسائل المعقّدة والغامضة من أحكام الشريعة الإسلامية.

فقد جعل عليه السلام من مدرسته الفكرية في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة محجّة للعلماء وقبلة يتوجه إليها طلاب العلم والمعرفة في ذلك الزمان حيث نقلت عن لسانه الشريف الكثير من الآراء الفقهية والعقائدية والكلامية والفلسفية من خلال أسئلة أصحابه والمناظرات التي كان يجيب فيها عن تساؤلات المشكّكين والملحدين بالحجة والمنطق، وبذلك احتل مكانة محترمة في قلوب الناس مما أزعج السلطة العباسية أن يكون للإمام عليه السلام هذا الدور

(١) سورة الروم/ الآية: ٢٢.

والموقع والتأثير، فأحاطوه بالرقابة وعناصر التجسس لمعرفة أخباره ومتابعة تحركاته.

فرغم أنَّ الدولة العباسية شهدت آنذاك نوعًا من الضعف والوهن السياسي والإداري وتسلّط الأتراك وتحكّم الوزراء وضعف شخصية الخلفاء طيلة عهود المعتصم والواثق العباسيين مما سمح للإمام الهادي ﷺ أن يتحرك بشكلٍ واسعٍ في ظل المناخ الفكري الخصب، ولكن الأمور تغيّرت في عهد المتوكّل العباسي الذي كان يحقد حقدًا شديدًا على أهل البيت ﷺ، حيث سعى وبكلّ الوسائل من التّعرض لسمعة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ والاستهانة به. كما قام بفعلته الشنيعة بحق الحائر الحسيني المقدّس فأمر بهدمه والتنكيل بزوّاره.

وقد عانى العلويون في زمانه شتى ألوان الأذى والاضطهاد، وفيما كان الإمام الهادي ﷺ يحمل الرمز الهاشمي العلوي ويمثّل محورًا دينيًّا مهمًا في البلاد الإسلامية آنذاك لذا عهد المتوكل العبّاسي على أمر المدينة المنورة لأحد أشدّ أعوانه وأخبثهم وهو عبد الله بن محمد فكان يتحيّن الفرص للإساءة الى الإمام ﷺ، ويعمل على أذيّته، ويرسل التقارير والوشايات للإيقاع به، فكانت تصل إلى المتوكل أخبار مشحونة بالتفاف الجماهير حول الإمام الهادي ﷺ، وورود الأموال الطّائلة إليه من مختلف أقطار العالم الإسلامي وهو ما ينذر بخطر كبير على الدولة العباسية الحاقدة، وإتمامًا لهذه المؤامرة المدبّرة يرسل المتوكّل إلى المدينة أحد أعوانه يحيى بن هرثمة بهدف إحضار الإمام الهادي ﷺ إلى سامراء والتحرّي عن صحّة نيّة الإمام ﷺ مناهضة السلطة. واستهدف المتوكل من هذا الإجراء:

أوّلاً: فصل الإمام الهادي ﷺ عن قاعدته الشعبية الواسعة والموالية في مدينة الرسول ﷺ وسائر البلاد الإسلامية. الأمر الذي كان يقلق السلطة لذلك عندما يصل يحيى بن هرثمة إلى المدينة يقول: (فلما دخلتها ضجّ أهلها وعجّوا عجيجًا ما سمعت مثله، فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أنّي لم أؤمر فيه بمكروه)[1].

ثانياً: إدانة الإمام ﷺ مباشرة. ولذلك قام بن هرثمة بتفتيش دار الإمام ﷺ تفتيشاً دقيقاً فلم يجد شيئاً سوى المصاحف وكتب الأدعية.

ثالثاً: وضع الإمام ﷺ تحت المراقبة المباشرة. حيث أكره على مغادرة المدينة المنورة والحضور إلى سامراء بصحبة أفراد عائلته، حيث خضع للإقامة الجبرية عشرين عاماً وعدّة أشهر كان الإمام ﷺ فيها مكرّماً في ظاهر حاله، يجتهد المتوكل في إيقاع حيلة به للحط من مكانته ﷺ في قلوب الناس.

وما أن دخل الإمام الهادي ﷺ وأهل بيته سامراء احتجب المتوكل عنه ولم يعيّن داراً لنزوله حتى اضطر الإمام

(١) بحار الأنوار / ج ٥٠، ص ٢٠١ .

عليه السلام إلى النزول في خان يقال له (خان الصعاليك) وهو محل نزول الفقراء من الغرباء. حيث كان يداهمه الأتراك ويحضرونه ليلاً إلى مجلس المتوكل العامر بالخمر والمجون. ولكن هذه السياسة لم تثمر شيئاً بل كانت ترفع من مكانة الإمام عليه السلام ومقامه، واستطاع بذلك أن يكسب ولاء عددٍ من حاشية المتوكل إلى درجة أنَّ والدة المتوكل كانت تنذر باسمه النّذور. وأمام هذا الواقع قرّر المتوكّل التخلص من الإمام الهادي عليه السلام فسجنه مقدمة لقتله. ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى حالت دون ذلك فلم يلبث إلاّ قليلاً حتى هجم الأتراك على المتوكل العباسي في قصره وقتلوه شر قتلة.

ولم تنته محنة الإمام الهادي عليه السلام بهلاك الطاغية المتوكل، فقد بقي تحت مراقبة السلطة العباسية باعتباره موضع تقدير الأمة وتقديسها.

وثقل على المعتز العباسي ما يراه من تبجيل الناس للإمام عليه السلام وحديثهم عن مآثره وعلومه وتقواه فسوّلت له نفسه اقتراف أخطر جريمة في الإسلام حيث دسّ له السم القاتل في طعامه. فاستشهد الإمام علي الهادي عليه السلام في اليوم الثالث من شهر رجب عام ٢٥٤ للهجرة على ما استشهد عليه آباؤه الكرام -سلام الله عليهم أجمعين- وله من العمر ما يناهز الواحد والأربعين سنة.

لقد عانى الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام الكثير من الظلم والاضطهاد من خلفاء بني العبّاس، فقد عاش مع المعتصم، ثم الواثق خمس سنين وسبعة أشهر، ثم المتوكّل أربع عشرة سنة، ثم ابنه المنتصر أشهراً، ثم المستعين سنتين وتسعة أشهر، ثم المعتز ثماني سنين وستة أشهر.

الإمام عليه السلام في حبس الطغاة

عاش الإمام الهادي عليه السلام فترة من عمره الشريف في سجن المتوكّل العبّاسي، فإنَّ المتوكل لم يكتفِ بجعل الإمام عليه السلام تحت الإقامة الجبرية في العسكر بسامراء، ولا بمنع الإمام عليه السلام من الخروج حتى من بيته، بل كان يأمر أحياناً جلاوزته بحبس الإمام عليه السلام في سجونه المظلمة.

المنع من الخروج من البيت

مما يدل على أنَّ الإمام عليه السلام كان تحت الإقامة الجبرية في بيته، ما مر من قصة يوسف بن يعقوب حيث قال:

سرت إلى سر من رأى ... وقلت: يجب أن أوصل هذه المائة دينار إلى ابن الرضا عليه السلام قبل مصيري إلى دار المتوكّل

وقبل أن يعرف أحد قدومي، وعرفت أن المتوكل قد منعه من الركوب، وأنّه ملازم لداره[١].

حبس الإمام عليه السلام

وفي رواية الصقر بن أبي دلف الكرخي ما يدل على حبس الإمام عليه السلام من قبل المتوكّل، حيث جاء الصقر ليسأل عن الإمام علي الهادي عليه السلام وكان الإمام عليه السلام في الحبس، فنظر إليه الزرافي وهو حاجب المتوكّل وكان شيعيّاً يخفي تشيّعه، فسأله: يا صقر، ما شأنك؟. لعلك تسأل عن خبر مولاك؟... اجلس حتى يخرج صاحب البريد من عنده... فلمّا خرج قال لغلام لـه: خذ بيد الصقر وأدخله إلى الحجرة التي فيها العلوي المحبوس وخل بينه وبينه[٢].

وكذا رواية ابن أورمة، حيث قال: خرجت أيّام المتوكّل إلى سر من رأى، فدخلت على سعيد الحاجب ودفع المتوكل أبا الحسن عليه السلام إليه ليقتله، قال: ... فدخلت الدار التي كان فيها محبوساً[٣].

وكم مرة أراد المتوكّل أن يقتل الإمام عليه السلام وأمر الجلاوزة بقتله بالسيف، ولكن الله -تعالى- حفظ الإمام عليه السلام من كيدهم.

وقد ورد أنّه طلب الإمام عليه السلام في يوم وقال: والله لأقتلنَّ هذا المرائي الزنديق! وهو الذي يدّعي الكذب ويطعن في دولتي!

ثم طلب أربعة من الخزر أجلافاً ودفع إليهم أسيافاً وأمرهم أن يقتلوا
أبا الحسن عليه السلام إذا دخل، وقال: والله لأحرقنه بعد قتله.

وهكذا كانوا يتعاملون مع الإمام عليه السلام ويظهرون حقدهم على آل بيت رسول الله.

إيذاء الإمام عليه السلام

سبق عن زرافة حاجب المتوكل وكان شيعيًّا: أنّ المتوكل أمر جميع مملكته من الأشراف من أهله وغيرهم والوزراء والأمراء والقواد وسائر العساكر ووجوه الناس أن يزيّنوا بأحسن التزيين، ويظهروا في أفخر عددهم وذخائرهم، ويخرجوا مشاة بين يديه، وأن لا يركب أحد إلاّ هو والفتح بن خاقان خاصة، وكان قصد المتوكل إهانة الإمام الهادي عليه السلام وتنزيل قدره عند الناس.

---

(١) راجع كشف الغمة: ج٢ ، ص٣٩٢-٣٩٣.

(٢) راجع كمال الدين: ج٢ ، ص٣٨٢-٣٨٣.

(٣) بحار الأنوار: ج٥٠ ، ص١٩٥-١٩٦.

فمشى الناس بين أيديهما على مراتبهم رجالة، وكان يوماً قائظاً شديد الحر. وأخرجوا في جملة الأشراف أبا الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام، وشقّ عليه ما لقيه من الحر والزّحمة.

قال زرافة: فأقبلت إليه وقلت لـه: يا سيدي، يعز والله عليَّ ما تلقى من هذه الطّغاة وما قد تكلّفته من المشقّة. وأخذت بيده فتوكأ عليَّ ... ولم أزل أسائله وأستفيد منه وأحادثه إلى أن نزل المتوكل من الركوب، وأمر الناس بالانصراف[1].

ملاحقة شيعة الإمام عليه السلام

قام المتوكل بملاحقة شيعة الإمام عليه السلام والموالين لـه في كل مكان لاعتقالهم وسجنهم وتعذيبهم وقتلهم.

فقد روي أنّ الحارث الذي جعله المتوكل لحرث قبر الحسين عليه السلام كان كافراً، فلمّا رأى المعجزات أسلم وتشيّع، فلمّا علم به المتوكل أمر بقتل الحارث وأمر أن يشد في رجله حبل ويسحب على وجهه في الأسواق ثم يصلب في مجمع الناس؛ ليكون عبرة لمن اعتبر ولا يبقى أحد يذكر أهل البيت عليهم السلام بخير أبداً[2].

كما قتل المتوكلُ ابنَ السكيت وهو من أكبر علماء زمانه في اللغة والشعر والأدب والمنطق، قتله بأبشع قتلة؛ لأجل تشيّعه وولائه لأهل البيت عليهم السلام وذلك في الخامس من رجب سنة ٢٤٤ هـ، حيث سأله المتوكل:

أيما أحب إليك ابناي هذان ـ أي المعتز والمؤيد ـ أم الحسن والحسين؟.

فقال ابن السكيت: والله إنَّ قنبراً خادم علي بن أبي طالب عليه السلام خير منك ومن ابنيك.

فقال المتوكّل للأتراك: سلوا لسانه من قفاه. ففعلوا فمات.

وقيل: بل أثنى ابن السكيت على الحسن والحسين عليهما السلام ولم يذكر ابنيه، فأمر المتوكل الأتراك فداسوا بطنه فحمل إلى داره فمات بعد غد ذلك[3].

وكثيرًا ما كان المتوكّل يضيّق على الشيعة ويقطع أرزاقهم، ففي (الأمالي) للشيخ الطوسي: عن المنصوري، عن عم أبيه، قال:

---

(١) راجع مهج الدعوات: ص٢٦٦-٢٦٧.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٠٥-٤٠٦.

(٣) الكنى والألقاب: ج١، ص٣١٤.

قصدت الإمام ـ الهادي ـ عليه السلام يوماً فقلت: يا سيدي، إنَّ هذا الرجل ـ أي المتوكّل ـ قد أطرحني وقطع رزقي ومللني، وما أتهم في ذلك إلا علمه بملازمتي لك[1] إلى آخر القصة.

وكثيرًا ما كان المتوكل يسجن الشيعة ويعذّبهم، ففي (إعلام الورى): عن علي بن محمد النوفلي، قال: قال لي محمد بن الفرج الرخجي: إنَّ أبا الحسن عليه السلام كتب إليه: («يا محمد، أجمع أمرك وخذ حذرك». قال: فأنا في جمع أمري لست أدري ما الذي أراد بما كتب، حتى ورد عليَّ رسول حملني من وطني مصفداً بالحديد وضرب على كل ما أملك، وكنت في السجن ثماني سنين)[2].

إنَّ حياة الإمام علي الهادي عليه السلام التي امتدّت منذ ولادته في المدينة المنوّرة حتى استشهاده في سامراء كانت مفعمة بالعمل في سبيل صلاح الأمّة، ولم يهتمّ للمشاكل التي واجهها.

عايش الإمام عليه السلام هذه الظروف الصعبة فقد كانت قيادة الأمة الدينية التي كانت تلفّها المتاعب المضنية من مسؤوليته، واتّجه لله متوكّلا عليه، واحتسب عناءه عنده، وقابل همومه المتناثرة في مناحي الحياة بالصبر والحلم والثبات، فكان يتصدّى لوضع سياسي مزرٍ متمثّل بحاكم لا يرعوي، قد شغلته الدنيا عن الاهتمام بمصالح الأمة الإسلامية.

(١) راجع الأمالي للطوسي: ص٢٨٥-٢٨٦.

(٢) راجع إعلام الورى: ص٣٥٨-٣٥٩.

السيدة زينب عليها السلام مظهرة الحقائق

حيدر الدفاعي

الأحداث التي تعيشها الأمة الإسلامية في هذه الأيام أحداث مفجعة، ومؤلمة، وكاشفة عن انحطاط الأمة وترديها بدماء بعضها البعض، فالقتل، والإرهاق، واختلال الأمن، والفساد الإداري والمالي، والفساد السياسي هي الثقافة الرائجة في مختلف بلاد المسلمين الآن.

وهذا لم ينشأ بدون سبب، وإنَّما له سبب، وسببه لم ينشأ صدفة في هذه الأيام، وإنَّما ضارب بجذوره بعمق التاريخ الذي يتتبع أحداث التاريخ ووقائع الحوادث فيه يجد بأنَّ هذه القضية كانت سارية في مختلف العصور، ولكن تتلبس بأشكال وألوان وعناوين مختلفة.

أهم ما يُلحظ في وقائع التاريخ أنَّها تنعكس بآثارها علينا، فنحن نواجه صعوبات في فهم التاريخ، والروايات الشريفة وحتى في بعض الأحكام الشرعية أيضًا.

الملحوظ أنَّ الأمة استغفلت في أمرين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله:

الأمر الأوّل: إخفاء الحقائق والوقائع التاريخية؛ حتى لا تصل إلى الأمة، والأجيال.

الأمر الثاني: **صناعة دين مزيّف مقابل الإسلام الصّحيح**: ناشئ من الشهوات والمصالح السياسية في مقابل الدّين الإلهي السماوي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، وصناعة رجال كقادة للأمة، ولكنّهم مزيّفون فأعلام الشر صنعوهم كأنَّهم قديسون، ونبي الله ووصيه وعترته -صلوات الله عليهم- الذين نصبهم الباري -عزّوجل- أئمّة وقادة للناس يحاربون ويطاردون ويقتَلون ويشرّدون، فالأمة تتبع ديناً خلقته السياسة وقادة صنعتهم السياسة، كيف يكون حال الناس فيه؟

إنَّ كلَّ من يلقي بنظرة أوّليّة إلى وقائع الأحداث، وإلى كلمات المؤرّخين، وتصريحات الرّواة يجد أنَّ المسألة جدًّا جليّة واضحة، ولاشك أنَّ جميع المسلمين يقرّون بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو أشرف الخلق، وعترته الطاهرة والصديقة الطاهرة وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام هم أفضل الخلق، بل هم سادة الخلق، بل هم أقرب الناس الى الله -عز

وجل- لكن كم يعرف المسلمون عن رسول الله ﷺ.

لعلَّ المدة التي عاشها رسول الله ﷺ وأسرته في الأمة قرن من الزمن؛ أربعين سنة قبل البعثة الى شهادة الإمام الحسين عليه السلام سنة ٦١هـ، فيكون حوالي قرن من الزمان هذه الأسرة المباركة عاشت بين الناس، والناس كانوا يدركون عظمة هذه الأسرة، ويعرفون حقيقة هذه الأسرة، ومكانة هذه الأسرة، وجلالة هذه الأسرة، ولكن هل تعرف الأمة كيف كانت حياته الشخصية؟

كيف كان يتعامل مع الناس؟

في نظامه القضائي ماذا كان يصنع؟

في تدبيره للحرب وللصلح ؟

بعده أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من نصف قرن من الزمان عاش بين الناس مبلغاً، ومعلماً، وحاكماً، وقائداً، وسياسياً لكن كم المقدار الذي نعرف من حياتهم.

حتى عن واقعة عاشوراء؟

الواقع والحقيقة التي لا مفر منها أننا نعرف الشيء القليل عن حياتهم، وحتى في بعض تواريخ مواليدهم، وشهادتهم يوجد خلاف بين المسلمين.

الصّدّيقة الطّاهرة أشرف امرأة في هذه الوجود، هي صديقة كبرى عليها دارت القرون الأولى، ولا يوجد أحد يجهل هذه المكانة لكن نجد حتى في تاريخ شهادتها هناك خلاف .

أين قبرها؟

أين دفنها؟

كيف كانت تقضي حياتها ؟

أشياء بسيطة يستلها المحقّق أو المؤرّخ من بين ثنايا الكلمات تكون شيئًا يسيرًا عن سيرتهم، وعن أوضاعهم وعن سياستهم، وهذه القضية حتى في واقعنا المعاصر هكذا، والآن لو أخذنا مناهج التعليم الموجودة في كل البلاد الإسلامية التي تحكم بالنظام الديني والبلاد التي تحكم بالنظام العلماني كم حصة النبي وأهل بيته -صلوات الله

عليهم- في مناهج التعليم؟

أمّة تدّعي أنَّها تؤمن بنبيّها، وإنَّه أقدس من في الوجود، وتتقرب إلى الله به، وترجو شفاعته في الآخرة، فكم تعرف عن نبيّها؟

الكثير من الأشياء المزيفة صيرها لنا التاريخ حقائق، وهناك الكثير من الحقائق الفقهية التي هي الآن بالنسبة إلينا من الغرائب ولكنها من الحقائق.

ما الذي حدث؟

الذي حدث هو حذف الحقائق، وترويج الأكاذيب، وقد وُظِّفَت لها جيوش، ووسائل إعلام، مهمّتها تبديل الحقيقة إلى كذب، والكذب إلى حقيقة.

إنَّ أسباب إخفاء الحقائق في التاريخ متعمَّدة، فمنها:

١- الميول والأهواء الفكريَّة والمذهبيَّة: وهو ما يتَّضح لنا عند دراسة الكتب في بعض الأحداث التاريخيَّة.

٢- إرضاء الحكَّام ورجال السلطة: وهو أكثر ما نجدُه في إخفاء الحقائق؛ حيث نجد الكثير من المؤرّخين يعمد إلى ذكر محاسن العصر الذي يحيا فيه للثناء على الحاكم والتقرب إليه بكلّ حال.

وقد أخذ مأخذًا كبيرًا مفهوم إخفاء الحقائق حتى دخل التمثيل التلفزيوني والسينمائي في الآونة الأخيرة على خط الخلاف المذهبي، والصراع الطائفي المحتدم بين المذاهب والطوائف الإسلاميّة؛ لما تتمتّع به هذه الآليّة من قدرة على الوصول إلى عدد أكبر من طبقات المجتمع وفئاته؛ لاستخدامها دور العرض السينمائي المنتشرة في كلّ مكان، وجهاز التلفاز الذي لا يخلو منه بيت الآن، ولاسيما بعد انتشار الفضائيّات والمحطّات التلفزيونية التي تبثّ عِبْرَ الأقمار الاصطناعية، وكذلك لتفاعل الناس مع التجسيد الحي للقصّة والحدث، علاوة على أنَّ هناك مساحة أوسع في التّمثيل لإيضاح الفكرة وتبيان المراد؛ نظراً لما يتطلّبه العمل التمثيلي من سيناريو وحوار، مع وجود المؤثّرات الصوتية والتصويرية والإيحاءات الأُخرى.

لكن العيب ليس في استخدام هذه الوسيلة أو تلك في إيصال ما يراد إيصاله، وإنَّما المشكلة في غياب الإنصاف والموضوعيّة وطمس الحقائق في استخدام هذه الوسيلة أو تلك؛ خدمةً للمطامع الضيّقة والأغراض الشخصيّة.

مظهرة الحقائق

لقد كان الدور الأساس للسيدة زينب ﵂ إظهار الحقيقة وعدم إخفاؤها، لذلك تقول ﵂ في خطبتها بالشام: يا يزيد كد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا...

انطلاقًا من هذا الكلام البليغ والذي تفوّهت به عقيلة الهاشميين في محضر يزيد (لعنه الله) نتعرّف على أهمّية الدور الذي كان موكلًا بالسيدة زينب ﵂، ونكتشف بعض الأسرار من مرافقتها للإمام الحسين ﵇ من المدينة إلى كربلاء، حيث كان مجيئها ﵂ ومعها كلّ هؤلاء النساء والأطفال هو بإذن إلهيّ، فالمعصوم لا يتصرف عن هوى ذاتي وشخصاني، بل كل حركاته وسكناته هي بتدبير إلهي ومشيئة إلهية. فالإمام الحسين ﵇ كان يعلم علم اليقين بأنَّ نهضة كربلاء وما جرى وسيجري فيها إذا لم يكن هناك إعلام موجه وتبليغ هادف فلن يصل إلى أي كان وسيبقى في كربلاء ويدفن مع الشهداء وتطمس الحقائق وكأنَّ شيئًا لم يكن، لذا فثورة بهذا الحجم وهذه التضحيات وهذه الدماء تحتاج إلى قوّة إعلاميّة ورساليّة كبيرة جدًّا، ومَنْ غير السيدة زينب ﵂ بقوّة شخصيتها وصلابة جأشها يستطيع أن يقوم بهذا العبء وبهذه المهمّة الإلهية الرسالية. فكان مجيئها ﵂ إلى كربلاء وبرفقة الإمام الحسين ﵇ ومع العلم بكلّ ما سيجري له الدور الأكبر في نشر فاجعة الطّف، وتعريف الناس بهذه المظلومية، والسيدة زينب ﵂ كانت تعلم عندما خاطبت يزيد بأنَّ ذكرهم سيبقى خالدًا، وأنَّ يزيد الظالم سيكون هو ومن والاه في مجاهل النسيان، فتخليد ذكر الحسين وأهل بيته ﵈ هو تدبير إلهي ورحمة من الله -عز وجل- بأن يبقى ذكر شهادة الحسين ومظلومية الحسين وعطش الحسين ﵇ محفورة في تاريخ البشرية تتناقلها الأجيال جيلًا بعد جيل وعلى مر العصور والدهور. وفي هذا الصدد، أيضًا، يقول الرسول الأكرم ﷺ: إنَّ لقتل الحسين ﵇ حرارة لن تبرد أبدًا.

من هنا، تكمن عظمة الدور الملقى على عاتق السيدة زينب ﵂، حيث إنَّها من يوم العاشر من محرم، وعندما وقفت على جسد أبي عبد الله الحسين، أقسمت بدم الحسين الشهيد بأنَّها ستحفظ له العيال، وستنشر واقعة كربلاء في كل مكان.

حملت السيدة زينب ﵂ مشعل الشهادة الملطخ بدماء الحسين وكل الشهداء، ورفعت مع بقية السبايا ومع الإمام زين العابدين ﵇ لواء المظلومية وسارت مرفوعة الرأس منصوبة الهامة، لم تكسرها المصيبة، ولم تحط من عزيمتها، بل أعطتها صلابة قل نظيرها عند النساء، فسارت السيدة زينب ﵂، من بلد إلى بلد، وسلاحها لسانها الفصيح، فصارت تبين للناس ما جرى في كربلاء، وما فعله بنو أمية بهم، والذين حاولوا بإعلامهم المضلّل تشويه الحقائق وإخفائها

عن الناس البسيطة المقموعة من قبلهم بقوة السلاح والمال. فلم تترك ﷺ فرصة واحدة إلا وخاطبت بها الناس المؤيد والمعارض في ذلك الزمن، علّها تنقذهم من جهلهم ويعودوا إلى صواب الطريق.. وصلت السيدة زينب ﷺ إلى الكوفة، وبدأت حركتها الإعلامية الكبرى في محضر ابن زياد الشامت والذي بكلّ قسوة قال لها: كيف رأيتِ صنع الله بأخيك. فكان الجواب الذي لم يتوقعه ولم ينتظره: ما رأيت إلا جميلًا.. وخطبت في مجلسه خطبتها الشهيرة حيث قالت:

بعد حمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ

يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر !! أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة.

إنَّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثًا، تتّخذون أيمانكم دخلًا بينكم.

ألا وهل فيكم إلّا الصّلف النّطف؟ والصدر الشّنف؟ وملق الإماء؟ وغمز الأعداء؟ أو كمرعى على دمنة؟ أو كفضة على ملحودة؟

ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون؟ وتنتحبون؟

إي والله، فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلًا.

فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدًا.

وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة؟ ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدرة سنتكم؟.

ومما قالت -صلوات الله عليها:

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿**ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ وَ كانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ**﴾، أظننت يا يزيد، حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أنّ بنا على الله هوانًا وبك عليه كرامة؟ وإنَّ ذلك لِعِظَمِ خَطرِك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسرورًا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلًا مهلا، أنسيت قول الله تعالى: ﴿**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ**)، أمِنَ العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءَك، وسوقك

بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد، يستشرفهنّ أهل المناهل والمعاقل، ويتصفح وجوههنّ القريب والبعيد، والدّنيّ والشريف،.. إلى أن قالت: فكد كيدك واسعَ سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، و لا تميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلاّ فند، وأيامك إلاّ عددّ، وجمعك إلاّ بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين. والحمد لله ربّ العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، و يحسِن علينا الخلافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بعد هذا البيان والبلاغة لم يكن أمام يزيد إلا الخرس والسكوت، فلم يجد ما يتكلم به، بعد أن ضج المجلس بالبكاء، ولوم يزيد على ما فعل، فحاول بكلّ الطرق إسكات صوت الحق لكنه لم يستطع، فتابعت السيدة زينب عليها السلام إظهار الحقيقة للناس في الشام الذين كانوا يعتقدونهم خوارج خرجوا على حكم الخليفة يزيد.. لم تسكت السيدة زينب إلا بعد أن هزّت عرش يزيد، وأظهرت للناس كذب بني أمية وخداعهم لهم وتضليلهم.. لم تسكت السيدة زينب إلا بعد أن كان هدفها إسقاط حكم بني أمية في الشام التي كانت عاصمة الخلافة لهم، ونجحت عليها السلام بذلك، فما إن أنهت خطبتها وتبعها الإمام السجاد في خطبة بليغة إلا وكان يزيد يفاوضهم على ما يريدونه، أيريدون العودة إلى المدينة أم العودة إلى كربلاء؟ إنها صرخة الحق في وجه سلطان جائر قالها الإمام الحسين في كربلاء وسارت مع موكب السبايا من بلد إلى بلد إلى أن وصلت مع زينب والسجاد إلى مجلس يزيد الذي أخرسه قول الحق، وأخرسه منطق الرسالة المحمدية، وأخرسه نور الله المنبعث إشعاعات نورانية من رأس أبي عبد الله الحسين عليه السلام.. إنه صوت زينب الإعلامي الثائر الذي غير المعادلة وغسل أدمغة أهل الشام الجاهلة بحقيقة ما يجري والذين كانوا يعتبرون أهل بيت الرسالة خوارج، فحولتهم السيدة زينب من معادين إلى موالين، وإلى مطالبين بسقوط يزيد وأتباعه.

إنّه صوت زينب الذي كشف الأقنعة عن تضليل بني أمية الإعلامي الذي كان يحاول تشويه صورة أهل البيت وجنّد له أناس عميان البصر والبصيرة، وساعدهم على ذلك قوتهم العسكرية التي كانوا يقمعون فيها كل معارض لهم.. لكن هيهات هيهات فصبر السيدة زينب عليها السلام ورباطة جأشها، وقوة بيانها العلوية الحيدرية غيروا مجرى التاريخ وأسقطوا عرش بني أمية الزائف والمستبد.. فتركت الشام وكان أهلها يعرفون الحقيقة، بأن من زينوا الطرقات وأطرقوا الطبول شماتة بهم ورشقوهم بالحجارة هم ذراري نبيهم محمّد صلى الله عليه وآله..

عادت السيدة زينب إلى المدينة تاركة وراءها ثورات الحرية المطالبة بسقوط بني أمية في كلّ البقاع التي كانت تحت

سيطرتهم... عادت إلى المدينة مرفوعة الرأس. عادت ولواء النصر بيدها.. عادت إلى المدينة ولم تتعبها شهور السبي وطول مسافات السفر، بل استمرت بدورها الرسالي والإعلامي.. فرغم كل آلامها انتصرت.. وتغلّبت على حزنها بقوّة إيمانها، فالله معها، والله سدّد خطاها، بل كانت متيقنة بأنَّ كل ما جرى عليهم هو بعين الله وبأمر من الله، لذا لم تبالِ بما جرى عليها.. لم تعرف اليأس، لم تمل، رغم كلّ المصاعب والأحزان التي تئن منها الجبال..

إنَّها زينب الكبرى، صوت الحق، صوت الرسالة، صوت الإعلام الثائر، فلولاها لبقيت ثورة كربلاء مدفونة في كربلاء.. ولبقيت شهادة الإمام الحسين ومظلوميته ﷺ طيّ الكتمان..

هو الدور العظيم الذي أدّته زينب ﷺ أثناء وبعد الواقعة والذي نستطيع إيجازه بمايلي :

١-المحافظة على الروح المعنوية لوفد الشهداء ونسائهم :

٢- إظهار المعنى الحقيقي للقضية:

٣- قيادة ركب الأسرى والمحافظة عليه:

حيث إنَّها قامت بالمحافظة على النساء والأطفال من اعتداءات جنود ابن زياد ..

كما حافظت على حياة السجاد ﷺ بعد أن حاول الأعداء قتله وبذلك حفظت النسل الشريف بأمر الله من أن ينقطع بعد أن أراد له المجرمون الانقطاع ولكن الله سبحانه أراد له أن يستمر ..

٤-كشف الحقائق للعالم أجمع والقضاء على مؤامرة بني أمية:

وهذا هو أحد أهم الأعمال التي اتخذتها زينب ﷺ على عاتقها وأدَّت دورًا كبيرًا فيها ..

هذا الدور كان القضاء على مؤامرة بني أمية، حيث إنَّهم كانوا يريدون قتل الحسين ﷺ ومن معه، وإضاعة آثارهم، وتشتيت الانتباه لقضيّتهم ..

ولولا دورها العظيم في ذلك لانتصر بنو أميّة، ولصار أصحاب الباطل حقًّا وأصحاب الحق خوارجا، ولطمرت رمال الصّحراء جثث أبي عبدالله ﷺ وصحبه، ولاندثر ذكرهم، ولكنَّ الله -سبحانه- أراد لذكرهم أن لايندثر، فهيّأ زينب ﷺ لتنقل قصّتهم ومافيها من عبر من وسط الصحراء القاحلة إلى قلوب الناس العامرة.

دور الإمام الكاظم عليه السلام في ردّ الإلحاد

السيد مجتبى الموسوي

الإلحاد ليس ظاهرة جديدة، وإنّما هي ظاهرة قديمة ظهرت في أوقات متعدّد، وإذا رجعنا إلى الوراء نجد أرقامًا كثيرة إلى أن نصل إلى عصر النبي صلى الله عليه وآله، وهذا ما أوضحه القرآن الكريم: **(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ . قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ .الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ . أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ . فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)**[1].

وقد نقلت أغلب التفاسير عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنّه قال: «جاء أُبيّ بن خلف (أو العاص بن وائل) فأخذ عظماً باليًا من حائط ففتّه ثمّ قال: إذا كنّا عظامًا ورفاتًا إنّا لمبعوثون خلقاً؟» فأنزل الله: (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)[2].

والمقصود من ضرب المثل هنا، نفس المعنى بدون التشبيه والكناية. فالمقصود هو الاستدلال وذكر مصداق لإثبات مطلب معيّن. نعم فإنّ (أُبيّ بن خلف أو أُميّة بن خلف. أو العاص بن وائل) كان قد وجد قطعة متفسّخة من عظم لم يكن معلوماً لمن؟ وهل مات موتاً طبيعياً؟ أو في واحدة من حروب العصر الجاهلي المهولة؟ أو مات جوعاً؟ وظنّ أنّه وجد فيه دليلاً قويّاً لنفي المعاد! فحمل تلك القطعة من العظم وذهب حانقاً وفرحاً في الوقت نفسه وهو يقول: لأخصمن محمّداً.

فذهب إلى الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وهو في عجلة من أمره؛ ليقول له: قل لي من ذا الذي يستطيع أن يلبس هذا العظم البالي لباس الحياة من جديد؟ وفتّ بيده قسماً من العظم وذرّه على الأرض، واعتقد بأنّ الرّسول صلى الله عليه وآله سيتحيّر في الجواب ولا يملك ردّاً!! [3].

---

(١) سورة يس/ ٧٧-٨٣.

(٢) الأمثل / ج١٤ / ص ٢٤١ .

(٣) المصدر نفسه / ج١٤ / ص ٢٤٣ .

إذن قضية الإلحاد قديمة، فهذه نظم الحياة، فيوجد المؤمن ويوجد الكافر، ويوجد المتقي، ويوجد الورع، وعلى العموم تتفاوت الناس في درجات الإيمان والعقيدة والعلم، وهذا أمر جدًّا طبيعيّ، فالإلحاد ليس شيئًا جديدًا، بل موجود مع رحلة الإنسان في حصاد التاريخ.

تشكّلت في الآونة الأخيرة في العالم العربي الإسلامي، وغير العربي ظاهرة الإلحاد، فهنالك نسبة خطيرة جدًا أسبابها كثيرة لذلك سيكون البحث في ثلاثة محاور:

المحور الأوّل: أسبابه.

المحور الثّاني: من آثار الإلحاد.

المحور الثّالث: بعض المعالجات.

ويعرف الإلحاد: هو مصطلح عام يستعمل لوصف تيّار فكريّ وفلسفي يتمركز حول فكرة إنكار وجود خالق أعظم، أو أيّة قوة إلهية بمفهوم الديانات السائدة.

أسباب الإلحاد

السبب الأوّل: التربية الخاطئة:

فالمسلمون بصورة عامَّة، وليس الخطاب لفرقة دون أخرى، نجد الجانب التربوي فيه خلل وليس متجذّرًا، أو يقوم على أسس صحيحة.

ينبغي للتربية اليوم أن تواكب العصر، فاليوم لا نعيش مع آبائنا، وأمّهاتنا، فأبناؤنا اليوم في زمن آخر، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) [1] والآداب غير الأخلاق فالآداب هي أفعال يلتزم بها في ضمن مجموعة من البشر، بينما الأخلاق هي صفات نفسية يتحلّى بها الإنسان، والأخلاق الحسنة لا تتغيّر من جيل إلى جيل، فالجود والكرم والسخاء صفات حميدة في هذا الزمن وفي الزمن السابق والزمن اللاحق بخلاف الآداب، فربما يتوافق جماعة من البشر في زمن ما على قبول القيام احتراماً للقادم بينما تتغير هذه العادة في زمن آخر.

اليوم أبناؤنا بحاجة ماسة لغرس الجانب التربوي والأدبي أكثر من ذي قبل، فسابقًا لا يوجد راديو، ولا فضائيات،

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ/ ج ١٠/ ص ٢٣٦.

ولا مواقع تواصل، بل كان الإنسان يكدح صباحًا، ويذهب الى المدرسة، وينام باكرًا، أمّا اليوم فالابن جالس بالبيت ومتّصل بالعالم كلّه، ومن جملة الأسباب الخطيرة للإلحاد عدم تربية الأبناء والبنات تربية عقدية علمية فكرية.

ما المانع أن نجلس مع الأبناء ونتكلّم عن أصول الدين، والعلماء قد وضعوا براهين علمية متنوّعة وراقية في كتب العقيدة تتكلّم عن وجود الإله -تبارك وتعالى-.

لماذا لا نصغي للتّساؤلات، والإشكالات برحابة صدرٍ ونُجيب عنها، وأما ما نجهل إجابته نسأل العلماء عنه.

إنَّنا نواجه مشاكل اليوم وتساؤلات قد صيغت بصورة وأسلوب جديد في كلّ ميادين العقيدة، اليوم يوجد من هو محسوب على المسلمين ولكنّه يكذب نبوة النّبيﷺ ويقول القرآن غير صحيح، بل يصل إلى حدِّ إنكار الإله، وهكذا بقيّة القضايا مثل الإمامة، وقضية كسر ضلع الزّهراء-صلوات الله عليها-، والولاية التكوينية والولاية التشريعية، وفي الوقت نفسه لدينا كتاب واحد للعلامة الحلي يذكر فيه ألفي دليل على إمامة أمير المؤمنين علي -صلوات الله عليه-، لكن كم يمتلك أبناؤنا من هذه الأدلّة؟

التربية العقدية لو تجذّرت في نفوس الأبناء والبنات يستحيل أن ينجرفوا على الإطلاق، ولو انقلبت الدنيا رأسًا على عقب، وإنَّما يكون له دور قويّ في تغيير الآخرين. أبناؤنا اليوم يتنقّلون من بلد الى بلد، ويحتك بشتّى الطبقات؛ بالملحد، والبوذيّ، والكافر، والمشرك، والمسيحيّ، واليهوديّ، والنّصرانيّ، وأديان مخترعة في الغرب كثيرة، والحرية موجودة، وعندما تُطرح عليه بعض التساؤلات يبقى متحيّرًا، وموقفه يكون مهزوزًا وخجولًا ولا يمكنه أن يقف على قدميه؛ لأنَّ تربيته غير متجذّرة عقائديًّا.

إنَّ الإمام الصادقؑ كان يركِّز كثيرًا على الأحداث -أي الصّبية الصغار الذين عمرهم من سبع سنوات فما فوق-، لكن أين المؤسّسات؟

وأين دور المسجد ؟

وأين دور الجمعيّات؟

لماذا لا يوجد متبرّعين اليوم لأجل بناء معهدٍ علميٍّ للأبناء يُعنى بدراسة فكر أهل البيت ؑ؟

عندنا دورات في الرّياضيات، وهذا شيء جميل يقوّي أبناءنا ودراستهم، لكن هل عندنا مكان يختصّ بتجذير العقيدة الحقّة في الأذهان.

كان أبو جعفر الأحول من تلامذة الإمام الصادق ﷺ، وكان يعمل على نشر مبادئ الإسلام وتعاليم أهل البيت ﷺ، سأله الإمام الصادق ﷺ ذات يوم:

كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟

قال أبو جعفر: والله إنَّهم لقليل.

فقال الإمام الصادق ﷺ: عليك بالأحداث فإنَّهم أسرع إلى كلّ خير.(١)

وعندما نأتي إلى الإمام أمير المؤمنين ﷺ في وصيّته الرّائعة نجدها أرقى منظومة وجدتها في علم التربية عندما يقول: « **وَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ أَيْ بُنَيَّ وَ لُزُومِ أَمْرِهِ وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَ الِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ وَ قَوِّهِ بِالْيَقِينِ وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ وَ ذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَ آثَارِهِمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّةِ وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ وَ دَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ وَ أَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَ لِسَانِكَ وَ بَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ وَجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ وَ نِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ وَ أَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ وَ مَانِعٍ عَزِيزٍ وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ وَأَكْثِرِ الِاسْتِخَارَةَ وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحاً فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ....** »(٢).

يذكر الإمام(صلوات الله عليه) بهذه الوصية الرائعة، ويشبّه قلب الأحداث كالأرض الخالية فهذه نواة صالحة وأرض خصبة، إمَّا تزرع فيها المخدرات، والسلبيات، وإما تزرع فيها الصوم والصلاة.

---

(١) الغيبة الكبرى/ ص١١.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٤/ ص٢٠٠.

من هنا يأتي الإمام الصادق عليه السلام ويؤطر: «بادروا إلى أولادكم قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة»[١] أي (المذاهب الفاسدة، والخطوط المنحرفة).

أي علّموهم في شرخ شبابهم، وفي أوائل إدراكهم وبلوغهم التميز من الحديث ما يهتدون به إلى معرفة الأئمة عليهم السلام والتشيع قبل أن يغويهم المنحرفون، ويدخلهم في ضلالتهم فيعسر بعد ذلك صرفهم عن ذلك، والمرجئة في مقابلة الشيعة من الأرجاء بمعنى التأخير لتأخيرهم عليًّا عليه السلام عن مرتبته.

السبب الثاني: بعد المسلمين عن الرّوافد الصحيحة

فالنبي صلى الله عليه وآله أوصى بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة قائلاً: **إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا: كتاب الله، وعِترتي أهل بيتي؛ فإنَّهما لن يفترقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ**[٢]، وكل منحرف الى الضلال أو الى عقيدة فاسدة لم يتمسك بالقرآن، ولا بالمعصومين-صلوات الله عليهم-.

وقد أشار الإمام محمد بن إدريس الشافعي إلى صحّة هذا الحديث الشريف في أبيات له نقلها العلامة العجيلي في (ذخيرة المآل):

ولّما رأيت النـــاس قد ذهبت بهم ... مذاهبهـــم في أبـــحر الغي والجـــهل

ركبت على اسم الله في سفن النجا ... وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسـل

وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهـــم ... كـما قد أمرنا بالتمـــــسك بالـحبـــل

---

(١) الكافي / ج ٦ / ص ٤٧

(٢) مصادر السنة التي أوردت حديث الثقلين كتاب الله وعترتي هي:
– صحيح مسلم ونصه: عن زيد بن أرقم قال: (ثم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي...) (صحيح مسلم ج٧ ص١٢٣ / دار الفكر بيروت).
– سنن الترمذي عن زيد أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما) (ج٥ ص٣٢٩ ط / دار الفكر ـ بيروت).
– مسند أحمد: ج٣ / ص١٤ ـ ١٧ ـ ج٤ / ص٢٦٧ ـ ٢٧١ ـ ج٥ / ١٨٢ ـ ج٥ / ١٨٩.
– سنن الدارمي ج٢ / ٤٣٢.
– المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٣ / ١١٠ ـ ج٣ ص١٤٨.
– السنن الكبرى للبيهقي ج٢ / ١٤٨ ـ ج٧ / ٢٠ ـ ج١٠ / ص١١٤.
– مجمع الزوائد ج٩ / ١٦٢ ـ عن أحمد وقال واسناده جيد.
– المصنف لابن أبي شيبة ج٧ / ص٤١٨. وغيرهم كثير.
أما حديث كتاب الله وسنتي فقد رواه مالك في الموطأ عن ابن عباس والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة. وكلا سنديه لا تقوم بهما حجة كما صرح بذلك المحدث السلفي الالباني.

إذا افترقت في الدين سبعون فرقة ونيفا على ما جاء في واضح النقل

ولم يكُ ناج منهم غير فرقة فقل لي بها يا ذا الرجاحة والعقل

أفي الفرقة الهلاك آل محمد أم الفرقة اللاتي نجت منهم قل لي

فإن قلت في الناجين فالقول واحد وإن قلت في الهلاك حفت عن العدل

إذا كان مولى القوم منهم فإنّني رضيت بهم لا زال في ظلهم ظلي

رضيت عليًّا لي إمامًا ونسله وأنت من الباقين في أوسع الحل[1]

فلا يخفى على من أمعن ونظر في هذه الأَبيات لعرف تصريح الشافعي وهو إمام أهل السنّة والجماعة ، بأنّ آل محمد ﷺ ومن تمسّك بهم، هم الفرقة الناجية وغيرهم هالكون، وفي وادي الضلالة تائهون !!

ثالثًا: حالة التبعية للغرب

لقد دخلت منظومة الغرب على أنّها شيء متكامل، لا يمكن التمييز فيه بين ما يمكن قبوله، وما يلزم رفضه. واستقر في أذهان الكثيرين من النّخبة والعامّة أنّ التقدّم الحضاري الغربي سببه أنَّ الغربيين عزلوا الدين، بل نحّوا فكرة الإله الخالق من أذهانهم.

رابعًا: أسباب أخرى:

يمكن أن نجملها:

- الظلم السياسي والاجتماعي باسم الدين، ولا شك أنَّ هذا التحالف بين الظلم والدين المحرف، يؤدّي ببعض الناس إلى التّمرّد على الدين وإنكار أصوله كلها.

فالغالبية العظمى ممن ألحدوا -في مجتمعنا- كان إلحادهم ردّة فعل نفسية من التّشدد الدّيني والاجتماعي!، فالتّطرّف الدّيني والتّشدد الاجتماعي الذي يتربّى عليه الشخص يؤدّي به إلى نفور من الدين والتّديّن.

- الضّعف المعرفي الناتج خصوصًا عن إشكالات التعليم المتراكمة. وهذا الضّعف يكرّس السّطحية الفكرية

(١) ذكر العلاّمة الأَميني (عليه الرحمة) منها الثلاثة الأَبيات الأَولى في الغدير: ج٢/ ص٣٠١/ ، عن رشفة الصادي: ص ٢٤ .

والعجز عن الفهم العميق للإشكالات المعرفية الخطيرة التي يطرحها انتشار الإلحاد في وجه الحضارة الإنسانية.

– جمود الدرس العقدي، واجتراره نفس الموضوعات التقليدية المتكرّرة، دون قدرة على تجديد نفسه ليواكب المستجدّات العقدية المتسارعة، والشبهات الإلحادية التي يواجهها شبابنا، دون أن تكون لهم حيلة في دفعها!

– كثيرٌ ممن ألحدوا كان إلحادهم هو نتيجة لتساؤلات أربكت عقولهم فبحثوا عن إجابات لها ولم يجدوا شيئًا، والمصيبة الأكبر هي أن تقابل مثل هذه التساؤلات بالكبت والتخويف والتعنيف، كبت الأسئلة وقمعها وعدم الترحيب بالاختلاف في الرّأي، ومنع الحوار سبب ردّة فعل لدى البعض أدَّت إلى نفور البعض.

لذلك من الضروري أن يهتمّ المفكّرون والمربّون بحوار الشباب المتسائل، وأن يرحّبوا بكلّ أسئلته أيًّا كانت، وأعني بالحوار هنا الحوار الحقيقي، وهو في أن تعطي وتأخذ، تتحدث وتستمع، لا أن تقدم موعظة فكرية ثم تُسمّي ذلك حوارًا!، بعض المفكّرين يتعامل مع الشباب بطريقة أستاذية بحيث ينتظره يسأل السّؤال أو يطرح الشّبهة كي يسرد عليه الإجابة التي يفترض هو أنَّها ستكون مقنعة، ولكن هذه الطريقة ليست مجدية مع هؤلاء الشباب.

لقد كان الإمام الكاظم عليه السلام يُغذّي أتباعه وشيعته بالمعارف وخصوصًا الإلهية، **عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام: (أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِرَادَةِ مِنَ اللهِ، وَمِنَ الْخَلْقِ ؟**

قَالَ، فَقَالَ: الْإِرَادَةُ مِنَ الْخَلْقِ الضَّمِيرُ وَمَا يَبْدُو لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا مِنَ اللهِ تَعَالَى فَإِرَادَتُهُ إِحْدَاثُهُ لَا غَيْرُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُرَوِّي وَلَا يَهُمُّ وَلَا يَتَفَكَّرُ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُ وَهِيَ صِفَاتُ الْخَلْقِ، فَإِرَادَةُ اللهِ الْفِعْلُ لَا غَيْرُ ذَلِكَ، يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ بِلَا لَفْظٍ وَلَا نُطْقٍ بِلِسَانٍ وَلَا هِمَّةٍ وَلَا تَفَكُّرٍ وَلَا كَيْفَ لِذَلِكَ كَمَا أَنَّهُ لَا كَيْفَ لَهُ)[1] .

كما أنَّه عليه السلام كان يعطي قواعد كلّيّة في مواجهة القواعد والشبهات الفرعية التي تواجه المؤمن، **قَالَ الإمام مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ –عليهما السَّلام –: (وَجَدْتُ عِلْمَ النَّاسِ فِي أَرْبَعٍ:**

أَوَّلُهَا: أَنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنْ تَعْرِفَ مَا صَنَعَ بِكَ.

وَالثَّالِثَةُ: أَنْ تَعْرِفَ مَا أَرَادَ مِنْكَ.

وَالرَّابِعَةُ: أَنْ تَعْرِفَ مَا يُخْرِجُكَ مِنْ دِينِكَ.

---

(١) الكافي : ١ / ١٠٩، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني، المُلَقَّب بثقة الإسلام، المتوفى سنة: ٣٢٩ هجرية، طبعة دار الكتب الإسلامية، سنة : ١٣٦٥ هجرية/ شمسية، طهران / إيران.

مَعْنَى هَذِهِ الْأَرْبَعِ:

الْأُولَى: وُجُوبُ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى الَّذِي هِيَ اللُّطْفُ .

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ مَا صَنَعَ بِكَ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي يَتَعَيَّنُ عَلَيْكَ لِأَجْلِهَا الشُّكْرُ وَالْعِبَادَةُ .

الثَّالِثَةُ: أَنْ تَعْرِفَ مَا أَرَادَهُ مِنْكَ فِيمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْكَ وَنَدَبَكَ إِلَى فِعْلِهِ، لِتَفْعَلَهُ عَلَى الْحَدِّ الَّذِي أَرَادَهُ مِنْكَ، فَتَسْتَحِقَّ بِذَلِكَ الثَّوَابَ .

وَالرَّابِعَةُ: أَنْ تَعْرِفَ الشَّيْءَ الَّذِي يُخْرِجُكَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ فَتَجْتَنِبَهُ) [1].

المحور الثاني: من آثار الإلحاد في حياة الإنسان

يترك الإلحاد المعاصر آثاره الواضحة في سلوك الإنسان، وأخلاقه، ونظامه، ونستطيع أن نجمل هذه الآثار فيما يلي:

١ – القلق:

إنَّ أوّل الآثار التي يخلفها الإلحاد في نفوس الأفراد هو القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي. وذلك أن داخل كل إنسان منا فطرة تلح عليه، وأسئلة تتلجلج في صدره: لماذا خلقنا؟ ومن خلقنا؟ وإلى أين نسير؟ وإذا كانت زحمة الحياة، وشغلها الشاغل يصرف الإنسان أحياناً عن الإمعان في جواب هذه الأسئلة، والبحث عن سر الحياة والكون فإنّ الإنسان يصطدم كثيراً بمواقف وهزات تحمله حملاً على التفكير في هذا السّؤال، فالأمراض والكوارث، وفقد بعض الأهل والأحبّة، والمصائب التي تصيب الإنسان ولا بد تفرض على الإنسان أن يفكّر في مصيره ومستقبله، ولما كان الإلحاد عقيدة جهلانية لأنّه يقوم على افتراض عدم وجود إله – فإنَّه لا يقدم شيئاً يخرج هذا الإنسان من الحيرة والقلق والالتباس ويبقى لغز الحياة محيّرًا للإنسان ويبقى رؤية الظلم والمصاعب التي يلاقيها البشر في حياتهم كابوسًا يخيّم على النّفس ويظل الإلحاد عاجزاً عن فهم غاية الحياة والكون، ولا يقدّم للإنسان إلا مجموعة من الظنون والافتراضات لا تقنع عقلاً ولا تشفي غليلاً.

٢ – حب الأنانية:

كانت النتيجة الحتمية للقلق النّفسي والخوف من الأيّام هي اتجاه الإنسان نحو الفردية، ونعني بالأنانية اتجاه

---

(١) بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ﷺ : ٧٥ / ٣٢٨، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المولود بإصفهان سنة: ١٠٣٧، ت: ١١١٠ ه، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت / لبنان، سنة : ١٤١٤ هجرية .

الإنسان لخدمة مصالحه الخاصة وعدم التفكير في الآخرين - فالدّين الذي يحث الإنسان على بذل المعروف للغير والإحسان للناس ابتغاء مرضاة الله بانحساره عن حياة الإنسان حل مكانه التفكير في النفس فقط وبذلك بدأ الناس في عصور الإلحاد المظلمة هذه لا يأبهون بغيرهم من بني البشر وشيئاً فشيئاً قلت العناية بالفقراء والمحتاجين ثم بالأهل والأقربين ثم بالوالدين وأيضاً بالزوجة والأولاد، والمطلع على أحوال المجتمع الإلحادي في الغرب والشرق يرى إلى أيّ حدٍّ أصبح الناس مادّيين أنانيّين لا يهتم الفرد إلا في نفسه.

٣- النّزوع إلى الإجرام:

لأنَّ الإلحاد لا يربّي الضمير، ولا يخوف الإنسان من إله قوي قادر يراقب تصرّفاته وأعماله في هذه الأرض، فإنَّ الملحد ينشأ غليظ القلب عديم الإحساس، قد فقد الوازع الذي يردعه عن الظلم ويأمره بالإحسان والرحمة. بل على العكس من ذلك فإنَّ الإلحاد يعلم أتباعه أنَّهم وجدوا هكذا صدفة ولم يخلقهم خالق أو أنَّهم خلقوا أنفسهم وأنّهم حيوانات أرضية كسائر الحيوانات التي تدب على الأرض وبذلك يغلظ إحساسهم ويتنامى شعورهم بالحيوانية والانحطاط، ويتجهون إلى إثبات ذواتهم بالإغراق في الشهوات والملذّات.

٤- هدم الأسرة:

كانت للإلحاد آثار مدمرة في الحياة الاجتماعية للإنسان، فالبعد عن الله -سبحانه وتعالى- لم يكن من آثار تدميره النفسية البشرية فقط وإنَّما كان من لوازم ذلك تدمير المجتمع الإنسان وتفكيكه، وذلك أنَّ نظام الاجتماع البشري لا يكون صالحاً سليماً إلا إذا كانت اللبنات التي تشكل هذا النظام صالحة سليمة، وإذا فسدت هذه اللبنات فسد تبعاً لذلك النظام الاجتماعي بأسره ولذلك كان من نتائج الإلحاد أيضًا هدم النّظام الأسري.

المحور الثالث: بعض المعالجات

العلاج الأوّل: نشر فكر ومناظرات أهل البيت عليهم السلام في كلّ المجالات وخاصة مجال التوحيد، فالشبهات والاشكالات بعضها مرتبط بالآخر، وكمثال على ذلك كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي -أعلى الله مقامه- فقد سطّر مناظرات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وبعده الإمام علي وفاطمة وأهل البيت عليهم السلام الى المولى صاحب العصر والزمان-عجل الله فرجه-، فقد احتوى الكتاب على مناظرات تجذب بجمالها، وروعتها، ودقّتها، وسهولتها، ومنطقها الرّصين.

مناظرات الإمام الكاظم ﷺ في ردّ الإلحاد

انتشرت في عصر الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ الكثير من الفرق والتيارات والمذاهب والنحل المنحرفة والضالة، وقد تصدّى الإمام الكاظم ﷺ لها من خلال بيان منهج أهل البيت المستقيم، وتوضيح انحرافات بعض الفرق والمذاهب التي قامت على أسس مخالفة لخط الإسلام الأصيل.

وقد اعتمد الإمام الكاظم ﷺ في التّصدّي للتيارات والفرق المنحرفة كالزنادقة والملاحدة وغيرهم على مناظرتهم ومحاورتهم بالأساليب العلمية القوية التي ينهزم أمامهم أصحاب الفكر السقيم، ويعود بعضهم إلى الحق، كما اتبع الإمام الكاظم ﷺ الإقناع بأدوات العقل والبديهة، وهو الأمر الذي لا سبيل لإنكاره من قبل أصحاب الأفكار المنحرفة.

ومن أهم الفرق والتيارات المنحرفة التي انتشرت في عهد الإمام الكاظم ﷺ، والتي كان لها أتباع وأنصار، تيار الإلحاد.

فقد انتشرت في عهد الإمام موسى الكاظم ﷺ الحركة الإلحادية، وأخذت تدعو إلى التفسخ والتحلل من الأخلاق والدين، وإنكار الخالق -تعالى-، أو وجود بعض صفاته الثبوتية أو السلبية، وعدم الإيمان بالأنبياء والرسل والأوصياء، وإنكار المعاد. وأخطر أشكال الإلحاد هو نكران وجود الله -تعالى- .

وقد تكاثرت الدعوة إلى الإلحاد والزندقة في العصر العباسي الأول، وتبنّت أفكار الإلحاد والانحراف والزندقة مجموعة من التيارات الملحدة، ومنها: المانوية، والمزدكية، وقد انتشرت هذه الفرقة في العصر العباسي الأول، لأنّها تدعو للتحلّل من الالتزامات الدّينية، والقيم الاجتماعية، وتدعو للتحرر من كلّ القيود الأخلاقية، وتنكر القيم الدينية، فاعتنقها خلق من الناس للانسياق مع شهواتهم وأهوائهم، والتخلص من التزاماتهم الدّينية.

وكذلك الزرادشتية، وقد راجت الزرادشتية في العصر العباسي الأوّل، واعتنقها خلق من البسطاء المغرر بهم، وقد عملت على محاربة القيم الإسلامية، وتفكيك الروابط الاجتماعية، وتحلل المسلمين من الخلق والآداب الإسلامية.

وعلى أي حال، فإنَّ هذه المبادئ التي انتشرت في العصر العباسي تكشف لنا بوضوح عن الفراغ العقائدي، وضحالة التفكير، وسيادة الجهل، وعدم إحاطة المسلمين بواقع دينهم الذي يدعو إلى اليقظة الفكرية، والتحرر من جميع رواسب الجهل والجمود.

وكان من أبرز دعاة الإلحاد والزندقة في العصر العباسي وأشهرهم (يزدان بن باذان) الذي عرف بالكفر والزندقة.

مواقف الإمام الكاظم ﷺ من التّيّارات الملحدة

اتخذ الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ مواقف حازمة تجاه الملاحدة والزنادقة، وتبيين فساد معتقداتهم وانحرافاتهم العقائدية والفكرية، وذلك بالمنطق العلمي، واتباع المنهج العلمي في الرّدّ عليهم، وبيان انحرافاتهم، كما كان للإمام ﷺ الكثير من المواقف في التّبرّؤ منهم، ولعنهم، وتحذير المسلمين من التّأثّر بهم، وأهمّيّة الابتعاد عنهم، وعدم مجالستهم أو مؤاكلتهم أو مناكحتهم؛ حتى لا يتأثروا بفكرهم المنحرف.

وقد ذكر العلّامة الطبرسي في كتابه القيم الاحتجاج، بعض احتجاجات ومناظرات الإمام الكاظم ﷺ مع الزنادقة والملاحدة، والتي بيّنت زيف وضعف أفكارهم، وردّ الشبهات التي كانوا يبثّونها بين الناس، وخصوصاً في الحقل العقائدي والكلامي.

وبهذه المواقف الحازمة من التّيّارات الملحدة دافع الإمام الكاظم ﷺ عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، ورد شبهاتهم وانحرافاتهم، وأنقذ المسلمين من فساد أفكارهم ومعتقداتهم الباطلة.

١ـ مع هارون العبَّاسي

... قال هارون: فما الزّنديق عندكم أهل البيت؟ فقال ﷺ: **الزّنديق هو الراد على الله وعلى رسوله وهم الذين يحادّون الله ورسوله. قال تعالى: (لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)**[1].

وهم الملحدون، عدلوا عن التوحيد إلى الإلحاد.

فقال هارون: أخبرني عن أوّل من ألحد وتزندق؟ فقال ﷺ: أوّل من ألحد وتزندق في السّماء إبليس اللعين، فاستكبر وافتخر على صفيّ الله ونجيبه آدم ﷺ فقال اللعين: **(أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)**[2]. فعتا عن أمر ربّه وألحد فتوارث الإلحاد ذرّيّته إلى أن تقوم الساعة فقال هارون: ولإبليس ذرّيّة؟ فقال ﷺ:

نعم ألم تسمع إلى قول الله عزّ وجلّ: **(إِلاَ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ**

(١) سورة المجادلة/ الآية: ٢٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢، وسورة ص: الآية ٧٦.

دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً * مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً)...

ثم قال له هارون: بحق آبائك لما اختصرت كلمات جامعة لما تجاريناه فقال عليه السلام: نعم. وأوتي بدواة وقرطاس فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، جميع أمور الأديان أربعة: أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمّة على الضّرورة التي يضطرّون إليها، الأخبار المجمع عليها وهي الغاية المعروض عليها كلّ شبهة والمستنبط منها كلّ حادثة وهو إجماع الأمة.

وأمر يحتمل الشّك والإنكار، فسبيله استيضاح أهله لمنتحليه بحجّة من كتاب الله مجمع على تأويلها، وسنّة مجمع عليها لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله ولا يسع خاصّة الأمّة وعامّتها الشّكّ فيه والإنكار له.
وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه وأرش الخدش فما فوقه. فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين فما ثبت لك برهانه اصطفيته، وما غمض عليك صوابه نفيته. فمن أورد واحدة من هذه الثلاث فهي الحجة البالغة التي بيّنها الله في قوله لنبيه صلى الله عليه وآله:

(قُلْ فَلِلهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)[1] .

يبلغ الحجّة البالغة الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه؛ لأنَّ الله عدل لا يجور، يحتج على خلقه بما يعملون، ويدعوهم إلى ما يعرفون لا إلى ما يجهلون وينكرون.

فأجازه هارون وأحسن لقاءه. وانصرف الإمام عليه السلام وقد دلّ خصمه ـ المسمى بأمير المؤمنين وخليفة المسلمين ـ على أمور الدين كما أوضح له منزلة أهل البيت عليهم السلام وصحّة أقوالهم ودعم ما ذهب إليه بأوثق الأدلة والبراهين ولا غرو فهذا الغصن الطيّب هو من تلك الشجرة الطيّبة التي غرسها الرسول صلى الله عليه وآله وتعهّد سقايتها ورعايتها.

٢ـ مع أبي حنيفة

دخل أبو حنيفة على الإمام الصادق عليه السلام فقال له:

رأيت ابنك موسى يصلّي والناس يمرّون بين يديه، فلم ينههم عن ذلك؟

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

فأمر أبو عبد الله ﷺ بإحضار ولده فلمّا مثل بين يديه قال له:

(يا بني، إنَّ أبا حنيفة يذكر إنّك كنت تصلّي والناس يمرّون بين يديك؟)

فقال ﷺ: (نعم، يا أبتِ وإنّ الذي كنت أصلّي له أقرب إليّ منهم، يقول الله عزّ وجلّ: **(وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)**[١].

عندها فرح الإمام الصادق ﷺ وسرّ سروراً بالغاً لما أدلى به ولده من المنطق الرّائع، فقام إليه وضمّه إلى صدره وقال مبتهجاً: (بأبي أنت وأمّي يا مودع الأسرار)[٢].

٣- مع علماء اليهود

قصد وفد من علماء اليهود الإمام الصادق ﷺ؛ ليحاججوه في الإسلام فلمّا مثلوا بين يديه انبروا إليه يطلبون منه الحجّة والدليل على نبوّة رسول الله ﷺ قائلين: أي معجز يدل على نبوة محمد ﷺ؟ أجابهم ﷺ:

كتابه المهيمن، الباهر لعقول الناظرين، مع ما أعطي من الحلال والحرام وغيرهما ممّا لو ذكرناه لطال شرحه.

- كيف لنا أن نعلم هذا كما وصفت؟

فانطلق الإمام الكاظم ﷺ وكان آنذاك صبيًّا قائلاً لهم: وكيف لنا بأن نعلم ما تذكرون من آيات الله لموسى على ما تصفون؟

- علمنا ذلك بنقل الصادقين.

- فاعلموا صدق ما أنبأتكم به بخبر طفل لقّنه الله تعالى من غير تعليم ولا معرفة عن النّاقلين.

فبهروا وآمنوا بقول الإمام الكاظم الصبي ﷺ، الذي هو المعجز بحق، وهتفوا معلنين إسلامهم قائلين: نشهد أن لا اله إلا الله وإنّ محمداً رسول الله، وإنّكم الأئمة الهادون والحجج من عند الله على خلقه. ولمّا أدلى الإمام ﷺ بهذه الحجة وأسلم القوم على يده، وثب إليه والده أبو عبد الله فقبّل ما بين عينيه. وقال له: أنت القائم من بعدي ثم أمره بكسوة لهم وأوصلهم فانصرفوا وهم شاكرون[٣] .

---

(١) سورة ق:/ الآية: ١٦.

(٢) بحار الانوار: ج١٢، ص٢٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ج٤، ص١٤٨.

ثانيًا: الرجوع في كل شبهة وإشكال إلى العلماء العدول

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ (عليه السَّلام) يَقُولُ: «إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ بَكَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَبِقَاعُ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُ اللهَ عَلَيْهَا، وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ الَّتِي كَانَ يُصْعَدُ فِيهَا بِأَعْمَالِهِ، وَثُلِمَ فِي الْإِسْلَامِ ثُلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَهَاءَ حُصُونُ الْإِسْلَامِ كَحِصْنِ سُورِ الْمَدِينَةِ لَهَا[1].

ثالثاً: تحذير العقائد الحقّة ونشر المعارف

العقائد الحقّة الصحيحة هي عند رسول الله ﷺ والعترة النبويّة الطاهرة عليهم السلام دون سائر المدارس والمذاهب، وكان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مبيّنًا لها، ومجيبًا لمن يسأل عنها. روي عن أبي حنيفة، أنَّه قال: أتيت الصادق عليه السلام لأسأله عن مسائل، فقيل لي: إنَّه نائم، فجلست أنتظر انتباهه، فرأيت غلاماً خماسيّاً أو سداسيّاً، جميل المنظر، ذا هيبة وحسن سمت، فسألت عنه فقالوا: هذا موسى بن جعفر. فسلمت عليه وقلت له: يا ابن رسول الله، ما تقول في أفعال العباد ممن هي؟.

فجلس ثم تربّع، وجعل كمه الأيمن على الأيسر، وقال: يا نعمان، قد سألت فاسمع، وإذا سمعت فعه، وإذا وعيت فاعمل.

إنَّ أفعال العباد لا تعدو من ثلاث خصال: إمّا من الله على انفراده، أو من الله والعبد شركة، أو من العبد بانفراده. فإن كانت من الله على انفراده، فما باله سبحانه يعذب عبده على ما لم يفعله مع عدله ورحمته وحكمته، وإن كانت من الله والعبد شركة، فما بال الشريك القوي يعذب شريكه على ما قد شركه فيه وأعانه عليه ـ قال ـ استحال الوجهان يا نعمان. فقال: نعم[2].

فكان الإمام الكاظم عليه السلام كأجداده الطاهرين عليهم السلام يحث على نشر العلوم الدينية، والمعارف القرآنية، وما ورد عن رسول الله ﷺ والعترة النبوية (صلوات الله عليهم أجمعين)، ويبين فضل ذلك وثوابه الجزيل.

قال موسى بن جعفر عليه السلام: من أعان محبًّا لنا على عدو لنا، فقوّاه وشجّعه حتى يخرج الحق الدال على فضلنا بأحسن صورة، ويخرج الباطل الذي يروم به أعداؤنا في دفع حقنا في أقبح صورة، حتى ينتبه الغافلون، ويستبصر المتعلّمون،

---

(١) الكافي : ١ / ٣٨ ، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني، المُلَقَّب بثقة الإسلام، المتوفى سنة : ٣٢٩ هجرية، طبعة دار الكتب الإسلامية، سنة: ١٣٦٥ هجرية / شمسية، طهران / إيران.

(٢) بحار الأنوار / ج ٤٨ / ص ١٧٥.

ويزداد في بصائرهم العالمون، بعثه الله يوم القيامة في أعلى منازل الجنان، ويقول: يا عبدي الكاسر لأعدائي، النّاصر لأوليائي، المصرّح بتفضيل محمد ﷺ خير أنبيائي، وبتشريف علي عليه السلام أفضل أوليائي، وتناوي من ناواهما، وتسمّي بأسمائهما وأسماء خلفائهما، وتلقب بألقابهم، فيقول ذلك ويبلغ الله ذلك جميع أهل العرصات، فلا يبقى كافر ولا جبار ولا شيطان، إلا صلّى على هذا الكاسر لأعداء محمد، ولعن الذين كانوا يناصبونه في الدنيا من النواصب لمحمد وعلي عليهما السلام [١].

وكان الإمام الكاظم عليه السلام ـ كآبائه وأجداده الطاهرين عليهم السلام سبباً لهداية الناس إلى الإسلام، ومذهب أهل البيت عليهم السلام، فكم من كافر أسلم على يديه، وكم من مخالف استبصر ببركته.

وكان الإمام عليه السلام يستفيد من كل فرصة للهداية، وتبليغ معالم الدين، وقد اهتدى على يديه الكثيرون.

رابعاً: الأخلاق الطّيّبة

كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كأجداده الطاهرين عليهم السلام في قمّة الأخلاق الحسنة، حليمًا كريمًا سخيًّا، يحسن الجوار، ويقضي حوائج الناس، ويسعى في حلّ مشاكلهم.

في الإرشاد: كان الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، أوصل الناس لأهله ورحمه، وكان يفتقد فقراء المدينة في الليل، فيحمل إليهم الزبيل فيه العين والورق والأدقة والتمور، فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أيّ جهة هو[٢].

وعن محمد بن سالم، قال: لما حمل سيدي موسى بن جعفر عليه السلام إلى هارون، جاء إليه هشام بن إبراهيم العباسي. فقال له: يا سيدي، قد كتب لي صك إلى الفضل بن يونس، فسله أن يروج أمري. قال: فركب إليه أبو الحسن عليه السلام، فدخل عليه حاجبه. فقال: يا سيدي، أبو الحسن موسى بالباب. فقال: فإن كنت صادقاً فأنت حر ولك كذا وكذا. فخرج الفضل بن يونس حافياً يعدو حتى خرج إليه، فوقع على قدميه يقبلهما، ثم سأله أن يدخل فدخل. فقال له: اقضِ حاجة هشام بن إبراهيم، فقضاها[٣].

وعن علي بن أبي حمزة، قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام يعمل في أرض له، قد استنقعت قدماه في العرق. فقلت: جعلت فداك أين الرجال!.

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٥٠.

(٢) الإرشاد: ج٢/ ص٢٣١-٢٣٢ .

(٣) بحار الأنوار / ج ٤٨ / ص ١٠٩.

فقال: يا علي، قد عمل باليد من هو خير منّي في أرضه ومن أبي.

فقلت: ومن هو؟!.

فقال: -رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وآبائي عليهم السلام كلّهم، كانوا قد عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين[١].

وعن إبراهيم بن عبد الحميد، قال: دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام في بيته الذي كان يصلّي فيه، فإذا ليس في البيت شيء إلّا خصفة، وسيف معلق، ومصحف[٢].

وكان من أخلاق الإمام الكاظم عليه السلام، شراء العبيد والإماء وعتقهم في سبيل الله -تعالى-.

منهم: أحمد بن أبي خلف ـ مولى أبي الحسن عليه السلام كان عليه السلام قد اشتراه وأباه وأمه وأخاه فأعتقهم[٣].

وروي أنّه عليه السلام قد أعتق ألف عبد في سبيل الله-تعالى-.

لقد قام الإمام عليه السلام بدوره ومسؤوليته الإلهية، رغم ظروفه السياسية الصعبة من الحصار والتضييق عليه، بتربية جيل من العلماء والرواة للحديث، وساهم مساهمة فعالة في إيقاف الانحراف الذي حملته بعض التّيّارات الفلسفية والعقائدية والكلامية المتأثرة بالغزو الفكري والعقائدي الخارجي .

---

(١) الكافي: ج٥/ ص٧٥ـ٧٦.

(٢) قرب الإسناد/ ص١٢٨.

(٣) الكافي: ج٦/ ص٥١٨ .

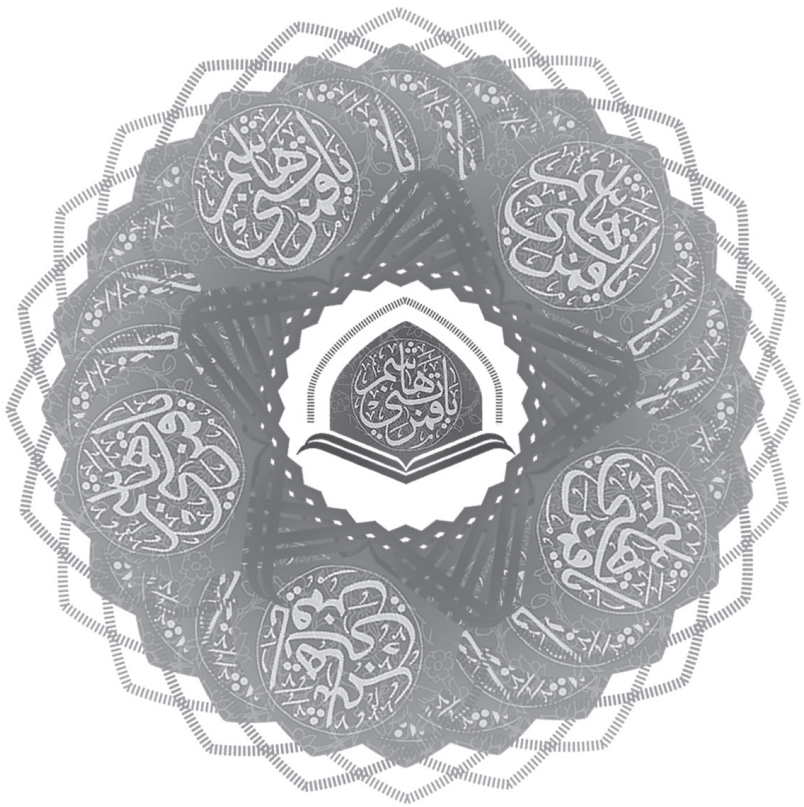

بسم الله الرحمن الرحيم
قُلْ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

شهـر شعبان

- ما قاله مفكرو الديانة المسيحية في الإمام الحسين عليه السلام
- العباس عليه السلام بين الوراثة والبيئة.
- شذرات سجادية
- قبسات من حياة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

ما قاله مفكرو الديانة المسيحية في الإمام الحسين عليه السلام

الأستاذ سعيد رشيد زميزم

الدين المسيحي يسمّى بذلك نسبة إلى السيد المسيح النبي عيسى بن مريم بنت عمران عليه السلام الذي بعثه الباري -جلّ وعلا- رسولًا إلى البشر، ولد السيد المسيح في بيت لحم أحد مدن فلسطين عام (٦٤٢) ق ـ هـ وكانت بعثته عام (٦١٢) ق ـ هـ وقد تآمر عليه اليهود، واستعدّوا لقتله وكان كتابه المقدّس هو (الإنجيل) ويطلق على أصحابه بـ (النصارى) وينتشر أتباع الدين المسيحي في جمع أنحاء العالم، ويمثله (البابا) وهو أعلى سلطة دينية، ويوجد مقره في دولة (الفاتيكان) التي تقع ضمن الأراضي الإيطالية، ولهذه الدولة الصغيرة سفارات في كثير من دول العالم.

هذا وقد تفرّق المسيحيون إلى عدة فرق ومن أهم هذه الفرق هي (الكاثوليكية، القبطية، الأرمنية، النسطورية، البروتستانية، الأرثودكية) إضافة إلى فرق أخرى إلّا أنّ هذه الفرق هي الأكثر انتشاراً في العالم.

وإليك بعض أقوال مفكريهم وكبارهم:

المفكر البريطاني الشهير ـ توماس كارليل

نبدأ بالمفكر المسيحي توماس فيلسوف ومستشرق اسكتلندي معروف درس في العديد من الجامعات البريطانية الشهيرة إضافة إلى دراسته في مجال القانون والأدب الألماني تأثر بالفيلسوف الألماني جوهان جو تليب فيخته، انتقل إلى لندن عام ١٨٣٤م وأصبح فيما بعد عضوًا في دائرة الأدب، قام بتأليف عدّة كتب معتبرة منها (الثورة الفرنسيّة، كتاب الأبطال الذي تحدّث فيه عن عددٍ من أبطال التأريخ كان منهم نبيّنا الخالد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ومن العبارات الجميلة التي قالها بحق النبي العظيم صلى الله عليه وآله ما يلي: «والله إنّي لا أحبّ محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع، إنَّما محمد شهاب قد أضاء العالم»، توفي في لندن عام ١٨٨٤م يقول عن الإمام الحسين عليه السلام ما نصه:

«إنَّ معركة كربلاء علّمتنا درسًا بأنَّ الانتصار لا يكمن خلف كثرة الجيوش بل يكمن خلف التّحلّي بالإيمان الصادق إذا كانت هناك مواجهة بين الحق والباطل، فإنَّ الحسين وأصحابه رغم قلّة العدد فقد انتصروا على أعدائهم؛ لتحلّيهم بالإيمان الصّادق بالله، ويمكن أن نستنتج من هذا أنَّه حين يعمّ الظلم أرجاء العالم عندها يطبق قانون

السماء وهو الجهاد والتّضحية، وهذا النّوع من التَّضحية والجهاد لا يقتصر على قوم دون آخرين، ولا على دولة دون أخرى، بل العالم الإنساني سيختار ذلك بنفسه، وقد علّمتنا كربلاء كيفية التضحية والجهاد، وهذا ما لا نجده في سائر التّواريخ»[1].

المؤرّخ البريطاني ـ أدوارد جيبون

كاتب انكليزي معروف ولد في جنوب العاصمة البريطانية لندن عام ١٧١٤م درس في العديد من الجامعات البريطانية كما درس في جامعة (لويزان) السويسرية، تخصّص في الأدب اللاتيني وفي تأريخ الرومان، خدم في الجيش البريطاني لمدّة إحدى عشرة سنة، تحوّل من الكاثوليكية إلى البروتستانتية سنة ١٧٥٤م.

يعتبر من كبار فلاسفة التأريخ ومن روّاد عصر التّنوير، ألّف العديد من الكتب ومن أشهرها (تأريخ أفول وسقوط الإمبراطورية الرّومانية)، شغل منصب عضو في الجمعية الملكية البريطانية (مجلس النواب) توفّي عام ١٧٨٨ ميلادية.

يقول عن الإمام الحسين عليه السلام ما نصّه:

«إنَّ مأساة الحسين المروّعة بالرغم من تقادم عهدها لابد أن تثير العطف والأسى في نفوس أقل الناس إحساسًا وأقساهم قلبًا، ففي تأريخ الإسلام وبخاصّة ما يتعلّق بسيرة الإمام الحسين وموقفه الفريد، والذي لا يمكن لأيّ كان انتهاجه أو حتى التّفكير بالقيام به، فلولا شهادته لكان الإسلام قد انتهى منذ أمدٍ بعيدٍ حيث كان منقذًا للإسلام وبفضل شهادته **مدّ الإسلام جذوره بشكلٍ عميقٍ إذ لا يمكن هدمه، ولا حتّى التّخيّل بهدمه أبدًا»**[2].

المفكّر الشهير ـ جبران خليل جبران

فيلسوف ومفكّر وأديب شهير، أصله من لبنان، بزغ نجمه منذ ريعان شبابه حيث كان يحمل فكرًا وعلمًا واسعًا استفاد منه شريحة كبيرة من الشباب الواعي في جميع أنحاء العالم حيث، ألَّف العديد من المفكرين وخاصة الأجانب عنه كتبًا عديدة تناولت حياته وأفكاره الصّائبة، وقد ترجمت هذه الكتب إلى لغات شتَّى، حصل على الجنسية الأمريكية حيث وصلها وهو في مقتبل العمر إلَّا أنَّ علاقته بوطنه الأصلي لم تنقطع.

له مقالات وكتب عديدة تتحدّث عن رموز الإسلام وفي مقدّمتهم النبي الكريم صلى الله عليه وآله والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أمَّا ما قاله في الإمام الحسين عليه السلام من مقالات وبحوث نشرها في أمّهات المجلّات والجرائد العالمية إضافة إلى

(١) فاجعة كربلاء في الضمير العالمي الحديث/ ج٢/ ٢١٠.

(٢) مجلة المبلغ الانكليزي ـ العدد الأول ـ السنة الأولى ـ لسنة ١٤٠٤هـ.

محاضراته القيّمة التي ألقاها في العديد من الجامعات العالمية، وقد انصبّت معظم محاضراته عن الإمام الحسين عليه السلام وتضحياته الجسام وصموده الرّائع. يقول عن الإمام عليه السلام ما نصّه:

«إنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد جسَّد كلّ قيم الحق والفضيلة في ثورته؛ ولأنَّه أعطى وضحّى بكلِّ ما يملك من غالٍ وعزيز لدرجة أنَّه قد فاق بتضحياته الحمراء كلّ ما قدّمه الرسل والأنبياء من بني الإنسان، لم أجد إنسانًا كالحسين سطّر مجد البشرية بدمائه»[1].

الدكتور الباحث ـ فكتور الكك

مفكّر وباحث مسيحي له صولات وجولات في ميدان الفكر والأدب عرف بسلاسة الأسلوب ودقّة المعلومة، نشر المئات من البحوث والمقالات وخاصة في قضايا العرب المصيرية إضافة إلى مقالاته التي نشرها في أشهر الصحف اللبنانية والمصرية والسوريّة والعراقية وهو يعالج فيها أهم القضايا الإسلامية والعالمية، ركَّز في أغلب المواضيع الإسلامية التي أشار إليها في أكثر مقالاته حول القضايا الإسلامية وخاصّة القضية الحسينيّة حيث كان مولعًا بالاطلاع على خفايا وزوايا هذه القضية الخالدة التي شغلت بال وفكر الكثير من المؤرّخين العرب والمسلمين وغير المسلمين.

يقول عن الإمام الحسين عليه السلام وقضيّته العادلة ما نصّه:

«إنَّ ثورة الحسين هي عقيدة لا مسلك، فعلى مفرقة استوى المجد تاج حقّ لا تاجاً من الذهب وبيمناه فخر الصولجان إرثًا من الرسالة العلوية لا فضّة صيغت من آهات المحرومين وخبز الجائعين».

ويقول في مجال آخر ما نصّه:

«مجد سواك يا حسين شيّد على جماجم المغدورين والمستضعفين، أمَّا مجدك ففي حبّات القلوب التي لا تخفق إلَّا للحق، مجد سواك كان اغتصابًا للمجد في زمان معيّن ومكان معيّن، أما مجدك فرأيته خفّاقًا في كلِّ زمان وفوق كلّ مكان، بشهادتك يا حسين دخل التأريخ حرم الوجود خافضًا جبينه فولدت الأرض من جديد بالروح»[2].

المفكّر الفرنسي الكبير ـ لويس ماسنيون

مفكّر فرنسي ذاع صيته في جميع أنحاء العالم الإسلامي لكثرة بحوثه واطلاعه على قضايا الأمّة الإسلاميّة ولد في فرنسا، درس في العديد من جامعاتها كان له نفوذ كبير في إعطاء صورة واضحة عن الإسلام لمفكّري الغرب

(١) مجلة الموسم الهولندية ـ العدد ـ ٣ـ المجلد ـ ٤ـ اصدار سنة ١٩٩٢.

(٢) فاجعة كربلاء في الضمير العالمي/ ص١٣٢ / تأليف راجي أنور هيفا.

والشرق، مهّد الطريق للكنيسة الكاثوليكية للانفتاح على الإسلام ومبادئه السمحاء على حساب ما ورد في (اعلان الفاتيكان ـ ٢) حيث شغل منصب كرسي في الاجتماع الإسلامي جامعة باريس.

درس على يده أشهر مفكّري فرنسا منهم المستشرق الفرنسي (هنري كوربان) وكذلك درس على يده الكثير من مفكّري الإسلام منهم الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقًا، والمفكّر المصري عبد الرحمن بدوي، والمفكّر جورج مقدسي وغيرهم، ألّف العشرات من الكتب القيّمة عن الإسلام لا مجال لذكرها هنا لكثرتها، توفّي في سنة (١٩٦٢) ميلادية.

يقول عن الإمام الحسين عليه السلام ما نصّه:

«إنَّ الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله كان شديد الحبِّ لابنته الطاهرة فاطمة عليها السلام حتى إنّه كان يلقّبها بأمّ أبيها إيمانًا منه بأنَّها ـ إلى جانب زوجها علي عليه السلام ستحفظ مبادئ الإسلام الدّينيّة والإنسانية من خلال ذرّيّتها المقدّسة المتمثّلة بشكلها الأوضح في شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام الذي سيأتي من نسله أئمّة أطهار، وسيكون آخرهم الإمام المهدي عليه السلام»[1].

المفكّر الفرنسي ـ بان ريثار

مفكر فرنسي ولد ونشأ في فرنسا وتخرَّج من جامعاتها، درس التأريخ الإسلامي عن كثب، تخصّص في دراسة الفرق الإسلامية الخمسة إلَّا أنّ جلَّ اهتمامه كان منصبًّا على (فرق الشيعة)، وقام بتأليف كتاب معتبر أسماه (الإسلام الشيعي).

يقول عن الإمام الحسين عليه السلام ما نصّه:

«إنَّ لأبناء السّيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام وتحديدًا الإمام الحسين عليه السلام الدّور الفعَّال في عملية استمرار النسل المحمّدي الحامل والمجدّد دومًا للديانة الإسلامية، تلك الديانة التي أثبتت قوّتها وجدارتها فعلاً يوم حادثة المباهلة حيث باهل الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وفد نجران، أو بالأصح كاد أن يباهلهم بأغلى الناس على قلبه وبأهل بيته عليهم السلام الذين يمثّلون صفوة رسالته الإلهية، بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام»[2].

الكاتب الاسترالي ـ فليب موريسي

باحث وكاتب من سكّان استراليا الأصليين، تشرّف بالانتماء إلى الإسلام ومن ثمّ انتمى إلى المذهب الجعفري، له اهتمام واسع في تأريخ دولته وأبناء جلدته الأصليّين، درس الثقافة الإسلامية وكتب العديد من البحوث عن الدين

(١) لويس ما سينيون ـ تأليف المفكر الفرنسي ـ جان موريون ـ ترجمة منى النجار ص٨١.

(٢) الإسلام الشيعي ـ تأليف بان ريثار ـ ترجمة حافظ الجمالي دار عطية ـ بيروت/ ١٩٩٦/ ص٤٧ .

الإسلامي الخالد.

يقول عن الإمام الحسين عليه السلام ما نصه: «**لم يكن الحسين بن علي عليهما السلام مجرّد شخصيّة دينية عاشت برهة من الزمن تبعتها شريحة معيّنة ومرحلة أخرى كما صوّر البعض، ولم يكن قائدًا سياسيًّا أمضى فترة من الوقت يناضل ضدّ طاغية زمانه فحسب، بل الحسين عليه السلام أكبر بكثير من ذلك، إنَّه شخصيّة فضلى اجتمعت فيه كلّ مقوّمات الإنسانية فامتلك الإرادة النافذة من قبل الله -جلا وعلا-، وتمكّن من أن يحكم القلوب والعقول معًا، ليس في زمانه فقط بل تجاوز عصره؛ ليكون الحسين عليه السلام علمًا قبل أن يخلق كما ظل علمًا إلى يومنا هذا، وسيظلّ كذلك إلى أن تحكم مفاهيمه التي جاهد لأجلها في ظل حكومة حفيده الذي سيملأ الأرض عدلاً وقسطًا بعدما تملأ ظلمًا وجورًا، لقد نهض الحسين عليه السلام؛ ليدافع عن الإنسانية ومفاهيمها، ويطبّق مبادئ السماء التي جاء بها جدّه الرسول صلى الله عليه وآله**» [1].

المفكّر الفرنسي الشهير ـ روجيه غارودي

مفكّر وكاتب فرنسي ذاع صيته بالأوساط العلميّة في جميع أرجاء العالم، ولد ونشأ في العاصمة الفرنسية باريس، درس في جامعاتها، بعد تخرّجه عمل أستاذًا في أشهر الجامعات الفرنسية حتى عدّ أحد كبار مفكّري فرنسا في القرن العشرين، ألّف العشرات من الكتب المهمّة التي كانت مصدرًا مهمًّا للباحثين مسلمين وغير مسلمين، كتب عنه العشرات من مفكّري أوربا، من أشهر كتبه التي ترجمت إلى لغات عديدة هو كتاب «الإسلام دين المستقبل» وهو كتاب قيّم جدًّا تحدث فيه عن التاريخ المشرق لهذا الدّين القويم، اعتنق الإسلام في أواخر أيّامه بعد أن عرف بأنَّه الدين الرّائد، ظل يرفد الساحة الأوربية بكتبه الرّائدة إلى أن تُوفّي.

يقول في كتابه المذكور عن الإمام الحسين عليه السلام ما نصّه:

«**إنَّ نموذج هذا الشّهيد جسده لدى المسلمين استشهاد الإمام الحسين حفيد النبي الذي استشهد في معركة كربلاء في عام ٦٨٠ميلادية، أنَّ للشهيد هنا معنى آخر غير الهزيمة أو الموت؛ لأنَّه شاهد باسم الحق والإيمان أنَّه في نفسه مساهمة في نصر هذا الحق وهذا الإيمان**»[2].

المفكّر الكبير ـ أنطوان بارا

مفكّر وأديب سوري رائع ولد ونشأ في سوريا، درس في مدارسها وجامعاتها، عمل في الصحافة، درس القضية الحسينية بكلّ تفاصيلها ممّا جعله أن يكون مطلعًا على خفايا وخصوصيات هذه الثورة الخالدة كتب في المئات من

(١) الحسين عليه السلام والتشريع الإسلامي ـ ح٢ ـ ص٤٦٢.

(٢) الإسلام دين المستقبل ـ ص٤٨ ـ تأليف الدكتور روجيه غارودي

الصحف العربية عن الثورة الحسينية الجبّارة، ألّف العديد من الكتب في العديد من المجالات ومن أروع ما أنجزه بحقّ الإمام الحسين عليه السلام كتابه الرائد «الحسين في الفكر المسيحي» الذي ترجم إلى العديد من اللغات الأجنبية بسبب المعلومات الضّخمة التي احتواها هذا الكاتب المتميّز الذي اعتبر من أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحثون، لا يزال يقدّم عطاءه في خدمة القضية الحسينية نتمنى له طول العمر لخدمة التراث الحسيني الخالد.

يقول في الإمام الحسين عليه السلام ما نصّه:

«إنَّ ثورة ريحانة النبي هي أعظم الثورات قاطبة، شهادته متمّمة لكلِّ الشهادات التي سبقتها، إنَّ هذه الثورة قدّمت قربانًا لها، الشيخ والمرأة والطفل والرضيع، وكانوا كلهم في ميدان واحد مشاهدي مجزرة ومتحملي نتائجها، فهي ثورة جعلت من مشعل أوارها وارث آدم صفوة الله، ووارث نوح نبي الله ووارث إبراهيم خليل الله ووارث عيسى روح الله ووارث محمد حبيب الله»[1].

الكاتب المسيحي ـ الأب سهيل قاشا

كاتب عراقي من الإخوان المسيح ولد في العراق، درس في جامعة بغداد، غادر بلاده واستقرّ في لبنان، تولّى التدريس في عدد من الكليات اللبنانية، أعدّ عدّة بحوث وألّف عددًا من الكتب العلمية والتأريخية، يقول عن الإمام الحسين عليه السلام ما نصّه:

«الإمام الحسين عليه السلام، الحكيم الشّجاع، الغيور والسّخي والعادل الذي قدَّم نفسه فداء عن أمّته، ما من رجل أعظم من هذا أن يبذل الإنسان نفسه فداء عن أحبّته، فوطأ الموت وصار فجرًا للحياة نافذ البصيرة، شهم النّفس، ناصف المظلوم، قاهر الظالم، مجير الذليل وابن السبيل، لا يجابي الوجوه ولا يتملّق، كلامه حق، وحكمته عدل، وعمله انصاف، وشهادته راية، ودمه بذار أينعت ثمارها في أرض العزّة والسؤدد، عاش الإسلام بضميره ووجدانه وليس بحرفيته، بطل مناضل، ثائر ومتمرّد على واقعة الذي كان يعاني من الظلم والفساد، فأعلن الثورة على أزلام النّفاق والدجل، وكانت واقعة كربلاء المنتصرة رغم الشهادة، وما زالت روح الاستبسال الذي مضى فيها بريقه يلمع ورعده يزلزل بصوت الفداء «الله أكبر على الظالم»[2].

الشاعر اللبناني الكبير ـ بولس سلامة

أحد شعراء وأدباء لبنان الكبار ولد سنة ١٩١٠م في قضاء (جزين) أحد مناطق لبنان المعروفة والتي برز منها

(١) الحسين في الفكر المسيحي/ ص٨١/ تأليف أنطوان بارا.

(٢) أجنحة المعرفة/ ص١٦١.

العشرات من الأدباء والشعراء والمفكّرين الفطاحل، درس في العديد من الجامعات اللبنانية، بعد تخرّجه عمل قاضيًا في مناطق عديدة من لبنان، كتب في العشرات من المجلّات والصّحف اللبنانية والعربية، له دراسات أدبية وفكرية كثيرة إضافة إلى مؤلّفاته القيّمة.

تخصّص في مجال الشعر حيث نظم الكثير من القصائد البديعة والجميلة، من أشهر قصائده الملحميّة (قصيدة الغدير) التي تجاوزت أبياتها عدة آلاف، ظل يرفد الساحة العربية بشعره الوفير إلى أن توفي عام ١٩٧٩م، له أيضًا قصائد عديدة في الإمام الحسين عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام إضافة إلى ما نظمه بحقّ الإمام علي عليه السلام .

يقول عن الإمام الحسين عليه السلام ما نصّه:

أطلق السبط قلبه في صلاة ... فالأريج الزكي في النسمات
المناجاة ألسن من ضياء ... نحو عرش العلي مرتفعات
وهمت نعمة القدير سلاما ... وسكوتا للأجفن القلقات
ودعاه إلى الرقاد هدوء ... كهدوء السحار في الربوات
وصحا غب ساعة هاتفا ... أختاه بنت العواتك الفاطمات
إنّني قد رأيت جدّي وأمّي ... وأبي والشقيق في الجنات
بشّروني أنّي إليهم سأغدو ... مشرق الوجه طائر الخطوات

ويقول أيضاً في جانب آخر عن الإمام الحسين عليه السلام ما يلي:

يا ضياء الغروب في كربلاء ... دونك الشمس في الغروب ضياء
كيف باتت والكواكب الضخم ... يهوي مثلما تسقط الجبال انكفاء
صبغ النهر قانياً وتدلت ... شجرات تكاد تلقى الرثاء
أرسل العندليب شجو جريح ... واستحرت فيه الدموع دماء
وهو لو تعلم الغصون نواح ... بث فيها الأسى بعاشوراء

يستمر شاعرنا المسيحي الكبير في الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام فيقول:

دمك السمح يا حسين ضياء في الدياجير يلهم الشعراء
أي فضل لشاعر منك يتسلم اللآلي يصوغ منها رثاء
شاعر مقعد جريح مهيض كل أيامه غدت كربلاء

يتابع الشاعر الكبير سلامه، وكلامه عن الإمام الحسين عليه السلام فيقول:

كدت أقضي لولا النهي والتّأسّي ونعيم أصوغه وهميّاً
أتأسى بابن البتول فيوليني عزاء وبلسماً معنويّاً
أتأسى بهاجر يقطع الصحراء قسراً عن بيته منفيّاً
ما رأى في الحياة ظل هناء منذ ما عاد من (حراء) بنياً
أتأسى بالأكرمين خصالا لم يسيغوا في العمر شربًا مريّاً
جراح (الحسين) في كل جرح يجد الصبر كهفه الأزليّا

هذا جزء يسير مما نظمه شاعرنا القدير (بولس سلامه) في الإمام الحسين عليه السلام [1]

الفيلسوف الألماني (ماربين)

مفكّر ألماني قدير تعمَّق في دراساته عن الفكر الإسلامي ونقاطه المفصليّة، درس القضيّة الحسينية بشغف حيث اطّلع على الكثير من المصادر التي تحدّثت عنها كما حضر العديد من المجالس الحسينية في العديد من الدولة وخاصّة تركيا التي فيها أقلّيّة لا بأس بها من الشيعة وخاصّة في مدينة اسطنبول التركية حيث يذكر في أحد كتبه بأن حضر أحد مجالس التّعزية في هذه المدينة التّركية وأنَّه تأثَّر كثيراً عندما استمع إلى الشرح الوافي الذي قدّمه الخطيب الحسيني في هذا المجال وقد شرح في كتابه (السياسة الإسلامية) عن تلك المجالس الحسينيّة وسنشير إلى أحد أقواله في هذا المجال

(١) علي والحسين في الشعر المسيحي/ ص٦٠ ـ ٧٩.

يقول عن الإمام الحسين ﷺ ما نصّه:

«لقد قتل قبل الحسين ﷺ -ظلمًا وعدوانًا- كثير من الرؤساء الروحانيين وأرباب الديانات، وقامت الثورة بعد قتلهم بين تابعيتهم ضد الأعداء كما وقع مكرراً في بني إسرائيل، وقصّة يحيى من أعظم الحوادث التأريخية، ومعاملة اليهود مع المسيح لم يرَ نظيرها إلى ذلك العهد، ولكن واقعة الحسين فاقت الجميع، فإنّ كل أحد من أرباب الديانات الذين قتلوا، ثار عليهم أعداؤهم وقتلوهم ظلمًا، وبمقدار مظلوميّتهم قامت الثورة بعدهم، ومقاصد الحسين كانت على علم وحكمة وسياسة، ليس لها نظير في التأريخ».

أما عن المجالس الحسينية فيقول ما نصّه:

«ينبغي لنا أن ندقّق النظر فيما يذكر من النكات الدقيقة الحيوية في مجالس إقامة عزاء الحسين ﷺ ولقد حضرت دفعات في المجالس التي يذكر فيها عزاء الحسين في (اسطنبول) مع مترجم وسمعتهم يقولون ـ إنَّ الحسين الذي كان إمامنا ومقتدانا ومن تجب طاعته ومتابعته علينا، لم يتحمّل الضيم ولم يدخل في طاعة يزيد وجاد بنفسه وعياله وأولاده وأمواله في سبيل حفظ شرفه وعلى حبّه ومقامه، وفاز في قبال ذلك ليحسن الذّكر والصّيت في الدنيا والشفاعة يوم القيامة والقرب من الله وأعداؤه قد خسروا الدنيا والآخرة.

فرأيت بعد ذلك وعلمت أنَّهم في الحقيقة يدرس بعضهم علناً (أي بالقول لهم) بأنّكم إن كنتم من شيعة الحسين ﷺ وأصحاب شرف، وإن كنتم تطلبون السيادة والفخر، فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد ولا تتحمّلوا الذّل، بل اختاروا الموت بعزّة على الحياة بذلة حتى تفوزوا بحسن الذكر في الدنيا والآخرة وتحظوا بالفلاح»[1].

العالم الهولندي ـ يرميل بيتر

عالم وباحث هولندي معروف في الأوساط العلمية والأدبية في بلاده، ولد ونشأ في العاصمة الهولندية، كتب في العديد من الصّحف والمجلّات الهولندية، قرأ عن الإمام الحسين ﷺ وثورته الجبّارة فكتب في هذا المجال ما يلي:

يقول عن الإمام الحسين ﷺ ما نصه:

«لقد أظهر الحسين ﷺ بتضحياته الوجه النّاصع للإنسانية، ويأتي جهاده في سبيل إصلاح المجتمع في مقدّمتها، لقد علمنا الحسين كيف ندافع عن الحق ونقاوم من أجله فقد نصح الجماهير الإنسانية بأن يتعالوا عن الصراع للمصالح الشخصية والفردية بل عليهم أن يحافظوا على حقوق الإنسان ويدافعوا عن حقوق المظلومين والمحرومين، وعلينا

(١) فاجعة كربلاء في الضمير العالمي الحديث: ج٤٢ / ص٣٥٤ / ٣٥٥ تأليف راجي أنور هيفا.

أن نتعلّم من سيرته أيضًا الحماية عن الحق دائمًا وأن نهيّئ نفوسنا لأيّ مقاومة وجهاد في سبيل ذلك وقد يقتضي تقديم القرابين العظام لأجل تحقيق ذلك، وربما نواجه في النّهاية بالفشل ظاهرًا، وتظهر شخصية الإمام الحسين ﷺ أنَّ العصور لا تخلو من نداء السماء المدوّي لأجل هداية الأمم، وقيادتها الوصول إلى حقوقها المشروعة»[1].

الكاتب اللبناني ـ سليمان كتاني

باحث وكاتب لبناني شهير، ولد في لبنان عام (١٩١٢)م، أخذ دروسه الابتدائية في مدارس بلدته (بسكنتا) بعدها دخل معهد الحكمة، ونال بعد ذلك شهادة الفلسفة، انخرط في سلك التَّعليم قرابة عشرين عامًا حيث كان مدرّسًا لمادّة الأدب العربي، تفرغ فيما بعد للتأليف حيث أصدر العشرات من الكتب المهمّة التي تناولت القضايا التأريخية والعلمية، أنجز مجموعة قيّمة من الكتب المعتبرة التي تخص تأريخ آل البيت ﷺ ومن أشهر كتبه في هذا المجال هي:

(محمد شاطي وسحاب، الإمام علي نبراس ومتراس، فاطمة الزهراء وتر في غمد، الإمام الحسن الكوثر المهدور، الإمام زين العابدين عنقود مرصع، الإمام الباقر نجي الرسول، جعفر الصادق ضمير المعادلات، الإمام الكاظم ضوء مقهور الشعاع وغيرها من الكتب الفاخرة أما ما ألّفه عن الإمام الحسين ﷺ فكان الكتاب الرائع «الإمام الحسين في حلة البرفير).

يقول عن الإمام الحسين ﷺ ما نصه:

«لم تكن مسيرة الحسين ﷺ غير ثورة في الروح لم ترضَ بسيادة البغي والجهل والغباء، بالأمس كان أخوه الحسن قدوة بيضاء، وها هو اليوم الحسين يقوم بقدوة حمراء، وكلا القدوتين مشتقّ من مصدر واحد هو المصدر الأكبر من أجل بناء المجتمع بناءً تتعزّز في تطويره وتتنوع كلُّ السبل، هكذا قال جدّه وأبوه في حقيقة الرسالة، وهكذا قالت الوصيّة، وهكذا قالت له الإمامة الهاجعة في ضميره والمفسّرة في التّصرّف الأحمر.

تلك هي المسيرة ـ مسيرة الحسين ـ وتلك هي الكلمة التي خطَّها، وتلفَّظ بها عنفوان الحسين وتلك هي المأساة تقرأ الرّوح انتحاراً، وتقصيف السيوف في ساحات الدفاع عن تلك الكلمة التي ادعوك ـ يا قلمي ـ إلى جلوة حروفها ـ أنَّ الحسين شرارة الكلمة، وحل بيني مجتمع صحيح بغير مثل هذا الشرار»[2].

---

(١) قالوا في الحسين ﷺ : ج١، ص٤٢٩.

(٢) الإمام الحسين ﷺ في حلة البرفير ـ ص١٦ ـ تأليف الأستاذ سليمان كتاني.

الكاتب البريطاني ـ سيتون لويد

كاتب وعالم بريطاني ولد ونشأ في بريطانيا، دخل في جامعاتها الشهيرة بعد حصوله على الشهادة الجامعية، تخصّص في علم الآثار حتَّى أصبح من أشهر علماء الآثار في العالم، أصدر العشرات من الكتب في مجال عمله، أشهر كتبه هو كتاب (تأريخ العراق من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر) درس بإمعانٍ تاريخ القضية الحسينية المباركة فكتب عنها ما نصّه:

«حدثت في كربلاء فظائع ومآس صارت فيما بعد أساساً لحزنٍ عميقٍ في اليوم العاشر من شهر محرَّم من كلِّ عام، فقد أحاط الأعداء في المعركة بالحسين وأتباعه، وكان بوسع الحسين أن يعود إلى المدينة لو لم يدفعه إيمانه الشديد بقضيّة الصّمود.

ففي الليلة التي سبقت المعركة بلغ الأمر بأصحابه القلائل حدًّا مؤلمًا، فأتوا بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم، فحضروه في ساعة من الليل وجعلوه كالخندق ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب، وأضرموا فيه النّار لئلا يهاجموه الأعداء من الخلف، وفي صباح اليوم التالي قاد الحسين أصحابه على الموت، وهو يمسك بيده سيفًا وباليد الأخرى القرآن، فما كان من رجال يزيد إلَّا أن وقفوا بعيدًا، وصوّبوا نبالهم فأمطروهم بها، فسقطوا الواحد بعد الآخر، ولم يبقَ غير الحسين وحده، واشترك ثلاثة وثلاثون من رجال بني أميّة بضربه سيف أوسهم في قتله، وأوطأ أعداؤه جسده وقطعوا رأسه»[1].

البروفيسور بيير لوري

مفكّر فرنسي ولد في باريس على ١٩٥٢م، درس العلوم السياسية واللغة العربية والحضارة الإسلامية في باريس.

انتقل إلى الشرق الأوسط، وقضى عدّة سنوات في لبنان وسوريا ومصر وإيران لدراسة الحضارة الإسلامية.

نال شهادة الدبلوم العالي سنة ١٩٧٠م من المدرسة الدولية الأوربية في بروكسل، نال شهادة الليسانس في اللغة العربية من جامعة السوربون الفرنسية عام ١٩٧٥م، عمل أستاذًا محاضرًا في جامعة السوربون، وخصّص له كرسي التصوف الإسلامي في جامعة السوربون، له العشرات من البحوث والمقالات في مختلف الشؤون الإسلامية كما قام بتأليف العديد من الكتب منها (علم الكيمياء والتصوف في الإسلام، تدبير الأكسير الأعظم عند جابر بن حيان).

---

(١) الثورة الحسينية في الفكر العالمي ـ تأليف عبد الله المتنفكي ـ ص٦٧.

يقول عن الإمام الحسين عليه السلام ما نصه:

«إنَّ إحياء مناسبة استشهاد الحسين عليه السلام في الوقت نفسه تمثّل ثقلًا ذا معان روحيّه فكلّ إمام يحمل رسالة خفيّة خاصّة (باطنية) مكمّلة لقانون الشريعة السماوية، ولكن لا رسالة، ولا صفات الأئمة تتطلّب بالضرورة كمًّا كبيرًا بل هي على الأغلب محصورة بحلقة ضيّقة من الأنصار.

فشهادة الحسين عليه السلام في كربلاء بحدِّ ذاتها تعتبر رسالة من هذا النوع، كعمل يوجّه المؤمن إلى حقيقة أعمق، وهذا المعنى العميق يعالج القيمة الحقيقية للشهادة العقائديّة، ذلك أنّ الدين الإسلامي لم يمنح قيمة خاصّة للعذاب المكتسب في حدِّ ذاته، فكلُّ ما يحصل للإنسان أو الجماعة في الحياة الدنيا هو بإرادة ورغبة الخالق، ومعركة كربلاء تشكّل رواية المأساة وليس فاجعة؛ لأنَّها ما فتئت تكتشف الانتظار للوعد السرمدي»[1].

البروفيسور السويدي ـ بان ـ أرفيد هنينغسون

ولد في مدينة أبسالا السويدية عام ١٩٥٠م، نشأ وترعرع في مدينته التي تخرّج من جامعتهم قسم اللغات السامية والعربية.

عمل أستاذًا للغة العربية والدراسات الإسلامية في قسم اللغات بجامعة ابسالا تولّى الأمانة العامَّة في اللجنة الفكرية في مجلس الكنائس السويدي في مدينته، شغل منصب مدير المعهد السويدي في الاسكندرية في مصر، كما شغل منصب رئيس حركة مناهضة الفصل العنصري في السويد.

نشر الكثير من المقالات والدراسات حول حوار الأديان والعلاقة بين الأديان، له العديد من المؤلّفات والتي ترجمت إلى اللغة العربية، ومن أبرز هذه المؤلّفات هي «الاعتقاد يقابل الاعتقاد، نحو علاقة متبادلة لمعرفة الحكمة، الإسلام وحقوق الإنسان وغيرها من الكتب».

يقول عن الإمام الحسين عليه السلام ما نصه:

«نعترف نحن المسيحيين بأنَّ في حياة الحسين عليه السلام الأليمة سمات عدة نشاهدها في العيد المضحي لله .... الحسين عليه السلام ليس مظهرًا للسلطة السياسية والعسكرية حيث إنّه في الوقت الذي لا يطالب بالسلطة فإنّه لا يتنازل عن المعارضة والمقاومة من هنا فإنَّ الحسين امتلك بنهضته وشهادته قدرة عظيمة للغاية، للحواريين المسيحيين والإسلام بالفصل يمكن أن يصبح الحسين جسرًا، وحلقة وصل بين المسيحين والمسلمين والذين يؤمنون بأنَّ المسيح الذي صلب عاد

(١) نزهة القلم ـ/ ص١٢٥ / تأليف الدكتور نضير الخزرجي.

حيًّا بعد الموت، الحقيقة بين الناس ولكن الحقيقة خالدة عند الله»[١].

المفكر البريطاني ــ أرثور ولستون

كاتب بريطاني معروف ولد في العاصمة البريطانية لندن عام (١٨٤٢)م التحق في شركة الهند الشرقية وهي شركة بريطانية عملت في الهند والخليج العربي من خلال العهد العثماني الذي كان يحكم المنطقة في تلك الفترة منح وسام الامبراطورية البريطانية بمناسبة الخدمات التي قدّمها للحكومة البريطانية، ألَّف عدة مؤلفات منها: (سيف الإسلام، ساعة مع محمد)، وغيرها من الكتب توفي في بريطانيا عام (١٩٢٢)م.

بعد اطلاعه على التأريخ الإسلامي المشرق وقادته العظام ومنهم الإمام الحسين عليه السلام، كتب عن الإمام الحسين عليه السلام ما يلي:

«لم يشهد العالم قطّ رجلًا هالت عليه مثل تلك المصائب والآلام من العطش والجوع، وعدم الاستقرار، ومع هذا فقد قاوم وواجه هذا الكم الهائل من الأعداء في تلك الصحراء العربية ذات الحرارة الشديدة، نعم كان ذلك هو الحسين الذي تمكّن أن يقاوم العدو، وهذه علاقة بارزة مميّزة تدعى علو معنوياته وصفاء ذاته، وقد عمل بصدقٍ بكلِّ ما يعتقد به ودافع عن أهدافه بكلّ إخلاص.

وكان في الصبر والاستقلال والأخلاق، وفي كلِّ ممارساته المثل الأعلى الذي لا يضاهيه أحد، ولذلك يمكن القول بأنَّ الحسين بحدّ ذاته كان معجزة، وهذا الإنسان هو الذي تفتخر به العلماء في كلِّ العصور وتتحدّث عنه، والأهم أنَّ العالم لم يتعرف على شخصية شجاعة غيره»[٢].

---

(١) نزهة القلم / ص١٤٢ .

(٢) الحسين عليه السلام للجميع / لمؤلفه البروفيسور شوكت على عابد الباكستاني ص١٥٤.

العباس عليه السلام بين الوراثة والبيئة

العلَّامة الفقيد السيد محمد علي الحلو رحمه الله

امتازت شخصية العباس بن علي عليه السلام بصفات عدة كانت مضرب الأمثال، وكان لاهتمام الإمام علي عليه السلام به الأثر المهم في تعزيز هذه الصفات لدى العباس عليه السلام فالإمكانيات المتعددة هي السمة البارزة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولابد أنْ تنعكس هذه الصفة على أولاده الآخرين، وكان للعباس بن علي عليه السلام إمكانية التلقي بشكله الإيجابي لهذه الصفات المهمة في شخصيته.

أدرك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ضرورة مراعاة الحالة الوراثية التي ستساعد كثيراً في اقتناء الصفات التي يُراد لها أن تنتقل إلى وليده القادم، لذا فقد نقل المؤرخون بأنّ الإمام عليه السلام حينما عزم على الزواج طلب من أخيه عقيل امرأةً آباؤها من فحولة العرب وشجعانهم، ولم يكن يغيب عن ذهنه أفضل هذه القبائل، إلَّا أنّه أراد أن ينوّه إلى أمرٍ مهم وهو الأخذ بالاعتبار في مراعاة ذوي الاختصاص وإعطاء دورهم في التنوع المعرفي الذي يحتاجه المجتمع، لذا فإنّ خطوة الإمام عليه السلام هذه تؤكّد على ضرورة احترام الاختصاص، وعدم إقصاء ذويه، ومهما بلغ الإنسان من مرتبة ما فلابُدَّ أنْ يشارك ذوي الاختصاص في قراراته.

فقد أورد المؤرّخون أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام استشار أخاه عقيلاً في امرأةٍ يتزوّجها ذات مواصفات محدّدة، تنتمي إلى أفضل بيوتات العرب في الشجاعة والبأس، فقال لأخيه عقيل: «اطلب لي امرأةً ولدتها شجعان العرب، حتى تلد لي ولداً شجاعاً.

وفي لفظ آخر قال: «انظر إليّ امرأةً قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها، فتلد لي غلاماً فارساً».

فقال له عقيل: تزوّج أمّ البنين الكلابية، فإنَّه ليس في العرب أشجع من آبائها[1].

وفي هذين النّصّين نجد أنَّ الإمام عليّاً عليه السلام قد راعى الجانب الوراثي الذي أكّده رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: « **أَنْكِحُوا**

(١) عمدة الطالب لابن عنبة ص٣٥٧ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص٣٨٩ و٣٩٠ والطبعة الأولى ج١٢ ص١٩٦ وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج٧ ص٤٢٩ وج٨ ص٣٨٩ والأنوار العلوية ص٤٤٢ وعقيل بن أبي طالب للأحمدي الميانجي ص٤٧.

الْأَكْفَاءَ وَ انْكِحُوا فِيهِمْ وَاخْتَارُوا لِنُطَفِكُم، وتَزَوَّجُوا فِي الْحُجْزِ الصَّالِحِ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاس»[1].

وقد أُثبت علمياً أنَّ الوراثة من إحدى العوامل الأساسية في تربية الأجيال. ففي استعراضهم للجانب الوراثي يشير أحد الباحثين بقوله في تعزيز نظرية الوراثة والصفات المكتسبة بقوله: ويعني ذلك أنّ المكونات الأساسية للفرد تتحدّد من بداية الحمل، وتقتصر العمليات الذاتية بعد ذلك على الزيادة في الحجم تحت ظروف معينة، وهذه الموروثات هي الوحدات الأساسية للصفات الموروثة، وهي تحتفظ بالمعلومات اللازمة للمكونات والخصائص الجسمية التي تحدد طريقة نمو الكائن الحي.

ويشير (أرنو.ف. ويتيج) في كتابه مقدمة في علم النفس إلى أنّ طريقة الانتخاب للجينات الوراثية بواسطة الأبوين مهمة في تحديد الصفات الخلقية للمولود بقوله: وتتجمع الموروثات أو الجينات في صورة أزواج أحدهما من الأب والآخر من الأم، ويتحكم كل زوج في بعض جوانب النمو، وفي حالة عدم تشابهها فإنّ أحدهما يسود ويسيطر على العنقة الوراثية، والآخر لا يؤثر ويسمى بالموروث المتنحّي.

يقول بعض الباحثين بعد استعراض نظريات الوراثة المؤثرة في سلوك الفرد: دوماً يتضح لنا مدى التشابه والاختلاف بين الإخوة، كما يتضح لنا أيضاً درجة التشابه مع الأبوين والأجداد، ويؤثر ذلك بدوره على سلوك الأبناء، ومدى تشابههم مع الآباء والأجداد، فالوراثة هي التي تحدد الإمكانيات الجسمية والفسيولوجية، والاستعدادات العقلية، ومحددات التكوين النفسي للفرد.

إذن فقد انطلق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من قاعدة تأسيسية أسسها النبي صلى الله عليه وآله سبقت نظريات الوراثة واختزلت الدراسات النفسية في هذا الشأن في حديثٍ مشهور: «**اختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين**»[2].

وهذه القاعدة التأسيسية سعى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى إيجاد قاعدة تطبيقية من خلال اختياره للسيدة أمّ البنين عليها السلام، والتي عرفت بشخصيتها المتميزة، وكان لاختياره هذا أثره في إنجاب ولده العباس عليه السلام، الذي حمل خصائصه والتي كانت شاخصةً في سلوكياته بامتياز مثير.

السيدة أمّ البنين الاختيار المعصوم

إذن لابد من معرفة هذه الشخصية التي اقترن بها الإمام علي عليه السلام والتي كان انتخابها مثار اهتمامه دون نسائه

(١) الكافي الشريف:٥/ ٣٣٢. مكارم الأخلاق:١٩٧.

(٢) المصدر نفسه:٥/ ٣٣٣.

الأخريات بعد السيدة الزهراء ﷺ، مما يكشف عن أهمية دراسة هذه الشخصية المتميزة والتي أثارت إعجاب الإمام ﷺ والإمامين الحسنين ﷺ وهما ينظران إليها نظرة تبجيل تختلف عن غيرها، فما الذي ميّز شخصيتها ﷺ، وما الذي جعل لها من الشهرة ما لم تكن لامرأة تنافسها في هذا الشأن بعد السيدة الزهراء ﷺ؟

قال العلامة المامقاني في تنقيح المقال: أمّ البنين الكلابية: هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر المعروف بالوحيد: ابن كلاب بن عامر ابن صعصعة روى أنّ أمير المؤمنين ﷺ قال لأخيه عقيل: انظر إليّ امرأة قد ولدتها الفحول من العرب؛ لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً، فقال له: تزوج أمّ البنين الكلابية، فإنّه ليس في العرب أشجع من آبائها، ولا أفرس في آبائها.

يقول لبيد للنعمان بن المنذر ملك الحيرة:

نحن بنو أمّ البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعصعة

الضاربون الهام وسط الخيضعة

ولم ينكر عليه أحد من العرب، ومن قومها ملاعب الأسنة أبو براء الذي لم يعرف في العرب غير أمير المؤمنين ﷺ مثله في الشجاعة، فتزوجها أمير المؤمنين ﷺ فولدت وأنجبت وأول من ولدت العباس المكنى بأبي الفضل الملقب بقمر بني هاشم –روحي فداه– ثم عبد الله ثم جعفر ثم عثمان ﷺ، ويستفاد قوة إيمانها وتشييعها أنّ بشر كلما نعى إليها وروده المدينة أحداً من أولادها الأربعة قالت: ما معناه: أخبرني عن أبي عبد الله الحسين ﷺ فلما نعى إليها الأربعة قالت: قد قطعت نياط قلبي، أولادي ومن تحت الخضراء كلهم فداء لأبي عبد الله الحسين ﷺ أخبرني عن الحسين فإنّ علقتها بالحسين ﷺ ليس إلّا لولائها لإمامها ﷺ وتهوينها على نفسها موتة مثل هؤلاء الأشبال الأربعة إنّ سلم الحسين ﷺ يكشف عن مرتبة في الديانة رفيعة، وإنّي أعتبرها لذلك من الحسان إنْ لم تعتبرها من الثقات.

وقد سعى العلامة المامقاني إلى التركيز على جانب مهم من حياة السيدة أمّ البنين ﷺ؛ ليستخلص منها شخصيتها الجليلة، وكان موقفها من الحسين حين استشهاده يكشف عن تفانيها لمفهوم الإمام، وعقيدتها الخالصة بفلسفة الإمامة لذا عبّر بقوله: (فإنّ علقتها بالحسين ﷺ ليس إلّا لإمامته ﷺ وهي كاشفة عن مدى اندكاكها بمفهوم الإمامة وتسليمها لحركة الإمام ﷺ).

وفي مقتل الحسين ﷺ بحر العلوم قال: وليس في العرب أشجع من آبائها وإخوانها . كما ذكر ذلك عامة المؤرخين

. وكانت أمّ البنين من فضليات النساء العارفات بفضل أهل البيت ﷺ منذ نشأتها في بيت أبيها الزعيم الكبير، وكانت من بيت كرم وشجاعة وفصاحة ومعرفة، وكان آباؤها من سادات العرب وزعمائهم.

وكانت لهذه السيدة من الصفات ما أغنى المترجمين لها عن وصفها كثيراً، فقد انحدرت من بيوتات العرب ورؤسائهم وكانت هذه الأسرة كريمة النسب، عظيمة الحسب، معروفةً برئاستها وهيمنتها بشرفها من بين القبائل العربية، وكانت الأسر العربية تفضل وجودها من خلال ما أوتيت به من عظيم البلاء، وشديد المراس في الحرب والنزال وكانت لها واقعتها المشهودة، ولرجالها الأشداء ما شهدت به العرب من أقصاها إلى أقصاها بمفاخر الحرب، ودواعي الرئاسة، وأسباب الشرف، وكان لكرم هذه القبيلة ما لازم سيرة رجالها، كملاعب الأسنة وهو عامر بن مالك، وعامر بن الطفيل وهو أخو عمرة الجدة الأولى لأمّ البنين وهو من فرسان العرب وشجعانها، ومنهم الطفيل وهو والد عمرة جدة أمّ البنين وله من شهرة البأس ما كان مضرباً لأمثلة العرب، وعروة بن عتبة والد كيشة الجدة الثانية لأم البنين معروفاً عند الملوك، مكرماً لديهم فإذا وفد عليهم أحسنوا وفادته وأجزلوا له العطاء، ذلك وقد كان لذلك أثره في شخصيتها الفذّة ومحتدها الكريم، وكانت معروفة بأم البنين نسبةً لجدتها الأولى المشهورة برفعتها وعزّتها وشرفها حتى كان أبناؤها يفتخرون أمام الملوك بقولهم:

نحن بنو أمّ البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعصعة

وأمّ البنين جدتهم هذه مضرب المثل في الشرف والحكمة والعزة والكرم، وكانت السيدة أمّ البنين فاطمة بنت حزام قد لُقبت بهذا اللقب، والظاهر أنّها اشتهرت عند قومها بما اشتهرت جدتها الأولى أمّ البنين لما تمتلكه هذه السيدة من العزة والحكمة والشرف وحسن السيرة حتى اشتهرت بما اشتهرت به جدتها الأولى أُمّ البنين مع أنّ هذا اللقب كان قبل زواجها بالإمام أمير المؤمنين ﷺ مما يعني أنّه قد ارتكز عند قومها أنّها كانت من الفضائل ما اشتهرت به جدتها الأولى.

وبعد زواجها فقد تعززت هذه الكنية لها، إذ العرب تلقب المرأة التي تلد أربعة ذكور بأمّ البنين فكان لها من الأولاد: العباس وعبد الله وجعفر وعثمان، فثبتت لها هذه الكنية لاستحقاقها من صفات جدتها أمّ البنين، ولما امتازت به من الأولاد فصار لقباً ثابتاً لها.

هذه حيثيات الوراثة التي تأثرت بها شخصية العباس ﷺ فمن أبيه ورث الخصال الحميدة كلها، ومن أمّه ورث ما اشتهرت به الفضائل الكريمة، فكان بين هذا وذاك مثالاً لكل أسباب الرفعة، ودواعي العزة والشهامة.

أبو الفضل العباس عليه السلام في كلمات المعصومين عليهم السلام

احتلّت شخصية العباس بن علي عليه السلام اهتماماً واسعاً من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام لأهمية القضية التي كان العباس عليه السلام أحد أقطابها ورجالاتها البارزين، وكان الدور الذي يحتمله العباس عليه السلام في هذه القضية إحدى الملاحم المهمّة التي دعت أئمة أهل البيت عليهم السلام أن يجعلوه من أهم الشخصيات البارزة في سيرتهم ومشروعهم الرسالي، فقد أضحت شخصية العباس من أهم دواعي الاعتزاز التي يفتخر بها المخلصون الأوفياء، الذين يبحثون عن قدوتهم في هذا الشأن.

لقد أخذت شخصية العباس عليه السلام اهتمامها الواسع في أعمال المحقّقين، وكلمات المؤرّخين، حتى إنَّك لم تجد مؤرّخاً إلا وأشار إلى سيرة العباس عليه السلام تفصيلاً وإيجازاً، مما يمكن القول أنَّ هذه الشخصية الملحمية فرضت نفسها على الواقع التحقيقي، وأملت المساحة التاريخية الشاسعة بالكثير من المواقف التي أذهلت الجميع.

ولعل ما نجده من كلمات المعصومين عليهم السلام في تقريض شخصية العباس عليه السلام سيكون حافزاً مهمّاً للوقوف على حقائق غيبية أشار إليها المعصوم، أوضح فيها معالم شخصيته التي لم يستطع أحد أن يستكشفها إلّا من خلال شواهد المعصومين عليهم السلام الذين دفعوا بهذه الشخصيّة المهمّة إلى واجهة الأحداث فضلاً عن مواقفها ومحطّات حياتها البطولية.

فإذا أردنا أن نستوضح مقامات أبي الفضل العباس عليه السلام وقفنا عند معالم حياته وشخصيته التي تعهّد المعصومون بتوصيفها، مستعرضين كلماتهم وتقريضاتهم في هذا الشّأن.

ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

وإذا أردنا أن نقف عند بعض معالم شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام فإنَّنا سنجد علامة فارقة من أهم العلامات التي تنبئ على اهتمام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بولده العباس عليه السلام، حيث الجانب الذي أغفله الكثيرون ولم يلتفت إليه المحققون، حتى شهد له الإمام عليه السلام بأنَّه ممّن زقّ العلم زقًّا، وكان يواكب شخصية ولده العباس في تحولاتها الكمالية التي تعطي قراءة واضحة المعالم في اختزال التقريض والثناء من خلال ما شهد له الإمام عليه السلام ويمكن القول أنَّ اهتمام الإمام عليه السلام بولده أبي الفضل العباس عليه السلام هو إحدى التحضيرات المهمة لتعزيز المشروع الحسيني القادم.

والذي يمثل المرحلة الأخطر والأهم في جهود النبي صلى الله عليه وآله وجميع أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولا بد لهذا المشروع أن تهيئ آليات إنجاحه من خلال الإعداد المتقن، والتحضير المتكامل على يد المعصومين عليهم السلام.

فمن أحاديث النبي ﷺ إلى تنويهات الإمام علي ﷺ إلى إعداد الإمام الحسن ﷺ لإنجاح هذا المشروع الرسالي، وكانت الإعدادات متعدّدة الجوانب، كثيرة المورد، وكانت شخصية أبي الفضل العباس ﷺ، من أهم وأبرز هذه الإعدادات، ولا بُدَّ أن يكون التحضير العلمي لهذه الشخصية من أولويّات الإمام أمير المؤمنين ﷺ في الإعداد، ليكون هذا العلم مستوعباً، لإطروحة الإمامة ومشروعه المتمثّل بنهضة سيّد الشهداء ﷺ.

فالوعي المعرفي هو الأساس في التَّعامل مع المتغيرات التي تؤسس لقضية ما، من هنا فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ قوله في ولده العباس **(إنَّ العباس بن علي زق العلم زقاً)**[١].

وهذه الشهادة التي شهد أمير المؤمنين لولده العباس تعطي انطباعاً مهمًّا عن شخصيته العلمية، فضلاً عن تفقهه وبصيرته وسيأتي في شهادة الإمام الصادق ﷺ أنَّه على بصيرة من أمره.

ما ورد عن الإمام زين العابدين ﷺ

وقد قرض الإمام زين العابدين في موارد كثيرة أبي الفضل العباس ﷺ ونوّه عن مقامه ومرتبته التي لا يدانيها أحد، وترحّم عليه، وبكى له، ورعى ولده بعده، وكان له مواقف تنبئ عن عظمة أبي الفضل العباس ﷺ عند الإمام زين العابدين ﷺ.

فقد روى علي بن إبراهيم، عن اليقطيني، عن يونس، عن ابن أسباط، عن علي بن سالم، عن أبيه، عن ثابت بن أبي صفية قال: نظر علي بن الحسين سيد العابدين -صلوات الله عليه- إلى عبيد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب ﷺ فاستعبر ثم قال: **(ما من يوم أشد على رسول الله ﷺ من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم موته، قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب.**

ثم قال ﷺ: ولا يوم كيوم الحسين صلى الله عليه ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنَّهم من هذه الأمة، كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغيًا وظلمًا وعدوانا.

ثم قال ﷺ: رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله عز وجل بهما جناحين، يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة)[٢].

---

(١) اسرار الشهادة للدربندي الطبعة الحجرية : ص٣٢٤

(٢) بحار الانوار: ج٢٢ / ص ٢٧٤.

ويمكن الوقوف عند الرواية للإشارة إلى أمور:

الأمر الأول: أشار الإمام زين العابدين ﷺ إلى حالة الحزن التي أصابته بعد شهادة عمّه حمزة -رضوان الله عليه- في معركة أحد، وشهادة جعفر بن أبي طالب في مؤتة، فإنَّهما من أهم ما اشتدّ فيهما على النبي ﷺ هما حمزة وجعفر، ثم أشار الى أبي الفضل العباس ﷺ، وواضح أنَّه أراد ﷺ التقريب بين الشهادتين، فكما أنَّ النبي ﷺ اشتد حزنه على عمّه وابن عمّه، فكذلك يشتد حزنه على أبي الفضل العباس ﷺ بقرينة التقابل بين الشهادتين، وهو بيان لمنزلة العباس ﷺ عند النبي ﷺ والتي تضاهي منزلتي حمزة وجعفر.

الأمر الثّاني: إنَّ لجعفر بن أبي طالب مقاماً لا يدركه أحد إلّا المعصوم، وقد أبدله الله بجناحين يطير بهما مع الملائكة، ومقتضى المقارنة بين الحالتين تقتضي التّساوي في الرّتبة بين الشهيدين في درجتهما عند الله -تعالى-، كما هو ظاهر من الرّواية، ومفهوم المقابلة يفرض عليهما هذا الفهم في الدّرجة والمرتبة.

الأمر الثّالث: إنَّ يوم الحسين ﷺ هو أشد من يوم أحد في نفس النبي ﷺ، كما هو ظاهر حديث الإمام ﷺ إذ مقتضى الترقي يشير إلى ذلك، فبعد أن ذكر الإمام زين العابدين ﷺ ما أصاب النبي ﷺ في يوم أحد ثم يترقى إلى مقام آخر وهو يوم الحسين ﷺ، فظاهره أنَّ يوم الحسين ﷺ ليس كيوم أحد بل هو أعظم وأشد في نفس رسول الله ﷺ.

الأمر الرابع: إنَّ الإمام زين العابدين ﷺ ذكر مراتب الإيثار والبلاء والفداء التي تميز بها أبي الفضل العباس ﷺ، فالإيثار الذي آثر به أخاه الحسين ﷺ ووقاه بنفسه وقدم أخاه على كلّ شيء، ولم يدرْ في خلد أبي الفضل ﷺ سوى سلامة أخيه الحسين ﷺ وحياته الشريفة، وهو اندكاك وذوبان في نفس المعصوم أظهره العباس ﷺ في مواقفه كلّها، ومن ثم الى (بلاءً حسنًا) في مواضع الدفاع عن المعصوم، وقدّم مثلاً في البطولة والبأس لم يشهدها أحدٌ من قبل، وكل ذلك أدّى إلى حالة الفداء بعد أن بذل نفسه مع سيّد الشهداء ﷺ، وأي مرتبة سامية كاشفة عن مقامات أبي الفضل ﷺ وشأنه؟!

وهذه بعض مقامات العباس ﷺ ومراتبه التي كشف عنها المعصوم في كلماته، ويمكن أن نستلخص منها أكثر من ذلك لولا مراعاة بعض المقامات التي أدركُ مراعاتها في هذا الشأن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ما ورد عن الإمام جعفر الصادق ﷺ

تعد مشاريع الإمام الصادق ﷺ التأسيسية في مقام المعصومين من خلال ما ضمنها في مخصوص الزيارات هي إحدى المعالم المعرفية التي أكّدها الإمام ﷺ في هذا الشّأن.

ويمكن أن نستوضح ذلك من خلال استعراض نصوص الزيارات الكاشفة عن مقاماتهم ﷺ ومنها مقام أبي الفضل العباس ﷺ.

فقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ قوله:

(كان عمّنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله ﷺ وابلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً)[1]. فقد وصفه الإمام الصادق ﷺ بصفة مهمّة وهي:

نفاذ البصيرة

صفة معرفية تزيد الإنسان معرفة لا تخالطها شبهة ولا يختلجها شك، وهذه الصّفة فرع العلم الذي أشار إليه الإمام أمير المؤمنين ﷺ (بأنَّ العباس زقّ العلم زقّا)، ومن المؤكَّد أنَّ ما اعترى خروج الإمام الحسين ﷺ إلى كربلاء من الاعتراضات والتّشكيكات في صحّة إقدامه على هكذا عمل قد يثير الرّيبة في صحّة ما اتخذه الإمام ﷺ، ويورث التردد -وقد أشرنا إلى حجم الاعتراضات التي اعترضت الإمام الحسين ﷺ منذ خروجه إلى كربلاء-.

ولابد من أجل الثبات على هذا الموقف من معرفة وبصيرة توجب الإيمان الذي لابُدَّ أن يتحلّى به الشخص الذي يتبنى موقف النصرة للإمام الحسين ﷺ، وما صدر من أبي الفضل العباس ﷺ من البأس والشجاعة والفداء والإخلاص كلّها بسبب ما امتاز به من بصيرة نافذة في تحقيق أهداف الإمام الحسين ﷺ من المضي بمشروعه الإلهي ذلك.

وقد فسَّر الإمام الصادق ﷺ المراد من نفاذ البصيرة وهو فرع الإيمان الذي هو فرع المعرفة بعد ذلك لما أردف بعد قوله (نافذ البصيرة) فقد أردفها بقوله (صلب الإيمان) وصلابة الإيمان تعطي بعداً من البأس والشجاعة والثبات.

كما انه (جاهد مع ابي عبد الله ﷺ وابلى بلاءً حسناً) وهذا الثناء يدخل في عموم قوله ﷺ: نافذ البصيرة، حيث البلاء الحسن في الجهاد كان بسبب ما انفتحت له بصيرة الحق والمعرفة التي تمكن من خلالها أن يفدي نفسه ويعرف بالولاء والفداء.

---

(١) تنقيح المقال/ ج٢ / ص ١٢٨.

ما ورد عن الإمام الحجة -عجل الله تعالى فرجه الشريف- .

وردت في زيارة الناحية المقدّسة على شهداء الطّف، وهي ملحمة للتعريف بصفاتهم ﷺ، والوقوف عند أحوالهم، ومعرفة قاتليهم حتى يتمكّن أن تعد هذه الزيارة وثيقة تاريخية توثّق للشهداء وتعطي بُعدًا معرفيًّا آخر.

فقد ورد عن الإمام الحجة -عجل الله تعالى فرجه الشريف- في أبي الفضل العباس ﷺ قوله: **(السلام على العباس بن علي بن أمير المؤمنين المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقي له، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه، لعن الله قاتليه يزيد بن وقاد الجهني وحكيم بن الطفيل الطائي)**[1].

وهذا التسليم من الإمام الحجة -عجل الله تعالى فرجه الشريف- يشير الى حالات المواساة والفداء والتضحية التي تميّز بها العباس ﷺ واشتهرت عنه هذه الصفات التي أشارت الى التعريف بشخصيته وجهاده.

(١) بحار الأنوار/ ج٤٥ / ص ٦٥.

شذرات سجادية

الشيخ أحمد الجبوري

إنَّ لسيرة الإمام زين العابدين وسيد الساجدين، العابد المتهجد وذي الثفنات: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام طعم خاص عن غيرها من الشخصيات النورانية التي انطلقت من معدن الأنوار الرّبّانية أهل بيت العصمة والطهارة، أهل بيت خاتم رسل الله محمد صلى الله عليه وآله.

فما أن تذكر الإمام السجاد عليه السلام إلَّا وتتبادر إلى ذهنك تلك الصحيفة النّورانيّة المدعوّة (بزبور آل محمد صلى الله عليه وآله) الصحيفة السجادية المباركة التي جمعت كنزاً من أدعية وابتهالات الإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

تلك الصحيفة المقدَّسة التي حوت درر المعاني والعرفان .. وخلاصة الابتهالات والسبحات القدسية، وأجمل وألطف وأرقّ المناجاة الخفية، التي نطق بها لسان ذاك الإمام العظيم المظلوم، وهي وإن خرجت من لسانه الشريف إلَّا أنَّها نابعة من روحه الصّافية، وقلبه السّليم، وعقله المنار بأنوار الله .. والله نور السماوات والأرض.

تبارك الله وتقدست أسماؤه ما أعظم تلك الصحيفة القدسية..

تلك الصحيفة النورانية حفظها الآل الكرام عليهم السلام، وتناقلوها مع إرث الرسالة والإمامة كابرًا عن كابر، والحمد لله.

فلا يمكن أن ننسى (رسالة الحقوق) التي كتبها الإمام زين العابدين عليه السلام وهي رسالة في كلّ الحقوق لكلّ مخلوق، وهي دستور الأخلاق الفاضلة ومرجع السياسات الحكيمة لبناء مجتمع إنساني متفهّم وواعٍ لحقوقه وواجباته.

وهذه المناهج العلية التي تركها الإمام السجاد عليه السلام للأمة والأجيال كانت ضرورة ملحّة في تلك الأيّام الموغلة في غياهب الضلال والفسق والفجور والغدر والكفر والنفاق.. التي كانت تسبح في غمراتها الأمة الإسلامية بفضل السياسات الأموية الخبيثة التي عملت كل ما بوسعها لإخراج الأمة من اسمها ورسمها .. أي تجريدها من صبغتها الإسلامية .. ومحاولة إطفاء حتى اسم الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله، والإمام السجاد عليه السلام شهد بأم عينيه المذبحة الرهيبة في كربلاء المقدسة ودماء المستشهدين على بطحائها.

ورأى استشهاد أبيه وإخوته وأهله وأعمامه وأبناء عمومتهعليهم السلام.. ونظر إلى رؤوسهم تهدى من فاسق إلى فاسق،

ومن بلاد إلى بلاد.

وإلى أجسادهم مقطّعة ممزّقة، والخيول تدوسها وترضها بلا وازع من ضمير أو رعاية لدين أو مشاعر إنسانية.

وكان عليه السلام مع عمّاته والنساء والأطفال مأسورين مربوطين بالحبال والحديد.

ولذلك كانت كلمته قمّة في الرّوحانية والشفافية؛ لأنَّها كانت تأخذ على عاتقها انتشال الأمّة من هذا الوضع الرديء الذي سقطت به، وترفعها لإعادة الزخم الإسلامي والإيماني في أوصالها لعلها تنهض من كبوتها وتقوم لتكمل رسالتها الخالدة في هذه الدنيا .. وهذا الذي حدث بالفعل ..

وهناك قصّة مشهورة جرت بين الإمام السجاد عليه السلام وبين هشام أو الوليد وذلك أثناء الحج، حين لم يستطع الحاكم الأموي استلام الحجر الأسود، ولكن عندما أقبل الإمام عليه السلام انفرج له الناس حتى استلم الحجر الأقدس وقبّله وعاد ليعود الازدحام من جديد. فاستغرب الوفد المتسامي وسألوا الحاكم من هذا؟ فتجاهل معرفته بالإمام عليه السلام وأجاب: لا أعرفه ! ..

فعرف به الفرزدق بميميته الشهيرة التي يقول فيها.

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحــرم

هذا ابن خير عباد الله كلهـــم هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلهـــا إلى مكارم هذا ينتهي الكــرم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله العرب تعرف من أنكرت والعجم[1]

إلى آخر القصيدة التي تعطي بعض الصورة الحقيقية لمقام ومكانة الإمام عليه السلام في قلوب الأمة الإسلامية يومئذ.

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

من هو الإمام زين العابدين عليه السلام؟

هذا سؤال يطرح على لسان العديد من الشباب والكهول، عندما يسمعون بزين العابدين عليه السلام.

يقولون من زين العابدين؟

---

(١) بحار الأنوار/ ج ٤٦/ ص ١٢٥ .

وتكثر الأسئلة عنه .. مَن أبوه .. أمه .. متى ولادته ..؟

ولكن ما إن نقول لهم بأنَّه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ حتى تلجم الأفواه .. وتتلعثم الألسن .. وتمتلئ الأوداج .. وتحمر الأعين .. و ..

وذلك مخافة أن يكون قد أخطأ بحق هذا الإمام العظيم.

وما إن تهدأ النفوس حتى تتردّد الأسئلة عن الزمن الذي عاش فيه الولادة ..الأبناء .. الوفاة .. ثبوت إمامته .. سيرته العطرة ...

نعم، هذه الأسئلة طرحت وتطرح كثيراً .. وخاصّة عند ذكر أي إمام من الأئمة الهداة الذين يصل نسبهم بشجرة النبوة .. والزيتونة التي يكاد زيتها يضيء ..

وربما تطرح هذه المسائل من قبل بعض المثقّفين والمتديّنين ..

وللأسف .. هذا يدل على مدى جهل الأمة بأئمّتها، فإنَّ كثيرًا منّا.. إخوة وأخوات .. أبناء وبنات .. إذا سألتهم عن الإمام زين العابدين ﷺ .. لقالوا لك: بأنّه ابن الإمام الحسين ﷺ .. ووالد الإمام الباقر ﷺ .. نقول لهم: أحسنت .. نعم .. وماذا بعد؟

فلا جواب عندهم إلَّا هذا؛ لأنَّهم لا يعرفون إلَّا ذلك عنه ﷺ.

نعم إنَّ الإمام ﷺ هو أصل الشجرة التسعوية الهادية المهديّة، وأبوه الحسين ﷺ، وجدّه ذو الأصل الثابت علي بن أبي طالب ﷺ .. وعمّه سيّد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول ﷺ الإمام الحسن الزكي المجتبى ﷺ، وجدّته الطاهرة الصّدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء ﷺ.

روحي لتلك الشجرة الفداء.. ودمي لترابها الطاهر سقاء..

إذن أصل الشجرة، النبي محمد ﷺ.. وفرعاها الحسن والحسين ﷺ.

فالإمام زين العابدين ﷺ هو الفرع الأول من الفرع الثاني للأصل الثابت علي ﷺ وكان هذا الفرع السامي سيد الساجدين ﷺ.

وهو أصل لثمانية فروع أطايب .. ولكن بشكل متعاقب .

فمنذ واقعة كربلاء كان زين العابدين ﷺ سيّد ولد آدم.. وإلى اليوم.. وإلى أن يزين الله الأرض وما عليها ..

ويخلص المؤمنين ويمحق الكافرين .. فتتزين الأرض بإمامها المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فيكون هو الفرع الثامن .. للأصل الرابع .. سلام الله عليهم..

وسنتحدث عن هذه الشجرة المباركة باختصار .. ، ونستفيد منه منهجًا ربّانيّاً قويماً يساعدنا في أوقات محنتنا ..

النسب الشريف

الإمام علي بن الحسين عليه السلام ينتمي إلى شجرة طوبى المباركة، تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.. لا شرقية ولا غربية .. نور على نور .. وذرّيّة بعضها من بعض.

فأبوه المكرم: سيد شباب أهل الجنة .. وسيد شهداء أهل الأرض بعد أبيه .. ولو بحث في فجاج الأرض في الطول والعرض فلن تجد خيرًا منه إلا أخاه وأباه وجدّه -صلوات الله عليهم- .. فهو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .. ثار الله الخالد .. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

وأما جده: فغني عن التعريف؛ لأنه المعروف والمعرف من الله ورسوله صلى الله عليه وآله.. فهو أمير المؤمنين ويعسوب الدين .. وقائد الغر المحجلين .. ومقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين .. ذاك هو الأمير أبو الحسنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وزوج ابنته البتول عليها السلام.

وأما عمه: فهو خير من وطأ الثرى بعد أبيه وجده .. فهو الزكي التقي .. أبو محمد الحسن المجتبى عليه السلام ..

وأما جده لأمه: فهو ملك الفرس العادل .. إنه (يزدجرد بن كسرى) الذي ذكره الرسول صلى الله عليه وآله.

وأما أمه الشريفة: هي ابنة ملك فارس يزدجرد، وهي (شاه زنان) أي سيدة النساء، ومنهم من قال بأن اسمها (شهر بانو) ..

ومن هذا المنطق ـ أي هذه الشجرة ـ أطلق على الإمام السجاد عليه السلام بأنه (ابن الخيرتين) وعندما سئل كيف ذلك يا بن رسول الله؟

قال عليه السلام: لله تعالى خيرتان .. فخيرته من العرب قريش .. ومن العجم فارس»، فعلي بن الحسين عليه السلام ابن الخيرتين (العرب، والعجم) وهذا ما أرّخه أبو الأسود الدؤلي في بيتين من الشعر العربي الأصيل حيث يقول :

وإنَّ وليداً بين كسرى وهاشم ... لأكـــــرم من نيطت عليه التمائم

هـو النور نور الله موضع سرّه ... ومنبع ينبـــوع الإمامـة عـالم [1]

(١) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ١٦٦.

ولو رجعنا كما رجع أبو الأسود الدؤلي إلى الأعماق، بحثًا عن أصل تلك الشجرة لرأينا بأنَّهم جميعًا أخيار من أخيار، من هاشم إلى عبد المطلب إلى عبد مناف وعبد الله وإلى خيرة الأخيار رسول الله محمد ﷺ وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام وابن عمّها وبعلها الأمير علي عليه السلام وابنيهما الحسن والحسين سبطي نبي الرحمة ﷺ .. فهم جميعًا أخيار .. لا بل خيرة الأخيار .. وصفوة الصفاء .. فإن كان ولابد من فخر .. فبهذه الشجرة الفخر لا بسواها ..

الولادة المباركة

وبعد الحديث عن النسب الطاهر للإمام زين العابدين عليه السلام لابد لنا من معرفة زمن ولادته وبزوغ نجمه في سماء الوجود بفناء أبي عبد الله الحسين عليه السلام و(شاه زنان) لتقر به عين أبيه عليه السلام بل وعيون المؤمنين المخلصين بإيمانهم وولائهم.

واختلف الرواة في عام ولادته عليه السلام بين (٣٦، ٣٧، ٣٨) للهجرة الشريفة، أما اليوم الذي ولد فيه فكان خلافهم بين نصف جمادى الأولى أو الثانية وبين خمسة أو تسعة خلون من شهر شعبان .

ولكن شبه المؤكّد من قبل المحقّقين أنَّه عليه السلام ولد في خلافة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام وقبل استشهاده بسنتين أي في عام (٣٨ هجرية الموافق لـ ٦٥٨م)، وكذلك المرجّح ولادته في شهر شعبان؛ لأنَّه المشهور عند الإمامية .. فإنَّهم يقيمون مهرجاناتهم العامّة إحياءً لذكرى ولادته في اليوم الخامس من شعبان.

ففي ذلك اليوم الميمون الخامس من شعبان عام (٣٨ هـ) بزغ نوره عليه السلام في سماء الوجود .. وكان في تلك السماء كوكبان وشمس، فكان يستمد نوره من أنوارهم عليهم السلام وهم أمير المؤمنين وسيّدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام، وفرحت الأسرة النبوية بمولودها المبارك إلا أنَّ المولود كان ضعيفًا ونحيفًا تلوح في نظراته ومضات خافته وكأنَّها ومضات همٍّ منطفئ، فالحال يغني عن السؤال .. وهذه الحال عند ولادة سيدنا زين العابدين عليه السلام تخبرنا عن حياته الحزينة.

وما أن وصل خبر الولادة إلى شمس الوجود وكان أبو الحسن عليه السلام ينتظرها حتى سارع إلى إجراء مراسيم الولادة الشرعية التي أكّد عليها أخوه وابن عمّه رسول الله ﷺ حين ولد له كلّ من الحسن والحسين عليهما السلام.

فأخذ المولود المبارك الذي ولد نظيفاً طاهراً مطهّراً وقد استقبل الأرض بمساجده السبعة ساجداً لله عزوجل، كما هو حال مواليد الأئمة الطاهرين والأنبياء العظام عليهم السلام.

فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، فاخترقت الكلمات حجب الجسم النحيل لتصل إلى القلب الكبير وتنوره

ليضيء ما حوله ليتحول الجسد إلى كتلة من نور تتحرك فتبكي وتناغي ..

وفي اليوم السابع من ولادته عقّ عنه أبوه بكبش.. وحلق رأسه، وتصدق بزنته فضة أو ذهباً على المساكين عملاً بالسنة الإسلامية المقدّسة ..

وأما مكان ولادته عليه السلام فكانت في الكوفة، ومن المقطوع به أنَّ الإمام الحسين عليه السلام وأفراد عائلته كانوا مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة ولم يقم أيّ أحد منهم في المدينة طيلة خلافته، نعم هاجروا إليها فيما بعد، كما كانوا يقطنونها فيما قبل.

الاسم الشريف والكنى والألقاب

إنَّ الحديث عن أسماء الأئمة عليهم السلام وكناهم وألقابهم شبه متواتر ومعروف..

فالكلّ سمع أو قرأ الأحاديث التي تصرّح بأسمائهم الشريفة عن الله سبحانه وعلى لسان جدّهم الرسول محمد صلى الله عليه وآله.

فيحدث سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) أنَّ النبي صلى الله عليه وآله ذكر خلفاءه الاثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة، وأوجب على الأمّة معرفتهم بأسمائهم وأنسابهم، وأنّه لا إيمان لمن لا يتولّاهم ولا يتبرؤ من عدوهم، ثم قال سلمان (رضوان الله عليه) : لقد عرفتهم إلى الحسين، وبعده سيّد العابدين، ثم ابنه محمد باقر علم الأولين والآخرين عليهم السلام [١].

هذا الحديث والأحاديث التي تنص على نزول الصحيفة من السماء وفيها أسماء ولاة الأمر الإلهي كثيرة تطلب في أماكنها في (البحار) وغيرها ..

أما ما يخصّ الإمام زين العابدين عليه السلام فيكفي أن نورد رواية واحدة عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه) الذي قال: كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام في حجره وهو يداعبه، فقال صلى الله عليه وآله: (يا جابر يولد له مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ: ليقم زين العابدين، فيقوم ولده .. ثم يولد له ولد اسمه (محمد) فإن أدركته يا جابر فأقرئه منّي السّلام) [٢].

نعم، إنَّ الرسول محمدًا صلى الله عليه وآله سمّى حفيده باسم جدّه (علي) ولقّبه بـ (زين العابدين) فعلي بن الحسين عليه السلام هذا اسمه الشريف.

---

(١) بحار الأنوار / ج ٢٥ / ص ٧

(٢) المنتخب من ذيل المذيل / الطبري : ١٢٩ ، تاريخ دمشق ٤٥ : ٢٧٥.

وأمّا ألقابه فهي كثيرة جدًّا، وأشهرها هي التي تحكي نزعاته الخيرة، وكلّه خير، وما اتصف به من محاسن الصفات وكل صفاته حسنة، ومكارم الأخلاق وكل أخلاقه كريمة، وعظيم الطاعة والعبادة لله، وكان أشهر ألقابه:

١. زين العابدين:

فهو عليه السلام سيّد العابدين وزينهم، وهذا لقب عرف به من جدّه الرسول صلى الله عليه وآله، وكان تلقيبه بذلك لكثرة عبادته، واشتهر به حتى صار له اسماً ..

قال بعض الرواة: كان سبب لقبه بزين العابدين .. أنَّه كان ليلة في محرابه قائمًا في تهجّده فتمثّل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته .. فلم يلتفت إليه .. فجاء إلى إبهام رجله فالتقمها .. فلم يلتفت إليه.. فآلمه .. فلم يقطع صلاته .. فلما فرغ منها وقد كشف الله له أنَّه الشيطان .. قال له: اخسأ يا ملعون .. فذهب .. وقام الإمام عليه السلام إلى تمام ورده وصلاته فسمع صوتاً لا يرى قائله وهو يقول: أنت زين العابدين حقًّا .. ثلاثًا، فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقبًا له عليه السلام [١].

وما يلزم أن نستفيده من هذه الرواية وأمثالها أنَّه عليه السلام عندما يقف بين يدي الله سبحانه .. لا يأبه بسواه من عظيم ما يرى وهول ما يشاهد في ذلك الموقف .. فهو زين العابدين على الإطلاق فهو كآبائه الطاهرين في كثرة العبادة لله عزوجل وإخلاصها.. ولم يعرف أحد على وجه الأرض لقب بهذا اللقب وكان له مستحقاً وبه جديرًا إلا علي بن الحسين عليه السلام .. وحقًّا إنّه كان زينًا لكلّ عابد .. وذخرا لكل من أطاع الله .

٢. السجاد .. وذو الثفنات :

إنَّ أكثر ما يكون العبد قريباً إلى الله عزوجل هو أثناء السجود.. وإمامنا لكثرة سجوده وقربه من الله .. سمي بالسجاد .. ولم يسمَ بهذا الاسم؛ لأنَّه كان يصلي كثيرًا فحسب، بل كان عليه السلام كثير السجود لله في الصلاة وغير الصلاة .. وهذا ما نستفيده من حديث ابنه باقر علوم الدين حيث قال عليه السلام: إنَّ علي بن الحسين عليه السلام ما ذكر الله عزّوجل إلا سجد .. ولا قرأ آية في كتاب الله عزوجل فيها سجود إلَّا سجد .. ولا دفع الله عزوجل عنه سوء يخشاه أو كيد كائد إلا سجد .. ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد .. ولا وفق للإصلاح بين اثنين إلا سجد .. وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده .. فسمي السجاد لذلك[٢].

هذه رواية واحدة في سبب تسميته عليه السلام بهذا الاسم الشريف .

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٦ / ص٥، كشف الغمة: ج٢/ ص٢٨٦.

(٢) ميزان الحكمة / ج ٢ / ص ١٢٥٤

فكان ﷺ في كثير من أوقاته في أقرب ما يكون إلى الله عزوجل .. أي هو ساجد .. ومن جراء السجود ظهرت لـه ثفنات اشتهر بها، والثفنات هذه استطالات في مواضع السجود، وأوضح ما تظهر منها في جبهته الشريفة، فكان لـه بها خمسة استطالات يقطعها كلّ عام مرّتين ويضعها في كيس لكي تدفن معه .. وتشهد لـه .. على كثرة سجوده لله تعالى .. ومن أجل هذا لقّب ﷺ بذي الثّفنات ..

٣. البكاء:

وهذا أيضًا لقب عرف به سيدنا ومولانا علي بن الحسين ﷺ ولقائل أن يقول: أهو البكّاء .. ؟ أم جدّه البكّاء في المحراب ليلا .. ؟

نقول له نعم، هو البكّاء .. وجده البكّاء في المحراب أيضًا .. وجدّه النبأ العظيم.. وفي رواية ولده النّقي باقر علوم الدين ﷺ .. حين دخل عليه وقد أعيته العبادة والقيام .. فقال له: يا بني أعطني هذه الصحائف التي بها عبادة علي بن أبي طالب ﷺ .. فتطلع بها مليًّا وتركها تضجّرًا .. وقال ﷺ: ومن يستطيع أن يعبد كعبادة علي بن أبي طالب ﷺ [(١)].

نعم هو البكاء، وعرف بهذا اللقب الشريف في عدد من الروايات المرويّة عن أئمة آل البيت ﷺ بأنَّ البكائين هم خمسة: آدم ﷺ، ويعقوب ﷺ، ويوسف ﷺ، وفاطمة ﷺ، وعلي بن الحسين ﷺ، هؤلاء هم البكاؤون عبر التاريخ[(٢)].

وبالحقيقة إنَّ مأساة كربلاء الحزينة المفجعة أبكت أهل السماء والأرض .. والإنس والجن، وحتى وحوش البراري وسباع الفلا .

فكيف لا يبكي مثل الإمام زين العابدين ﷺ الذي رأى بأمّ عينه ذبح أبيه وإخوته والأصحاب ﷺ.

نعم فعلى مثل هؤلاء فليبك من يريد البكاء .. ولينح ويلطم .. فلا أحد أهل لذلك كما هم، فهم الشهداء وآلهم آل الله سبايا كربلاء .

فكان مولانا وسيّدنا زين العابدين ﷺ من البكّائين، وحقّ له هذا الاسم لأنَّه ما وضع بين يديه طعام قط إلا بكى .. وما شرب ماء إلا بكى حتى اختلط الإناء بدمعه .. وما تذكر السبايا أو رأى إحداهنّ إلا بكى .. وما .. وما .. إلا بكى ﷺ.

٤. الخاشع والمتهجّد:

وهذا اللقب أول ما يسمع به الإنسان يتبادر إلى ذهنه أنَّه خاشع في صلاته .. وأما بالنسبة لسيدنا زين العابدين

---

(١) الإرشاد / الشيخ المفيد/ ج ٢ / ص ١٤٢

(٢) إرشاد القلوب/ ج١ / ص ٩٥ .

عليه السلام فكان خاشعاً في كلّ حركاته وسكناته .. وكان كأجمل صورة للعالم العارف بنفسه وبخالقه ..

وكان الخاشع؛ لأنَّ الخشوع أحد متطلبات الصلاة المعراجية المصاحبة لحضور القلب والفكر، وما أكثر صلاته عليه السلام فكان لا ينام في الليالي إلَّا هجعات، فكان واقفًا يصلّي لله تعالى آناء الليل وأطراف النهار .. كلّ من رآه في صلاته .. أو خارجها .. كان يصفه بالخشوع .. لأنَّ قلبه دائمًا وأبدًا متعلّق بالمحل الأعلى، فإنَّ بدنه وإن كان في عالم الدنيا إلّا أنَّ روحه الطاهرة تسبح في أجواء الملكوت الأعلى .. فهذا هو الخاشع.

أما المتهجد فيطول الحديث عنه؛ لأنَّه يُمثّل البعد الرسالي لدور الإمام الرابع السجاد عليه السلام .. وهو المنهج التربوي الذي اعتمده عليه السلام للأمّة .. فالمتهجّد هو الذي يبالغ في الدعاء والطلب من المحل الأعلى .. لزيادة الألطاف على العباد في المقام الأدنى.

وأمّا الكلام عن تهجّده عليه السلام ودعائه في الليل والنهار وفي كلّ لحظة من لحظات حياته الشريفة، فهو بحث يطول الحديث به .. وبحر خضم يتيه راكبوه .. ونحن نتضرّع إلى الله أن يوفّقنا لكي نقف على شاطئ هذا البحر العظيم لنصف لكم ما نشاهده .. من جمال .. وبهاء .. وأصداف .. ودرر .. مع العذر سلفاً على التقصير .. داعين الله تعالى بكامل أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام أن يوفّقنا لذلك ..

ومن يرد المتعة الروحية والرفعة المعنوية فعليه أن يقف على تلك الشواطئ الروحانية ويقتطف منها جمالاً ودررًا، فهي أغلى وأثمن من كلّ ما في الوجود من جواهر وذهب وأموال .. فهذه أعراض زائلة ووقتية ومتوارثة .. أما مسائل وقضايا وروحانيات الصحيفة السجادية فلا تمثل ولاتقاس، ولا يعرف قيمتها إلا العارفون بالله تعالى.

وللإمام عليه السلام ألقاب وصفات أخرى مثل: الخالص والزاهد، وغيرهما .. وكل هذه الألقاب التي اشتهر بها عليه السلام تدل على عظمته في الصفات الخير، وأنَّه وصل إلى الكمال الإنساني في بني البشر، ولذلك كان من المعصومين المطهرين من كلّ رجس ودنس وعيب.

أما كنيته عليه السلام: فهو أبو محمد وهو أبو الحسن ..

أما أبناؤه عليه السلام: فقد كان له الكثير من الأبناء، بلغوا خمسة عشر ولداً .. أحد عشر من الذكور وأربع بنات .. وكان أفضلهم وأعظمهم وأشهرهم وإمامهم: الإمام محمد الباقر عليه السلام وهو وصي أبيه ووارث جدّه خلقًا وخلقًا وعلمًا.

الصفات الخلقية

على الرغم من كلِّ هذه المحن التي سبرته لكنه بقي نوراً يضيء للعالم معاني الإنسانية والقداسة، والحرية والإباء،

وشرائع الدين وعلوم القرآن، فكان عليه السلام له هيبة ووقار تخضع لها الجباه .. وتنحني أمامها الرّقاب .. وكانت تسطع من وجهه الكريم أنوار الأنبياء وهيبة الأوصياء وسمو الأتقياء، فكان لا يمل من النظر إلى وجهه الشريف والذي كان يبهر الناظرين إليه؛ لأنَّ هيبته تحكي قداسته وتقواه وعلمه، وتذكر بجده النبي محمد صلى الله عليه وآله .

وقد بهر بها المجرم السفاح (مسلم بن عقبة) الذي استهان بجميع القيم والأخلاقيات .. فارتعدت فرائصه حينما رأى الإمام عليه السلام وقابله بمزيد من العناية والتكريم وقال لمن حوله : إنَّ على (علي) زين العابدين سيماء الأنبياء[1].

ولا غرابة من هذا فهو ابن الحسين عليه السلام الذي كان يحيط به خلق من الأعداء لا يعرف عددهم إلَّا الله وهو يجود بنفسه الطاهرة .. ولكن كلّ من حاول أن يقترب منه لحزّ رأسه الشريف خافه وارتعدت فرائصه .. وهذا ما صرّح به كثير ممن حاولوا قتله من كفرة طغاة، وأي غرابة في هذا وهو وارث علي بن أبي طالب عليه السلام وهل كانت هناك فضائل وجميل شمائل في الوجود إلا وقد حازها أبو الحسن عليه السلام من الله .. ومن ابن عمّه وأخيه رسول الله أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله.

الإمام عليه السلام والعصر والخلفاء

إنَّ لعصر الإمام السجاد عليه السلام من الحرقة والرّقة ما لا تكفي لوصفه كتب ومجلدات ..

لقد عاصر الإمام كُلًّا من معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبد الملك والوليد، ولو أعدت قراءة تلك القائمة السوداء لعرفت مدى حراجة الفترة التي عاشها الإمام علي بن الحسين عليه السلام وعظيم مسؤوليته في تبليغ رسالة جده رسول الله صلى الله عليه وآله ونشر علوم القرآن.

الشهادة المفجعة

إنَّ طلاب الدّنيا يخافون على دنياهم من طلّاب الآخرة .. أما طلاب الآخرة فلا يخافون إلّا من الله عزوجل، وربما لا يفكرون بأحوال هذه الدّنيا الفانية .. فالحاكم الأموي الوليد بن عبد الملك هذا الجلف الجافي للحق وأصحابه، الذي استفتح بالقرآن ذات مرّة فأتته: **(وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)**[2] فغضب ونصب القرآن الكريم على شيء وراح يرميه بالسهام حتى مزّقه وهو يقول مأثومًا:

تهـــــددني بجبار عن فها أنا ذاك جبار عـــنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل: يا رب مزقني الوليد[3]

(١) الكافي / ج١ / ص٤٤٦ و ٤٤٧.

(٢) سورة إبراهيم/ الاية: ١٥.

(٣) بحار الأنوار / ج ٣٨ – ص ١٩٣ .

فالذي مزق كتاب الله الصامت بهذه القسوة وبهذه الطريقة الغريبة العجيبة .. هو الذي يرسل إلى واليه وعيونه في المدينة المنورة للخلاص من القرآن الناطق الإمام السجاد ﷺ واغتياله بالسم ..

فدس السم إلى الإمام ﷺ وذلك في عام (٩٤) للهجرة، فقضى نحبه شهيدًا سعيدًا .. وهو شاهد على أعمال أولئك الحكّام الظالمين من بني أمية..

وكانت تلك السنة سميت بـ (سنة الفقهاء) وذلك لكثرة من مات منهم في المدينة المنورة، وأكبر شاهد على ذلك شهادة الإمام ﷺ وهو سيّدهم ومعلّمهم، حيث توفي بالسم في (٢٥) من شهر محرم الحرام وقيل في (١٨) منه .. فذهب إلى ربِّه راضيًا مرضيًّا، وذلك بعد أن سلّم راية الحق والهدى إلى والده الإمام البار التقي محمد الباقر ﷺ الذي بقر العلم بقرًا وسار به حتى ملأ الخافقين .

قبسات من حياة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

كاظم يوسف الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين خاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الميامين، وأخص مولانا قائم آل محمد الحجة المهدي المنتظر منقذ البشرية بدين الحق المبين.

أما بعد فقد تصاعدت حملات التَّشكيك، وإثارة الشبهات ضد العقائد الحقَّة في الآونة الأخيرة، وأخذ أصحاب المصالح والأحقاد الدّفينة يتفننون في طرح شبهاتهم، وبثّ سمومهم الضّالة في العالم الإسلامي، ومنها تلك الشبهات التي طرحت حول منقذ البشرية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حيث عمد أصحاب العقول المريضة إلى إثارتها رغم ضعفها، وهي تدل على ضيق أفق أهلها، ودنو مستواهم العلمي، إلَّا أنَّ عناية السماء والتدخل الإلهي الذي يرعى قضية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حال دون وصولهم إلى مآربهم وأغراضهم الخطيرة .

الولادة العطرة

في ليلة الجمعة (١٥ شعبان المعظم) سنة (٢٥٥هـ) ولد خاتم الأوصياء المنتقم لآل محمد عليهم السلام، وآخر الأئمة بالحق ولي الله وبقيته الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف [١].

روت السيّدة حكيمة عليها السلام بنت أبي جعفر الجواد عليه السلام وقالت: بعث إليّ أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال: يا عمّة اجعلي إفطارك الليلة عندنا فإنَّها ليلة النصف من شعبان، فإنَّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجّة عليه السلام، وهو حجّته في أرضه.

قالت: فقلت له: ومن أُمه؟

قال لي: نرجس؟

(١) الارشاد: ج٢، ص٣٣٩؛ الكافي: ج١، ص٥١٤.

قلت له: والله جعلني الله فداك ما بها أثر.

فقال: هو ما أقول لك.

قالت: فجئت فلمّا سلّمت وجلست، جاءت تنزع بخفي وقالت لي: يا سيّدتي كيف أمسيت؟

فقلت: بل أنتِ سيدتي وسيدة أهلي.

قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمّة؟

قالت: فقلت لها: يا بنية إنّ الله -تعالى- سيهب لك في ليلتك هذه غلامًا سيّدًا في الدنيا والآخرة.

قالت: فخجلت واستحيت.

فلمّا أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة وأخذت مضجعي، فرقدت، فلمّا أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة، ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليست بها حادثة، ثم جلست معقّبة، ثم اضطجعت، ثم انتبهت فزعة وهي راقدة، ثم قامت وصلّت ونامت.

قالت السيّدة حكيمة ﵀: وخرجت أتفقّد الفجر وإذا بالفجر الأوّل كذبه السرحان وهي نائمة.

قالت السيّدة حكيمة﵀: فدخلتني الشكوك.

فصاح بي أبو محمد ﵇ من المجلس، فقال: لا تعجلي يا عمّة فهاك الأمر قد قرب.

وقالت: فجلست فقرأت (ألم السجدة) و(يس)، فبينما أنا كذلك إذ انتبهت فزعة، فوثبت إليها، فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: تحسّين شيئًا؟

قالت: نعم يا عمّة.

فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك، فهو ما قلت لك.

قال السيّدة حكيمة ﵀: ثم أخذتني فترة وأخذتها فترة، فتنبّهت بحس سيدي، فكشفت الثوب عنه، فإذا أنا به ﵇ ساجد على أرض يتلقّى بمساجده، فضممته إليّ فإذا أنا به ﵇ نظيف منظّف.

فصاح بي أبو محمد ﵇: هلمّي إليّ ابني يا عمّة.

فجئت به إليه، فوضع يديه تحت إليته وظهره، ووضع قدميه على صدره، ثم أدلى لسانه في فيه وأمرّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال: تكلّم يا بني.

فقال عليه السلام: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّدًا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، ثم صلّى على أمير المؤمنين عليه السلام وعلى الأئمّة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم[١].

قال أبو محمد عليه السلام: يا عمّة، اذهبي به إلى أمّه ليسلّم عليها، وائتني به.

فذهبت به، فسلّم عليها ورددته ووضعته في المجلس.

ثم قال: يا عمّة، إذا كان اليوم السابع فاتنا.

قالت السيّدة حكيمة: فلمّا أصبحت جئت لأسلّم على أبي محمد عليه السلام، وكشفت الستر لأتفقّد سيدي، فلم أره، فقلت له: جعلت فداك، ما فعل سيدي؟

فقال: يا عمّة، استودعناه الذي استودعته أمّ موسى عليه السلام.

قالت السيّدة حكيمة: فلمّا كان في اليوم السابع، جئت وسلّمت وجلست.

فقال عليه السلام: هلمّي إليّ ابني، فجئت بسيدي وهو في الخرقة، ففعل به ما فعل في الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنّه يغذّيه لبنًا أو عسلاً، ثم قال: تكلّم يا بنيّ.

فقال: «أشهد أن لا إله إلّا الله، وثنى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمّة (صلوات الله عليهم أجمعين) حتى وقف على أبيه عليه السلام ثم تلا هذه الآية: بسم الله الرحمن الرحيم **(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ)**[٢]»[٣].

إمامة الإمام المهدي عجل الله فرجه

إنَّ الأدلة على ثبوت هذه المنزلة العظيمة للإمام ووجوده في كلِّ عصر وزمان منذ أن أنزل الله -تعالى- خليفته

---

(١) أحجم: كفّ، (لسان العرب) مادّة حجم.

(٢) سورة القصص: ٥ ـ ٦.

(٣) روضة الواعظين: ج٢، ص٢٥٦.

على الأرض فبدأ نـزول الإنسان مع الخليفة، وسينتهي وضعه على الأرض بخليفة إلهي.

نطقه عليه السلام بدلالة الإمامة:

قال الإمام العسكري عليه السلام: «**يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحاقَ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعالَى لَمْ يُخلِّ الأَرْضَ مُنْذُ خَلَقَ آدَمَ عليه السلام وَلا يُخَلِّيها إِلى أَنْ تَقُومَ السّاعَةُ مِنْ حُجَّةٍ للهِ عَلَى خَلْقِهِ، بِهِ يَدْفَعُ البَلاءَ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَبِهِ يُنَزِّلُ الغَيْثَ، وَبِهِ يُخْرِجُ بَرَكاتِ الأَرْضِ.**

قال: فقلت له: يا بن رسول الله فَمَنِ الإمام والخليفة بعدَك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثمَّ خَرج وعلى عاتقه غلام كَأَنَّ وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء الثلاث سنين، فقال: يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحاقَ لَوْلا كَرَامَتُكَ عَلَى اللهِ (عزَّ وجلَّ) وَعَلَى حُجَجِهِ مَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ ابْنِي هذَا، إِنَّهُ سَمِيُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَكَنِيُّهُ، الذي يَمْلؤُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً.

يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحاقَ مَثَلُهُ فِي هذِهِ الأُمَّةِ مَثَلُ الخِضْرِ عليه السلام، وَمَثَلُهُ مَثَلُ ذِي القَرْنَيْنِ، وَاللهِ لَيَغِيبَنَّ غَيْبَةً لا يَنْجُو فيها مِنَ الهَلَكَةِ إِلّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ (عزَّ وجلَّ) عَلَى القَوْلِ بِإِمامَتِهِ، وَوَفَّقَهُ فِيهَا لِلدُّعاءِ بِتَعْجيلِ فَرَجِهِ.

فقال أحمد بن إسحاق: فقلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئنُّ إليها قلبي؟ فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربيٍّ فصيحٍ فقال:

أَنا بَقِيَّةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَالْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ، فَلا تَطْلُبْ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحاقَ.

فقال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسرورًا فَرِحًا، فلمّا كان من الغد عُدْتُ إليه فقلت له: يا بن رسول الله لقد عظم سروري بما مننت به عليَّ، فما السنّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟ فقال: طُولُ الغَيْبَةِ يَا أَحْمَدُ. قلت: يا بن رسول الله وإنَّ غيبته لتطول؟ قال: إِي وَرَبِّي حَتَّى يَرْجِعَ عَنْ هذَا الأَمْرِ أَكْثَرُ القَائِلِينَ بِهِ، وَلا يَبْقَى إِلّا مَنْ أَخَذَ اللهُ (عزَّ وجلَّ) عَهْدَهُ لِوِلايَتِنا، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ.

يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحاقَ: هَذَا أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ، وَسِرٌّ مِنْ سِرِّ اللهِ، وَغَيْبٌ مِنْ غَيْبِ اللهِ، فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَاكْتُمْهُ وَكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ، تَكُنْ مَعَنا غَداً فِي عِلِّيِّينَ».[1]

(١) مصادر الحديث:
* كمال الدين: ج٢ ص٣٨٤ .
* الخرائج والجرائح: ج٣ ص١١٧٤.
* إعلام الورى: ص٤١٢.
* كشف الغُمّة: ج٣ ص٣١٦.
* الصراط المستقيم: ج٢ ص٢٣١.

الإمام المهدي عجل الله فرجه يجيب على سبعين مسألة:

كان أسعد بن عبد الله الأشعري قد أعد سبعين مسألة، وجاء إلى الإمام العسكري عليه السلام فقال له الإمام اسأل من ولدي هذا. فأجاب الإمام المهدي عجل الله فرجه على جميع أسئلته. وقد ذكرت هذه القضية في المجلد (١٣) من بحار الأنوار بالتفصيل، ويضيف إليها النقطة أيضاً وهي أنّه كان يؤتي إليه في ذلك الزمان بأموال بعنوان إنّها سهم الإمام يميز بين تلك الأموال، ويذكر أسماء أصحابها [١].

عقيدة أهل السنة في الإمام المهدي عجل الله فرجه:

بعد أن تحدثنا عن جوانب تخص حياة الإمام المهدي عجل الله فرجه نأتي هنا، ونتحدث عن ما ذكره العديد من كبار فقهاء ومؤرخي المذاهب الإسلامية الأربعة عنه عجل الله فرجه:

ابن حجر الهيثمي:

تفسير الآية الثانية عشرة قوله تعالى: "**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ" قَالَ مقَاتل بن سُلَيْمَان وَمن تبعه من الْمُفَسّرين إِن هَذِه الْآيَة نزلت فِي الْمهْدي وَسَتَأْتِي الْأَحَادِيث المصرحة بِأَنَّهُ من أهل الْبَيْت النَّبَوِيّ وَحِينَئِذٍ فَفِي الْآيَة دلَالَة على الْبركَة فِي نسل فَاطِمَة رَضِي الله عَنْهَا وَأَن الله ليخرج مِنْهُمَا كثيرا طيبا وَأَن يَجْعَل نسلهما مَفَاتِيح الْحِكْمَة ومعادن الرَّحْمَة، وسر ذَلِك أَنه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أعاذها وذريتها من الشَّيْطَان الرَّجِيم، ودعا لعَلِي بِمثل ذَلِك وَشرح ذَلِك كُله يعلم بسياق الْأَحَادِيث الدَّالَّة عَلَيْهِ.**[٢].

أبو الفداء ابن كثير:

قال في النهاية: فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان وهو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين فقد

* منتخب الأنوار المضيئة: ص٤٠.
* إثبات الهداة: ج١ ص١١٣.
* حلية الأبرار: ج٥ ص٢٠٢.
* تبصرة الولي: ص١٣٨.
* البحار: ج٥٢ ص٢٣.
* نور الثقلين: ج٢ ص٣٩٢.
* منتخب الأثر: ص٢٢٩.
* ينابيع المودة: ج٣ ص٣١٧.

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ج٢، ص٤٧٦.

(٢) الصواعق المحرقة: ج١، ص٢٠.

نطقت به الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ وأنه يكون في آخر الدهر[١].

جلال الدين السيوطي:

قال في كتابه الحاوي للفتاوي: قال أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم السحري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وإنّه من أهل بيته وإنّه سيملك سبع سنين وإنَّه يملأ الأرض عدلاً وإنَّه يخرج معه عيسى فيساعده على قتل الدجال (بباب لد) بأرض فلسطين وإنّه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلّي خلفه. في طول من قصته وأمره[٢].

ابن أبي الحديد المعتزلي:

قال في شرح نهج البلاغة، في شرح قوله ﷺ (وبنا يختم لا بكم) إشارة الى المهدي الذي يظهر في آخر الزمان. وأكثر المحدثين على إنّه من ولد فاطمة ﷺ وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه، وقد صرّحوا بذكره في كتبهم، واعترف به شيوخهم إلَّا أنّه عندنا لم يخلق بعد، وسيخلق والى هذا المذهب يذهب أصحاب الحديث[٣].

خير الدين الآلوسي:

قال في غالية المواعظ: فمنها أي علامات الساعة خروج المهدي -رضي الله عنه- على القول الأصح عند أكثر العلماء، ولا عبرة بمن أنكر مجيئه من الفضلاء، وفي مجيء المهدي أحاديث عديدة: قال: بعد أن استعرض قسمًا من أحاديثه: وهذا الذي ذكرناه في أمر المهدي هو الصحيح من أقوال أهل السنة والجماعة[٤].

القرماني الدمشقي:

قال في كتابه: أخبار الدول وآثار الأول: واتفق العلماء على إنّ المهدي هو القائم في آخر الوقت وقد تعاضدت الأخبار على ظهوره وتظاهرت الروايات على إشراق نوره وستفر ظلمة الليالي والأيّام بسفوره، وتنجلي برؤيته الظلم انجلاء الصبح عن ديجوره، ويسير عدله في الآفاق فيكون أضوء من البدر المنير في مسيره [٥].

---

(١) النهاية: ج١، ص٢٩٦.

(٢) الحاوي للفتاوي: ج١، ص٣٩٦.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج١، ص١٤٦.

(٤) غالية المواعظ: ج٢، ص١٥٨.

(٥) أخبار الدول: ج١، ص٤٦٣.

هذا بعض ما قاله كبار محدثي ومؤرخي العامة في الإمام المهدي عجل الله فرجه.

حاكمية العقل:

إنَّ النزاع بين الشيعة الإمامية وغيرهم إنَّما يكون صغرويًّا، فإنَّ الجميع يعترف باحتياج الأمة الى إمام يترأّسها لهداية الناس وإرشادهم الى سبيل الصلاح وجلب السعادة لأفرادها، إلَّا أنَّ الفريق الخصم لا يرى في الإمام المنصوب ما تشترطه الشيعة الإمامية في إمامهم . فلو كان الحكم هو العقل بين الطرفين لكان يحكم بأن تذهب إليه الشيعة الإمامية هو الأجدر بالقبول، لا نظريات ولا أطروحات الخصم في أمر الإمامة التي باءت كلّها بالفشل، ولم تجلب السعادة للأمّة في أرض الواقع، وحينئذٍ ما ذكر من الشبهات في أمر الإمام المهدي عجل الله فرجه يظهر زيفها وبطلانها بل لابد من الإقرار بوهنها أمام هذا الصرح العظيم الذي تبيّنت جملة مظاهر حقيقته مما عرفت، إلَّا أن ظلمة العناد واللجاج تدلي ستارها على نور العقل فتسلب مشاعر الإنسان وشعوره فلا يقول إلَّا شططاً .

من مات ولم يعرف إمام زمانه:

إنَّ الله -سبحانه وتعالى- قد أمرنا بطاعته ورسوله والأئمة عليهم السلام، من بعده فقال -تعالى-: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ .فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)**[1].

ولي الأمر الذي أمر بطاعته إطاعة مطلقة يلزم أن يكون معصومًا، وإلَّا لقيَّد في الآية إطاعته بقوله مادام مطيعاً مثلاً وجعل طاعته نفس طاعة الرسول فلم يكرّر الإطاعة مرة ثالثة وإنّما طاعة واحدة للرسول وأولي الأمر فيلزم أن يكونوا بمستوى الرسول بالعلم والحكم والعدالة وإلاّ لذكرهم بإطاعة ثالثة. فإذا كان الإمام بهذا المستوى فيلزم معرفته بوضوح حتى لا يتبع المكلف المسلم غيره ممن يخالفه فيكون من الفرق المخالفة، ولذا ورد في المذاهب: ستفترق أمّتي الى ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية والباقون في النار.

وورد في تعيين الفرقة الناجية: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما فلن تظلوا من بعدي أبداً»[2].

---

(١) سورة النساء/ الآية: ٥٩.

(٢) الصواعق المحرقة: ص٨٩، وأسد الغابة: ج٢، ص١٢، والترمذي: ج٥، ص٣٢٩، والدر المنثور: ج٦، ص٣٠٦.

وهنا تبين إنّ الفرقة الناجية هم الذين اتبعوا كتاب الله تعالى- وعترة الرسول الأعظم أهل البيت -صلوات الله عليهم-.

عُمْر الإمام المهدي عجل الله فرجه

مشابهة آدم ونوح في طول العمر:

ورد في الروايات: أنّ القائم عليه السلام له سُنّة من نوح عليه السلام وهي طول العمر(١).

والنبي نوح عليه السلام قد عاش ألفان وخمسمائة سنة، وصرح القرآن بأنّه لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً (٢).

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (عاش أبو البشر آدم تسعمائة وثلاثين سنة، وعاش نوح ألفي سنة وأربعمائة سنة وخمسين سنة، وعاش إبراهيم مائة وخمساً وسبعين سنة، وعاش إسماعيل مائة وعشرين، وعاش اسحاق بن إبراهيم مائة وثمانين سنة، وعاش سليمان بن داود سبعمائة سنة واثنتي عشرة سنة)(٣).

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (عاش نوح ألفي سنة وخمسمائة سنة)(٤).

وقد لبث أصحاب الكهف في كهفهم (ثلاثمائة سنين) وازدادوا تسعاً، كما في القرآن الحكيم(٥).

وفي حديث آخر: قصة الملك الذي ملك ألف سنة، وبنى ألف مدينة، وافتض ألف بكر وكان آخر عمره أن صار التراب فراشه والحجارة وسادته والديدان والحيّاة جيرانه، وكان عبرة لمن رآه حتى لا يغتر بالدنيا(٦).

ولا امتناع من بقائه عليه السلام بدليل بقاء عيسى والخضر والياس عليهم السلام من أولياء الله تعالى، وبقاء الدجال وابليس من أعداء الله -تعالى- وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة، وكذلك الإمام المهدي-عجل الله تعالى فرجه-.

قضية أصحاب الكهف:

ورد النّص في القرآن الكريم أنَّ أصحاب الكهف بقوا في الكهف ثلاثمائة وتسعة أعوام، ثلاثمائة عام من النوم

(١) كمال الدين: ص٣٢١ و٣٢٢ و٥٣٠ و٥٧٦، وكشف الغمة: ج٢ ص٥٢٢، والصراط المستقيم: ج٢ ص٢٣٨، والخرائج: ص٩٣٦، و٩٦٥ وأعلام الورى:٤٢٧.

(٢) قال تعالى: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) سورة العنكبوت: ١٤.

(٣) كمال الدين: ص٥٢٤.

(٤) المصدر نفسه: ص٥٢٣.

(٥) قال تعالى: (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً) سورة الكهف:٢٥.

(٦) راجع كمال الدين: ص٥٢٥.

على وتيرة واحدة ثم الاستيقاظ ثم النوم للمرة الثانية الى زمان خاتم الأنبياء محمد ﷺ حيث جلس الإمام علي عليه السلام بأمر رسول الله ﷺ على بساط وذهب الى الكهف المذكور وسلّم عليهم وردّوا عليه السلام وناموا للمرة الثالثة الى زمان ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه وخروجه حسب الروايات حيث يكونون في ركابه فما الذي يمنع الله القادر بهذه القدرة أن يحفظ الإمام المهدي عجل الله فرجه شابًّا وقويًّا سنوات .

قصة عزير عليه السلام والعنب:

والأعجب من ذلك قصة النبي عزير عليه السلام المذكورة في القرآن الكريم فقد حفظ عنقود العنب طريًّا مائة عام كما حفظ جسد عزير أيضًا مائة عام من دون أي تغيير، وأمّا حماره فقد مات موتًا طبيعيًّا وتلاشى جسده.

فهل أنّ حفظ العنب طريًّا وسالمًا مائة عام أهم من بدن الحجة بن الحسن عجل الله فرجه لألفي عام مثلاً؟ .

بعد أن بيّنّا العمر الطويل للأنبياء عليهم السلام، ومنهم أبو البشر آدم عليه السلام والنبي نوح عليه السلام وعزير عليه السلام، وكيف مدَّ الله -تعالى- في أعمارهم، وعاشوا مئات السنين ألم يكن هذا أكبر برهان على عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه وأولئك الذين يراودهم الشّك في قضيّة الإمام المهدي؛ لأنَّهم غرقى في الماديات والأمور الدنيوية، ولذلك لا يمكنهم إدراك الحقائق الواضحة وبعبارة أخرى إنَّهم ليس لديهم شيء في مقابل نور الحقيقة إلَّا إظهار العداوة. فالنّقص في الناظر لا في الحقيقة . فلماذا تقبل النبي نوح عليه السلام الذي ناهز ألف عام على أقلّ تقدير، ولا تقبل الإمام المهدي عجل الله فرجه؟ أليست هذه هي العداوة لرسول الله ﷺ لأنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه كما بيّنّا هو امتداد لرسول الله ﷺ والذي يشكّك في قضية الإمام المهدي معناه يشكّك في عصمة رسول الله ﷺ.

الغيبة الصغرى للإمام المهدي عجل الله فرجه

بدأ عصر الغيبة الصغرى باستشهاد الإمام العسكري عليه السلام في الثامن من شهر ربيع الأول عام (٢٦٠هـ)، وانتهت بوفاة السفير الرّابع أبي الحسن علي بن محمد السمري-رضوان الله عليه- في النصف من شعبان عام (٣٢٩هـ) [١].

عند تولّي الإمام المهدي عجل الله فرجه الإمامة، بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام، بدأ عليه السلام بالإيعاز بتنصيب وكيله الأوّل حين قابله وفد القمّيين، ولذا نجد إن الأمر لا يخلو من المسامحة إذا قلنا أنَّ الغيبة الصغرى بدأت بإصدار هذا البيان لا بساعة استشهاد أبيه عليه السلام على أنّ الأمر ليس بمهمًّا بعد اتحاد تاريخها في نفس اليوم الواحد بل الصباح الواحد حيث

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٤٢.

رحل الإمام العسكري ﷺ بعد الفجر من اليوم الثامن من شهر ربيع الأول عام (٢٦٠هـ) وقابل وفد القمّيين الإمام المهدي ﷺ قبل الظهر في نفس اليوم[١].

ومن المستطاع القول بأنَّ المميزات الرئيسية لهذه الفترة ثلاث:

الميزة الأولى: كونها مبدأ تولّي الإمام المهدي ﷺ للمنصب الإلهي الكبير في إمامة المسلمين بعد أبيه الراحل ﷺ لكي يتولّى مسؤوليته الكبرى في قيادة قواعده الشعبية خاصة والبشرية كلّها عامة الى السعادة والسلام .

الميزة الثّانية: عدم الاستئثار الكلّي للمهدي ﷺ وإنَّما كان يتّصل بعددٍ مهمّ من الخاصة لأجل مصالح كبرى .

الميزة الثالثة: وجود السفراء الأربعة الموكلين بتبليغ تعاليم الإمام المهدي ﷺ إلى الناس من قواعده الشعبية بحسب الوكالة الخاصة المنصوص عليها من قبل المهدي ﷺ نفسه أو من قبل آبائه ﷺ وكان الأسلوب الرئيس للمهدي ﷺ في قيادة قواعده الشعبية وإصدار التعليمات وقبض الأموال هو ما يكون بتوسّط هؤلاء السفراء، وما يتسنى لهم القيام به من قول وعمل[٢].

الغيبة الكبرى للإمام المهدي ﷺ

قلنا بأنَّ الإمام المهدي ﷺ قد عيَّن في غيبته الصغرى أربعة أشخاص بالترتيب بعنوان النائب الخاص؛ ليتمكّن الناس بواسطتهم من إيصال مطالبهم وأمورهم إلى الإمام وكذلك يتم إبلاغ الناس بأوامر الإمام بواسطتهم أيضاً الرابع منهم هو علي بن محمد السمري. وقد وصلت إليه رسالة من قبل الإمام قبل عدَّة أيام من وفاته حيث أبلغه بقرب وفاته يأمره بأن لا يعيَّن أحدًا بعد ذلك للنيابة الخاصّة إماما هو تكليف العباد فإنه لم يترك الناس حيارى فالغيبة الكبرى قد مضى عليها أكثر من ألف سنة ويعلم الله كم ستطول مدّتها إلَّا أنّ الإمام قد عمل بوظيفته، ولم يترك شيعته تائهين.

إنَّ الاعتراف بالإمام المهدي ﷺ كإمام مفترض الطاعة وقائد فعليّ للأمة من التكاليف المطلوبة إسلاميًّا حال الغيبة، وإن لم يكن عمله ظاهرًا للعيان، ولا شخصه معروفًا وهذا من الضّروريّات الواضحات على المستوى الإمامي للعقيدة الإسلامية.

---

(١) موسوعة الإمام المهدي-عجل الله فرجه: ج١، ص٣٤١.

(٢) المصدر نفسه: ج١، ص٣٤٢.

الانتفاع بالإمام المهدي عجل الله فرجه:

وأما وجه الانتفاع في غيبته كالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب. عن جابر بن عبد الله الأنصاري، إنّه سأل النبي صلى الله عليه وآله قال هل يشفع الشيعة بالقائم عجل الله فرجه في غيبته فقال صلى الله عليه وآله أي والذي بعثني بالنبوّة إنّهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جلّلها السحاب [١].

عن سليمان الأعمش عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها ولولا ذلك لم يبعد الله. قال سليمان فقلت للصادق عليه السلام فكيف ينتفع الناس؟ قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب [٢].

إن كان الناس فيما مضى لا يعرفون عن الشمس إلَّا أنها جرم سماويّ يشرق على الأرض ويبتدئ النهار بشروقها وينتهي بغروبها، وإنّها تجفف الأجسام الرطبة، وتبخّر الماء وتولد الحرارة في الجو وأمثال ذلك فإنّ العلم الحديث اليوم اكتشف للشمس فوائد عظيمة ومنافع مهمّة جدًّا هذا والموضوع يتطلب شيئاً من التفصيل والتوضيح.

فنقول لقد عرفت إنَّ الأحاديث التي مرّت عليك قبل لحظات كانت مرويّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الأئمة عليهم السلام وكلّها تؤكّد على حقيقة واحدة ومضمون واحد.

ونسأل لماذا لم يشبهوه بالقمر المستور بالسحاب مع العلم أنّ القمر له تأثيرات كثيرة في الأرض كالمد والجزر في البحار وما شابه.

الجواب: من الواضح أنّ الشمس تمتاز على القمر من عدّة جهات:

١ـ إنَّ نور الشمس نابع من ذاتها، بينما القمر يكتسب نوره من الشمس.

٢ـ إنَّ في أشعة الشمس فوائد كثيرة غير موجودة في أشعّة القمر.

٣ـ إنَّ دور الشمس في المجموعة الشمسية دور قياديّ رئيسيّ بخلاف القمر فإنَّه واحد من الكواكب التي تسبح في المجموعة، وهناك جهات أخرى لا داعي لذكرها .

---

(١) إكمال الدين: ج١، ص٣ .

(٢) المصدر نفسه: ج١، ص٢٠٧، وفرائد السمطين: ج١، ص٤٦ .

فالإمام المهدي ﷺ الذي شبّهه رسول الله ﷺ بالشمس من وراء السّحاب هو الذي بوجوده يتنعّم البشر وتنتظم حياته وكلّ ذلك من فضل الله -تعالى- على رسوله محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام وهو الذي تتفجّر منه الخيرات والبركات والألطاف الخفيّة والفيوضات المعنوية الى الناس. وهو المهيمن على الكون بإذن الله -تعالى- من وراء ستار الغيبة والاختفاء فهو يتصرّف في الكائنات بصورة مستمرّة، ويملك كافّة الصلاحيات التي فوّضها الله إليه. وليست حياته حياة العاجز الضّعيف الذي لا يملك حولاً ولا قوَّة ويكتفي بصلاته وصيامه ويقضي أوقاته في الصحاري والبراري منعزلاً عن الناس لا يعرف شيئاً عن العباد والبلاد. كلّا وألف كلّا بل هو نور الله في الأرض، وحجّته على كلِّ المخلوقات لا فقط على البشر بل على كلِّ شيء في الكون الإمام المهدي حجّة عليه .

كذب الوقّاتون:

عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يا محمد من أخبرك عنهما توقيتًا فلا تَهابنّ أن تكذّبه فإنّا لا نوقّت لأحد وقتًا[1]. وهنا إشارة الى كلّ من يدّعي ظهور الإمام ﷺ في الوقت الفلاني أو اليوم الفلاني كما يحصل من بعض ضعفاء العقول الذين يهبّون مع كلّ من هبّ ودب. وكلام الإمام عليه السلام واضح كالشمس حيث يقول (لا نوقّت لأحد وقتًا) معناها لا يعلم يوم الظهور المقدّس إلَّا الله -سبحانه وتعالى-.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن القائم ﷺ فقال: كذب الوقّاتون إنّا أهل البيت لا نوقّت وفيها أبى الله إلَّا أن يخالف وقت الموقّتين[2].

وهنا دلالة واضحة من كلام الإمام عليه السلام حيث قال: (إنّا أهل البيت لا نوقّت) وفي هذه الرواية تنبيه إلى الناس حتى لا ينخدعوا بكلام الكذّابين. وهنا نحن ملزمون باتباع منهج أهل البيت عليهم السلام ونسير على هذا النهج الشريف حتى لا نخرج عن خطّهم عليهم السلام ولا نقع في الهاوية كما يحدث الآن من حركات وتيّارات منحرفة التي همّها محاربة أهل بيت العصمة والطهارة وبالأخص بقيّة الله الأعظم ﷺ، وعلينا أن ننتبه الى ما يحدث حولنا من أمور ولا نتجاهلها، وعلينا أن نأخذها بعين الاعتبار لا أن نتساهل ونتهاون فيها لأنّ كلّما تهاونّا حدثت فجوة بيننا فيقوم الأعداء باستخدامها وسيلة وأداة لتمزيق المجتمع الإسلامي وبالأخص الشباب منهم في نشر أفكارهم وسمومهم بينهم .

---

(١) النعماني: ص٢٨٩، وغيبة الطوسي: ص٢٦٤.

(٢) الكافي: ج١، ص٣٦٨، والنعماني: ص ٢٨٩، وبحار الأنوار: ج٥٢، ص١١٧.

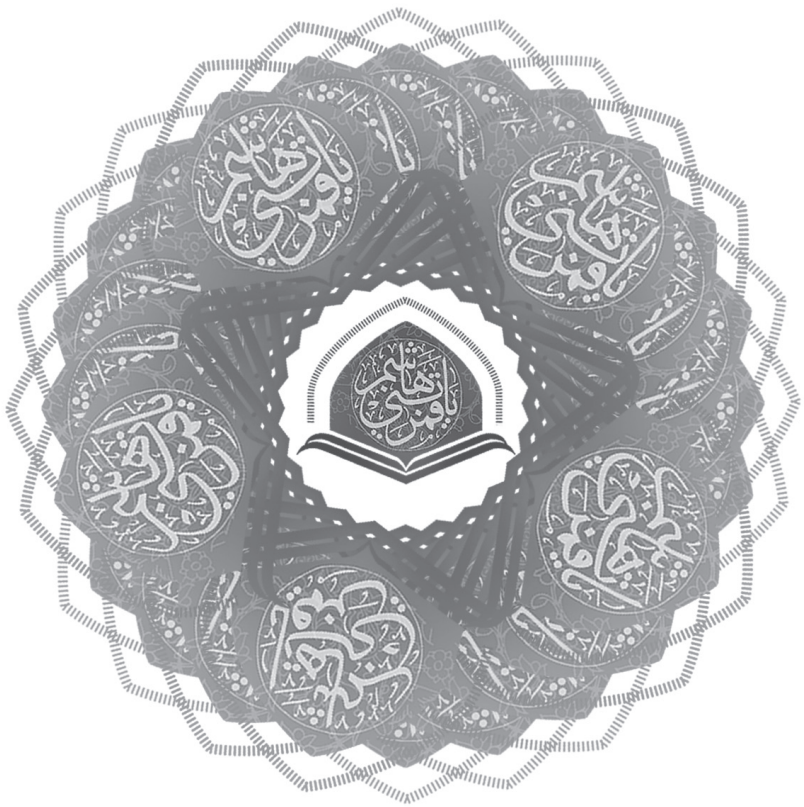

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

شهـر رمضان

- الإعانة الإلهية للصائم –تأمّلات في دعاء اليوم السابع من شهر رمضان–
- صور التضحية
- فن الاعتذار مبدأ في العلاقات الإنسانية
- ملامح مسؤولية الحاكم عند الإمام علي عليه السلام

الإعانة الإلهية للصائم
تأمّلات في دعاء اليوم السابع من شهر رمضان

الشيخ حيدر المؤيد

«اللهم أعنّي فيه على صيامه وقيامه، وجنّبني فيه من هفواته وآثامه، وارزقني فيه ذكرك بدوامه، بتوفيقك يا هادي المضلين».

عن النبي صلى الله عليه وآله: من دعا به أعطي في الجنة ما يعطى الشهداء والسعداء والأولياء[١].

الاستعانة بالله

يفتتح الداعي دعاءه في اليوم السابع من شهر رمضان المبارك بطلب العون من الله -تعالى- لصيام هذا الشهر وقيامه، فيقول: (اللهم أعنّي فيه على صيامه وقيامه).

والعون في اللغة بمعنى: المساعدة، عوّنه، تعوينًا وعاونه معاونة وعوانًا وأعانه إعانة على الشيء: ساعده. استعان فلاناً بفلان، طلب منه المساعدة والعون، والعون مصدر بمعنى المساعدة.

وفي القرآن الكريم إشارة صريحة وواضحة الى أهمّيّة الاستعانة بالله، فلابد منها في كلّ أعمالنا وحركاتنا حيث نقرأ قوله -تعالى-: (إياك نعبد)[٢] ثم نعقبه فورًا بقوله -سبحانه-: (وإياك نستعين)[٣].

وذلك لأنَّ أصل العمل بحاجة الى العون، مما يعبّر عنه العلماء بالعلّة المحدثة، والاستمرار عليه أيضاً بحاجة الى العون، ويعبر عنه بالعلة المبقية.

فالطّاعة تحتاج الى مساعدة والى عون، والعبودية تحتاج الى الاستعانة والى العون، وجميع الحياة بحاجة الى العون، والنّجاة من الأزمات والمشاكل هي الأخرى بحاجة الى الاستعانة بالله -سبحانه-، وهكذا.

وهذا أمر يحسّه الإنسان عادة في المواقف الحرجة الصّعبة، ويشعر بمدى عون الله له وتسديده إياه في كثير من الأحيان.

---

(١) البلد الأمين/ الآية: ص٣٠٧.

(٢) سورة الفاتحة/ الآية: ٥.

(٣) سورة الفاتحة/ الآية: ٥.

ولكن لماذا ذلك؟

لأنّها مجاهدة كبيرة ومصارعة صعبة للنفس والأهواء، والشهوات والغرائز الضّاغطة على الإنسان، فبدون عون الله تعالى ينحرف الإنسان ويخرج عن سواء السبيل، قال -تعالى-: (**فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ**)[١].

ومعلوم أنَّ الاستعانة بالله لا تعني الجلوس في البيت ليأتينا العون، بل العون لا يكون إلا بأسبابه وشروطه، فالعبد يتحرّك نحو الله -تعالى- فيمدّ الله له يد الرحمة والعون والسداد والتوفيق؛ لينال العبد ما يريد.

وكل أمر وميثاق يحتاج الإنسان فيه الى مساعدة لإتمامه وأدائه.. وخصوصًا الأعمال الشاقة التي تحتاج الى مجاهدة.. وبالتالي الى صبر وعناء.

وبما أنَّ شهر رمضان شهر الصوم وشهر العبادة وشهر المجاهدة، لذا احتاج الدّاعي الى العون.. والى التدخّل الإلهي والعناية الرّبّانية والتسديد الرحماني لإتمامه بالصّالحات والطّاعات والعبادات المستمرّة، فكم من صديق لنا أو قريب يحب الصّيام ولا يوفق له.. وكم من أناس يميلون الى العبادة والطاعة ولكن تمنعهم من ذلك الموانع، وتصدّهم القواهر.. إذن لكي نوفّق لصيام هذا الشهر الفضيل وقيامه فنحن بحاجة الى تسديد وتوفيق والسداد ولا يحصل ذلك إلا بالاستقامة والتسليم والخضوع لله -تعالى- وبالأعمال الصالحة.. صغيرها وكبيرها.

والسؤال: ما هو الطريق لنيل العون والتسديد الإلهي، والاستعانة الربانية؟

والجواب: السّبل الى ذلك عديدة.. سنشير الى أحدها هنا، ألا وهو (العلاقة بين العبد وربه) التي تؤول إلى الحب الإلهي وبالتالي الرضا بين الخالق والمخلوق، ومن المعلوم أنَّ الرضا يستلزم التوفيق والإعانة والتّسديد، أنظر الى قوله تعالى: (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)[٢].

ومن الواضح أنَّ الحبيب يتبع المحبوب.. ويجله في نفسه وكيانه.. ويمتثل إليه.. وهذا يتطلّب الطّاعة من الحبيب والميل والعناية من المحبوب، ولعلّ ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إشارة الى ذلك، حيث يقول: (إذا أحب الله عبدًا ألهمه حسن العبادة)[٣].

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ٦٤.

(٢) سورة آل عمران/ الآية: ٣١.

(٣) غرر الحكم: ص١٩٨.

وعنه ﷺ أيضًا: (إذا أحبّ الله عبدًا ألهمه رشده ووفّقه لطاعته)[١].

فالسداد والعون والتّوفيق الإلهي لا يكون اعتباطًا، بل له أسباب وشروط، ومن أسبابه: العلاقة المتينة بين العبد وربه، فإنَّ التناسب بينها وبين التسديد طردي، كلّما كانت العلاقة وطيدة فإنَّ التسديد أكثر والتوفيق أعمق، والعكس صحيح أيضًا.

أنظر الى قول الإمام الصادق ﷺ يتضح لك المعنى..

قال ﷺ: (من أراد أن يعرف كيف منزلته عند الله فليعرف كيف منزلة الله عنده، فإنَّ الله ينزل العبد مثل ما ينزل العبد الله من نفسه)[٢].

فالله سبحانه دائماً في عون عبده، قاضياً لحوائجه، إذا حقّق العبد في نفسه شرائط الإجابة.

مجانبة الهفوات

وبعد أن سأل العبد من ربّه العون على الصيام والقيام في شهر رمضان المبارك، ماذا يريد، وماذا يطلب؟

يطلب من الله تعالى: أن يجنّبه في هذا الشهر العظيم من الهفوات والآثام، حيث يقول: (وجنّبني فيه من هفواته وآثامه).

إنَّ كل عمل يحتاج إلى همّة.. وبقدر همّة الإنسان يقترب من النجاح؛ لأنَّ للهمّة دورًا في تكامل الإنسان ورفعته وشرفه ومجانبته للهوى وللنفس الأمّارة بالسّوء، فقد ورد في دعاء الإمام زين العابدين ﷺ: (فقد انقطعت إليك همّتي، وانصرفت نحوك رغبتي، فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي)[٣].

لأنَّ من قصرت همّته في هذا الشهر قد لا يتجنّب الهفوات ولا يتجنّب الآثام.

والهفوات عديدة، فمرة زلة لسان، وأخرى استراق بصر وسمع، وتارة فعل بالجوارح وغيرها.. وهكذا.

فطرق اكتساب الآثام ووسائله عدة ولسنا هنا في صدد إحصاء الهفوات والآثام وأنواعها، وإنَّما نريد أن نعرف كيف نتجنّبها؟

وهذا لا يكون بالكلام.. بل بالهمّة العالية والتّصميم الدّقيق ووضع البرامج التربوية الترويضية الصحيحة لكبح

---

(١) غرر الحكم: ص١٨٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٨ / ص١٥٦.

(٣) المصدر نفسه: ج ٩١ / ص١٤٧ .

جماح النفس والغرائز وعدم انفلاتها، فتحصين النفس وتقوية دفاعاتها أمر مهم لمجانبة الآثام والهفوات، وذلك بحاجة الى رقابة مشدّدة على النفس.

لابد لكل إنسان من الرقابة الذاتية، فالذي يصوم شهر رمضان ينبغي أن لا يصوم عن الطعام والشراب فقط، بل يصوم عن جميع الرّذائل والمحرمات..

ويلزم على الإنسان الصَّائم أن يسعى كي يكون صادقًا مع ربّه في صيامه، فيخشى الرقابة الإلهية قبل كلِّ شيء، فعلى الإنسان أن يجعل الرقابة الإلهية سندًا للرقابة الذاتية، وعليه أن يجعل الله نصب عينيه دائمًا، أينما كان وأينما حلّ.

قال تعالى: **(إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)**[١].

وعن النبي الأعظم ﷺ: (أعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك)[٢].

والله -سبحانه- يرقب الإنسان في حركاته وسكناته، لأنَّه أقرب إليه من حبل الوريد.. قال تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)**[٣].

بل وجعل الله-تعالى- على الإنسان مجموعة من الشهود والرقباء، فإنَّ الملائكة ترقب الإنسان بل وحتى جوارحه وأعضاءه ترقبه وتشهد عليه، **(وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ)**[٤].

فأين المفر؟

قال -تعالى-: **(مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)**[٥].

وقال -سبحانه-: **(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[٦].

والإمام أمير المؤمنين ﷺ في دعاء كميل يعطي صورة جليّة وواضحة لهذا الأمر حيث يقول مناجيًا ربّه: **(فَأَسْأَلُكَ بِالْقُدْرَةِ الَّتى قَدَّرْتَها، وَبِالْقَضِيَّةِ الَّتي حَتَمْتَها وَحَكَمْتَها وَغَلَبْتَ مَنْ عَلَيْهِ اَجْرَيْتَها اَنْ تَهَبَ لى فى هذِهِ اللَّيْلَةِ وَفي هذِهِ السّاعَةِ كُلَّ جُرْم اَجْرَمْتُهُ، وَكُلَّ ذَنْب اَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ قَبِيح اَسْرَرْتُهُ، وَكُلَّ جَهْل عَمِلْتُهُ، كَتَمْتُهُ اَوْ اَعْلَنْتُهُ اَخْفَيْتُهُ اَوْ اَظْهَرْتُهُ،**

---

(١) سورة النساء/ الآية: ١.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٧ ص١٩٦.

(٣) سورة ق/ الآية: ١٦.

(٤) سورة البروج/ الآية: ٢٠.

(٥) سورة ق/ الآية: ١٨.

(٦) سورة النور/ الآية: ٢٤.

وَكُلَّ سَيِّئَة اَمَرْتَ بِاِثْباتِهَا الْكِرامَ الْكاتِبِينَ الَّذينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ ما يَكُونُ مِنّي وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوارِحي، وَكُنْتَ اَنْتَ الرَّقيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرائِهِمْ، وَالشّاهِدَ لِما خَفِيَ عَنْهُمْ)[١].

فعلى الإنسان أن يجهد ويتعب نفسه في هذا الشهر الكريم.. بأن يجعل كل شيء وكل عمل لله -تعالى-.. وأن يكون رقيباً على تصرّفاته وأعماله لتكون بعيدة عن الهفوات والآثام.

ومعلوم أنَّ هذا الأمر بحاجة الى رقابة شديدة ومحاسبة دقيقة، فلابُدّ من المراقبة والمحاسبة قبل الشروع بالعمل.

قال أمير المؤمنين ﷺ وهو يحث على النّظر للعمل بقوله: النظر الأول للمراقب نظرة في الهمّة والحركة أهي لله تعالى أو للهوى.. وأقلّ ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحًا ولكنه لا يعنيه فيتركه لقوله ﷺ: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[٢].

وقال ﷺ: (وراقبوا الله في جميع أموركم)[٣].

خطوات لترويض النّفس

فعلى الإنسان المؤمن أن يستثمر هذا الشهر الفضيل لترويض النفس وبرمجتها (أي ترويضها على البرامج التربوية الدينية).

ولعلَّ أول خطوة في هذا السبيل: هو أن يتعلّم محاسبة نفسه وإحصاء مساوئها، كما يقول أمير المؤمنين ﷺ: (على العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدّين والرّأي والأخلاق والأدب فيجمع ذلك في صدره أو في كتاب ويعمل في إزالتها)[٤].

والخطوة الثانية: يلزم أن تكون أوقاته هادفة وأعماله مدروسة، فيقوم بتقسيم أعماله على ساعات اليوم، وهذا برنامج آخر يمكن الاستفادة منه لتجنب المعاصي والآثام أيضًا.

فعن رسول الله ﷺ: (على العاقل أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه عزوجل، وساعة يُحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكّر فيها في صنع الله عزوجل إليه، وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب، فإنَّ في هذه الساعة عوناً

---

(١) مفاتيح الجنان، والدعاء والزيارة: دعاء كميل. عن مصباح المتهجد: ص٨٤٨.

(٢) المحجة البيضاء: ج٨ / ص١٦٢. وبحار الأنوار: ج١ / ص١٤٩.

(٣) تحف العقول: ص ٥١٣.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٥ / ص٦.

على بقية الساعات)[١].

هذه البرامج الرقابية معظمها وقائية تحصّن النّفس من الوقوع في الخطأ وتمسكها عن فعل القبيح وعمّا يهتك حرمة هذا الشهر وحرمة الصوم وحرمة الإنسان المؤمن نفسه، وهذا قبل فعل العمل وارتكابه.

وهناك برامج رقابية بعد فعل العمل، أي لو عمل الإنسان عملاً ولا يعرف مصيره فهنا رقابة أخرى ترشده في هذا السبيل.

والمؤمن قوام على نفسه كما يقال، فيحاسبها حتى يخفّ حسابه يوم القيامة.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: (ليس منّا من لم يُحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله تعالى، وإن عمل سيّئاً استغفر الله منه وتاب إليه) [٢].

ومما تقدم نعرف أنَّ المواظبة الدائمة على النفس ومحاسبتها والتّخطيط لأعمالها وبرامجها سيكون طريقًا جيّدًا لاجتناب الهفوات والآثام، كما سيكون بابًا واسعًا لتوفيق الله -سبحانه- في هذا الاتجاه؛ لأنَّ الله -عزّ وجل- إذا رأى العبد جادًّا في سبيل الهداية والصلاح فإنَّه سوف يوفقه ويعينه؛ ليصل الى منازل المقرّبين..

قال -تعالى-: **(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)** [٣].

دور الذكر في صياغة الشخصيّة

ثم يطلب العبد من ربّه في هذا الدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يرزقه الله -تعالى- في هذا الشهر دوام الذكر وتوفيقه، فيقول: (وارزقني فيه ذكرك بدوامه).

فإنّ للذكر أهمية كبيرة في حياة المؤمن، كما له فضل عظيم وفوائد جمة لا تحصى، قال -تعالى-: **(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)** [٤].

وقال-سبحانه-: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)** [٥].

(١) المحجة البيضاء: ج٨ ص١٦٤. وراجع أعلام الدين: ص٢٠٥.

(٢) الكافي: ج٢ ص٤٥٣ ح٢.

(٣) سورة محمد/ الآية: ١٧.

(٤) سورة الرعد/ الآية: ٢٨.

(٥) سورة (المنافقون)/ الآية: ٩.

وعن رسول الله ﷺ: (إنَّ ربّي أمرني أن يكون نطقي ذكرًا، وصمتي فكرًا، ونظري عبرة) [١].

والذكر ليس له حدّ؛ لأنَّه يرتبط بعالم المعنويات، والمعنويات لا تنتهي إلى حدّ، فكلّما ازداد الإنسان ذكرًا ازداد معرفة وشأنًا.. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (ما من شيء إلّا وله حدّ ينتهي إليه إلا الذّكر فليس له حدّ ينتهي إليه، فرض الله عزوجل الفرائض فمن أدّاهنّ فهو حدهن، إلا الذكر، فإنَّ الله عزوجل لم يرضَ منه بالقليل، ولم يجعل له حدًّا لينتهي إليه، ثم تلا قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**) [٢])[٣].

من هنا يمكن أن نفهم لماذا يطلب الدّاعي أن يرزقه دوام ذكر الله -تعالى-؛ لأنَّ ثمراته دائمة أيضًا، فهو مفتاح الصّلاح والاستقامة ومجانبة السّوء والقبيح، وزيادة الدّرجات في الدنيا والآخرة؛ لأنَّه يعصم الإنسان من السوء، إذا كان بشرائطه.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (من عمّر قلبه بدوام الذكر حسنت أفعاله في السر والجهر) [٤].

يعني إنَّ الذّكر يثمر العصمة عن الوقوع في الخطأ والغفلة، وهو أمان من سطوة الشيطان ونفثه ونبذه.

حقيقة الذّكر ودوامه

حقيقة الذكر هي الطّاعة، كما روي عن رسول الله ﷺ: (من أطاع الله عزوجل فقد ذكر الله، وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن) [٥].

وعن مولانا الصادق عليه السلام: (من كان ذاكرًا لله على الحقيقة فهو مطيع، ومن كان غافلاً عنه فهو عاص، والطاعة علامة الهداية، والمعصية علامة الضلالة، وأصلهما من الذكر والغفلة) [٦]. هذا بالنسبة الى أصل الذكر.

وأما ما يوجب دوام الذّكر واستدامته، فقد ورد عن النّبي الأعظم ﷺ في حديث المعراج، عن الله -سبحانه-: (ودم على ذكري، فقال: يا رب وكيف أدوم على ذكرك، فقال: بالخلوة عن الناس وبغضك الحلو والحامض، وفراغ بطنك وبيتك من الدنيا) [٧].

(١) بحار الأنوار: ج٩٠ ص١٦٣.
(٢) سورة الأحزاب/ الآية: ٤١.
(٣) الكافي: ج٢ ص٤٩٨.
(٤) غرر الحكم: ص١٨٩.
(٥) بحار الأنوار: ج٧٤/ ص٨٦.
(٦) المصدر نفسه: ج٩٠ ص١٥٨.
(٧) المصدر نفسه: ج٧٤ ص٢١.

ومعلوم أنَّ المراد من الخلوة وبغض الحلو والحامض وفراغ البطن والبيت من الدنيا ليس بالمعنى السلبي، بل الخلوة والبغض والفراغ الإيجابي، بمعنى خلو عمل الإنسان عن الحرام، واجتنابه عن أعمال العصاة من الناس.

وذلك لأنّ مصاحبة الأبرار والمؤمنين والصّالحين هو عمل مستحب وفضيل، وقد أكَّد عليه في الشريعة الإسلامية، وكما ورد ذلك في دعاء اليوم السادس عشر من هذا الشهر، حيث يقول الدّاعي: (اللهم وفّقني فيه لمرافقة الأبرار) وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله -تعالى-.

كما أنَّ بغض الحلو والحامض لا يعني عدم الأكل أو التّمتّع، بل عدم جعلهما غاية كبرى في الحياة، حتى تصبح كلّ هم الإنسان وشغله الدّائم..

كما أنَّ فراغ البطن والبيت من الدنيا، أي من حب الدنيا وحرامها ونحو ذلك..

ولعل هذا ما يؤكّده قوله -تعالى- في كتابه العزيز: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)** [١].

ومعلوم أنَّ أولاد الإنسان وأمواله أحياناً تصير عائقاً من ذكر الله وعبادته، وربما كانت سبباً لسير الشخص في طريق الغفلة والإعراض عن ذكره -سبحانه-، نعوذ بالله من ذلك، إذن الأولاد والأموال يعتبران فتنة كبيرة وامتحانًا عظيمًا.. قال -تعالى-: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)** [٢].

وقفة تأمّل

ثم يختم الإنسان المؤمن هذا الدعاء المروي عن رسول الله ﷺ في اليوم السابع من شهر رمضان المبارك بقوله: (يا هادي المضلين).

فإنَّ هناك ارتباطًا وثيقًا بين القرآن والروايات، فكأنّك في هذا الدعاء تردّد آيات من فاتحة الكتاب: **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)**[٣].

والضلالة لغة: من ضل، ومعناه جافى الصّواب، من دين أو حقّ، والضّلالة ضد الهدى[٤].

وربما يسأل البعض لماذا يطلب الإنسان المسلم الهداية من الله -تعالى-.. فهل هو على ضلال، وإلّا كان من باب

(١) سورة المنافقون/ الآية: ٩.

(٢) سورة الأنفال/ الآية: ٢٨.

(٣) سورة الفاتحة/ الآيتان: ٦-٧.

(٤) راجع المنجد: ص٤٥٢ مادة (ضل).

تحصيل الحاصل وهو محال كما ذكره الحكماء.

الجواب:

إنَّ الإنسان معرّض في كلّ لحظة الى خطر الانحراف عن المسار الصحيح، فالإنسان قد يشبّه بسفينة تشق عباب البحر المتلاطم بالأمواج ولا تدري أين مرفأ النّجاة، إلَّا إذا كانت تسير على هدى ودراية من قبطانها وسفانها وربَّانها الذي يعرف كيف يتجنّب تلك المخاطر.

فالإنسان بحاجة الى الهداية ابتداءً واستمراراً، وعلى الاصطلاح العلمي: في العلة المحدثة والعلة المبقية كما هو مذكور في الحكمة.

ومثال السفينة هو مصغر لمفهوم وضع الإنسان ككل، فإنَّه يحتاج الى من يهديه دائمًا؛ ليسلك طريق النجاة وطريق الحقّ والصّواب، ولا يزيغ عن ذلك، وهذا لا يكون إلَّا بأمرين:

الأوّل: توفيق من الله -تعالى-.

الثاني: استعدادات العبد نفسه، وقدرته على تحصين نفسه من الانحرافات والعثرات والزّلّات التي قد تجابهه في مسيره اليومي.

فاللازم التّوسّل إلى الله لطلب الهداية ودوامها فإنَّ الذي يطلب من الله تعالى يعطيه ويزيده هدى، كما يشير لذلك القرآن الكريم، حيث يقول -سبحانه-: **(وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى)** [١].

ولقوله -تعالى-: **(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)** [٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)**[٣]، أي: (أدم لنا توفيقك الذي أطعناك به في ما مضى من أيامنا حتى نطيعك في مستقبل أعمارنا)[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (يعني أرشدنا للزوم الطريق المؤدّي الى محبّتك، والمبلغ الى جنتك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك) [٥].

---

(١) سورة مريم/ الآية: ٧٦.

(٢) سورة محمد/ الآية: ١٧.

(٣) سورة الفاتحة/ الآية: ٦.

(٤) راجع تفسير الأمثل: ج١ ص٥٢.

(٥) المصدر نفسه: ج١ ص٥٢.

فعلى الإنسان أن يتمسّك بالهدى، ويطلب العون الإلهي، ليتجنّب الضّلالة؛ لأنَّ الضلالة خسران الدنيا وخسران الآخرة، أي خسران الدّارين معًا، فعن مولانا أمير المؤمنين ﷺ: (من لا يستقيم به الهدى يجرّ به الضلال الى الردى)[١].

ولكن ما هي موجبات الضّلالة؟

في كلمة واحدة: العصيان، يوجب الضّلالة، فإنَّ مطلق العصيان والجحود بالنعمة واتباع الهوى ومهادنة الشيطان.. هذه كلّها موجبات للضلالة.. والقرآن يشير الى ذلك في قوله تعالى: **(وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)**[٢].

علاج الضّلالة

وبعد أن شخَّصنا الداء، فسوف يمكننا معرفة الدواء، فطالما العصيان والهوى والشيطان هو الذي يضل الإنسان ويحرفه عن سواء السبيل، فلابُدَّ من التحصين ضد الشيطان، خصوصًا في هذا الشهر العظيم والذي كبلت فيه الشياطين، ومعلوم أنَّ الشيطان لو كُبّل وغلّت يداه ستكون استعدادات الإنسان أكثر لترويض النفس والجامها، فعليه أن لا يفوّت هذه الفرصة الثّمينة.

وهناك وسائل وطرق أخرى من شأنها أن تجنب الإنسان من الضلالة، نأخذ منها ما هو متيسّر، بشواهد سريعة، فنقول:

١ - القرآن الكريم:

وهو علاج واقٍ من الضلالة وهادم لها، فعن أمير المؤمنين علي ﷺ: (استعينوا به ـ أي بالقرآن ـ على لأوائكم فإنَّ فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال) [٣].

٢ - الإسلام:

فإنَّ معانيه وآدابه وقوانينه إذا تغلغلت في النفس فإنَّه يحصنها من الضلالة وتصبح النفس في منعة ووقاية كبيرة من الانحراف والانزلاق في مهاوي الرّدى، فعن مولانا أمير المؤمنين ﷺ: (إنَّ هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه . وهدم أركان الضلالة بركنه)[٤].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٨.

(٢) سورة الأحزاب/ الآية: ٣٦.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.

(٤) المصدر نفسه: الخطبة ١٩٨.

٣- النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام:

فإنَّهم الحجج على الخلق أجمعين (عليهم الصلاة والسلام)، وطرق الهدى وسفن النجاة من الضّلالة والردى.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام في صفة النبي ﷺ: (المعلن الحق بالحق، والدافع جيشات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل)[١].

وفي الدعاء الوارد في شهر شعبان نقرأ: (**المُتَقَدِّمُ لَهُمْ مارِقٌ وَالْمُتَأَخِرُ عَنْهُمْ زاهِقٌ وَاللازِمُ لَهُمْ لاحِقٌ**)[٢].

فهم (عليهم الصلاة والسلام) نور من العمى، وهدى من الضلال، وحبل الله المتين، وصراطه المستقيم.

نسأل الله -سبحانه- أن يوفقنا لهدايته، ويديم لنا ذلك، بمحمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧٢.

(٢) مصباح الكفعمي ص٨٢٨.

صور التضحية

الشيخ أحمد العلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعنة الدّائمة الأبدية على أعدائهم ومعانديهم أجمعين إلى يوم الدين.

يقول الله -تبارك وتعالى- في القرآن الكريم: (**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**)[1] .

لكلَّ إنسان في هذه الحياة هدف يسعى للوصول إليه بشتَّى الطرق، وعادة لا يمكن الوصول إلى الهدف إلَّا بالتضحيات، وعلى قدر كبر الهدف تكون التضحية كبيرة، مثلًا التاجر الذي يريد الحصول على ثروة فهذا التاجر لا بد أن يقدّم تضحية، وأن يترك أهله وزوجته؛ لأنَّ له هدفًا يريد أن يحقّقه، فيتحمّل كلَّ المصاعب والمتاعب والآلام لأجل الوصول لهذا الهدف وهو الثروة والمال والكنز وما أشبه ذلك.

السياسي الذي يريد أن يتسلّق الى منصب معيّن، ويريد أن يصبح نائبًا أو وزيرًا، أو حاكمًا قائدًا رئيسًا لا بد أن يضحّي بكلّ ما يخدم هدفه، ويضحّي براحته، ونومه، وأكله، ويصرف الملايين بل المليارات؛ لأجل الوصول إلى ذلك الهدف وبمقدار ما يكون الهدف عظيمًا ومهمًّا وساميًا، بهذا المقدار يكبر حجم التّضحية وتكون التّضحية كبيرة وشموليّة وذات أبعاد متعدِّدة.

من هنا يقول رسول الله ﷺ (ما أوذي نبي مثلما أوذيت)[2]؛ لأنَّ هدف الرسول الأعظم ﷺ من أكبر الأهداف، وأسمى الأهداف، وأعظم الأهداف، ومن هنا جاء قوله تبارك وتعالى: (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ،

(١) سورة الشورى/ الآية:١٣.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٣٩/ ص ٥٦.

وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[1].

لذلك علينا أن نكون امتدادًا لذلك التبليغ الإلهي، ولرسالة الأنبياء -صلوات الله عليهم أجمعين-، ولرسالة المعصومين ﷺ، وكما ضحّى أولئك فمن يكون في طريقهم لا بُدّ أن يضحّي بكلّ شيء بلا حدود.

تضحية سيد الشهداء -سلام الله عليه- كانت تضحية بلا حدود، والذي يقتفي أثر سيّد الشهداء -صلوات الله عليه- لا بُدّ أن يضحّي بلا حدود:

أعطى الذي ملكت يداه إلهه حتى الجنين فداه كلّ جنين

إقامة الدِّين الذي قام به رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء والأئمة المعصومون ﷺ تستدعي التضحية الكبرى في مختلف الأبعاد التي لا بُدّ للمؤمنين والمؤمنات أن يتعلّموها من سيدتنا ومولاتنا خديجة الكبرى -صلوات الله عليها-، وأن يوطّنوا أنفسهم على الاستعداد للتضحية حينما يحين الموعد .

ونستطيع معرفة حجم التضحيات التي قدّمها كلّ من أبي طالب والسيدة خديجة في سبيل هذا الدين من تسمية النبي ﷺ للعام الذي توفّيا فيه «عام الحزن». والمراد بالتضحية: التبرع بالشيء دون مقابل[2].

أبعاد التضحية

البعد الأوّل: التّضحية بالوقت والرّاحة

فقد كانت تضحّي بوقتها وراحتها فكانت تستقبل النبي ﷺ بقلبها وببشاشة وجهها؛ لتهوّن عليه الشدائد، وتخفّف عنه الألم والمصاعب، التي كان يواجهها في طريق الدعوة الإسلامية.

من الأُمور المتّفق عليها عند الجميع أنَّ السيدة خديجة ﷺ كانت خير نساء النبي ﷺ، وذلك بتصريح من رسول الله ﷺ أكثر من مرَّة، وهذا إنَّما يدل على علوّ مقامها وجلالة قدرها (سلام الله عليها).

فعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة، فقلت: لقد عوَّضك الله من كبيرة السّن!.

قالت: فرأيت رسول الله ﷺ غضب غضبًا شديدًا، فسقطت في يدي فقلت: اللهمَّ إنَّك إن أذهبت بغضب

(١) سورة المائدة/ الاية: ٦٢ .

(٢) انظر : المعجم الوسيط، مادة (ضحي) .

رسولك ﷺ لم أعد بذكرها بسوء ما بقيت.

قالت: فلمَّا رأى رسول الله ﷺ ما لقيت قال: كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وصدَّقتني إذ كذَّبني الناس، ورزقت منّي الولد حيث حرمتموه.

قالت: فغدا وراح عليّ بها شهراً[١].

ونأتي للموقف العظيم الآخر، وهو عندما كانت تذهب إليه في الغار وهو يتعبد فكانت تمشي من بيتها تحمل إليه الطّعام والشّراب، وتقطع المسافة بين بيتها وجبل النور وهي تقدّر بخمسة كيلومترات وأربعمائة متر تقطعها ذهابًا وإيابًا، لا تكلّ ولا تملّ، ثم تصعد الى الجبل الذي يبلغ ارتفاعه ثمانمائة وستة وستين مترًا. كل ذلك؛ لتطمئن عليه، وتعينه على ما هو فيه، فإذا ما وجدته منشغلاً في عبادته وتحنّثه عادت وتركت الطعام من دون أن تزعجه تقديرًا منها لتلك الخلوة وحرصًا على عدم إزعاجه بأيّ شكلٍ من الأشكال، تفعل ذلك وهي فرحة سعيدة.. فهي إذًا، لم تكن امرأة عادية أو عابرة سبيل، وإنَّما كانت امرأة راجحة العقل، سليمة الفطرة، نقيّة السريرة، شجاعة كريمة وموفّقة بتوفيق الله -عزّ وجلّ-. ولقد تعلّم منها العظماء أن يضحّوا بأوقاتهم وراحتهم من أجل تحقيق الأهداف العظيمة.

فقد ذكر صاحب (التكملة) قال: نقل لي العبد الصّالح الحاج كريم فرّاش الصّحن المطهّر لسيّد الشّهداء ﷺ قال: كنت في سنّ العشرين من عمري أقوم بخدمة الصَّحن الحسيني، وفي إحدى الليالي نادى منادي الصحن: أن تغلق أبواب الحرم، فرأيت الآقا الوحيد البهبهاني والشيخ يوسف البحراني معاً وهما مشغولان بمباحثة علمية وقد خرجا من داخل الحرم ووقفا في الرواق المطهّر، وانشغلا أيضًا بالمذاكرة حتى نادى المنادي ثانية: أن تغلق أبواب الحرم، فخرجا من الصحن من باب القبلة واستمرّا في المذاكرة خلف الباب، حتى طلع الصبح، وكنت قد أتيت لفتح أبواب الصّحن المطهر فوجدتهما واقفين يتناظران، فاستغربت من ذلك، وصرت مبهوتًا من حالهما، ولما كان الشيخ يوسف (رحمه الله) إمامًا للجماعة ذهب للصلاة، وافترش الآقا البهبهاني (رحمه الله) عباءته وصلّى وذهب لمنزله، وهكذا كانا يهتمّان بالعلم ويرجحانه حتى على النّوم، ولذا نراهما بلغا ذلك المبلغ العظيم حتى خلدا في الخالدين[٢].

وتناول السيد الأمين في (أعيان الشيعة) الجد والسعي المتواصل للسيد جواد العاملي صاحب (مفتاح الكرامة) قائلاً: كان في الجد وتحصيل العلم قليل النظير، وقد أفنى عمره في الدرس والتدريس والبحث والمطالعة والتأليف

(١) كشف الغمّة: ج١ / ص٥١٢.

(٢) قصص وخواطر/ ٧٨.

وخدمة الدين، وكان يستغرق وقته ليلاً ونهاراً في ذلك، دون أن يحدث له ضعف واضطراب، وكان مشغولاً بالبحوث العلمية حتى في أيّام الأعياد وليالي القدر من شهر رمضان، واستمرّ على هذه الحال حتى سنّ الشَّيخوخة وكله رغبة ونشاط في هذا المضمار، وكان لا ينام من الليل إلا قليلاً، ولمّا سُئل: ما هي أفضل أعمال ليلة القدر؟

أجاب: بإجماع علماء الإمامية هو الاشتغال بطلب العلم.

وفي أيّام محاصرة النجف الأشرف من قبل الوهابية بين سنوات (١٣٣١ و ١٣٣٦هـ) كان العلماء مع الأهالي يقومون بالدّفاع عن المدينة، وفي الوقت الذي كان يشارك العلماء في الجهاد والمحافظة على المدينة ووسائل الدفاع، وتشجيع المجاهدين والحراس وترغيبهم، تراه لا يفتر قلمه عن التأليف والتدريس، فقد كتب في تلك اللحظات رسالة في وجوب الدفاع عن النّجف، كما استمرّ في كتابة بعض مجلدات (مفتاح الكرامة) مثل: مجلد الضمان والشفعة والوكالة وكان له من العمر حدود السبعين.

وإحدى الأمثلة على استمرارية الجد والجهد في الليل والنهار هي: أنّه في نهاية العديد من مجلدات (مفتاح الكرامة) تراه يكتب: (قد تم الفراغ منه ليلة كذا) وذكر في مجلد الوقف (قريب منتصف الليل)، والمجلد الثاني من الطهارة (في الربع الأخير من الليل) ومجلد الوكالة (بعد منتصف الليل) ومجلدين من الشفعة (في الليل) وبعض المجلدات الأخرى (في ليلة القدر) أو (ليلة عيد الفطر).

وفي آخر مجلد الإقرار من (مفتاح الكرامة) كتب: في شهر رمضان من هذه السنة كتبت ثمانية أو تسعة أو عشرة أجزاء من الأبحاث، إضافة إلى الأعمال الأخرى التي أقوم بها في شهر رمضان، وما تركت الكتابة إلَّا لبعض المؤثرات التي كانت سبباً للتعطيل.

ونقل حفيده السّيّد جواد بن السيد حسن قال: كانت ابنة صاحب (مفتاح الكرامة) سيّدة جليلة القدر ومشهورة بالتقوى والعبادة، وكانت قد عاشت خمسة وتسعين عاماً من العمر، دون أن تعاني من ضعف الحواس أو عدم القدرة، وكانت تقول: إنَّ والدي ما كان ينام الليل إلا قليلاً من الوقت، ولم يتفق لي أن رأيته وهو نائم بل كان مستيقظاً على الغالب مشغولاً بالمطالعة والكتابة.

ونقل حفيده الشيخ رضا بن زين العابدين العاملي الذي كان مدة في بيته، وكان ينام بعد الفراغ من مطالعاته في الليالي، قال: كنت أرى جدّي يقظاً ومشغولاً بعمله، وكان يلتفت إلى حفيده ويقول: ما هذا العشق بالنوم، وهذا المقدار الذي نأخذه من النوم يكفينا، وكان يضع رأسه على يده، ويغفو إغفاءة قصيرة جدًّا، ثم يعود إلى عمله،

وأحياناً يوقظ حفيده لصلاة الليل، ويقوم هو بالمطالعة.

وكان معروفاً بين العلماء في زمانه وحتى موته بالدقة والضبط وصفاء الذّات، وكان يرجع إليه كبار العلماء لحلّ المسائل المشكلة فيأخذون منه الجواب أو يطلبون منه تأليفًا في ذلك، وكان تأليف كتبه بالتماس أساتذته: كالشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيد صاحب الرياض[١].

البعد الثاني: التضحية بالمال

إنَّ المؤمن الحقيقي لا بد وأن يضحّي بماله أوّلاً، وبالذّات، ولا بُدّ وأن يكون مصدرًا ماليًّا للعمل ونشر الإسلام، ولقد ضرب مولانا أبو طالب والسيدة خديجة عليهما السلام أروع الأمثلة في هذا المجال، وهما اللذان كانا ينصرانه بكلّ قوّة وبكل ما يملكان في مواجهة التّحدّيات والمخاطر التي واجهت النبي صلى الله عليه وآله في دعوته.

لقد كانت السيدة خديجة الزّوجة الثرية التي بذلت وأنفقت كلّ مالها، وثرائها الواسع، في سبيل إنجاح دعوة النبي صلى الله عليه وآله.

العياشي العالم المفسر المعروف -رحمة الله عليه- صاحب تفسير العياشي، ورث من أبيه ظنًّا من ذهب أو أكثر ظنّ من الذهب، ولكن كلّ هذه الأموال صرفه في سبيل التبليغ عن الدّين وعن المذهب في قضيّة مفصّلة معروفة .

السّيّدة خديجة بذلت نفسها ومالها في سبيل تبليغ الدعوة إلى الناس: المال لا معنى له إن لم تنفقه في سبيل الله، هذه السيدة الجليلة وقفت مع رسول الله صلى الله عليه وآله تَشُدُّ أزره، وتواسيه، وتقوّيه، وما أكثر ما لقي صلى الله عليه وآله من عناد المشركين ومن أذاهم، وصبرت وهي بجانبه، وصابرت، وساعدته بكلّ ما تستطيع، بذلت نفسها ومالها في سبيل تبليغ الدعوة إلى الناس .

إنَّ المال مهما كثُر لا معنى له إطلاقاً، والله أقسم على ذلك، المال مهما كثر بين يديك لا معنى له إلَّا أن تنفقه في سبيل الله، خذ منه حاجتك، كُل، واشرب، واسكن في بيت، وأطعم أهلك وأولادك، وألبسهم؛ أمّا الذي يفيض عن حاجتك والله لا معنى له، وسوف تحاسب عليه إلا أن تنفقه في سبيل الله .

الرسول صلى الله عليه وآله يتاجر بأموال خديجة عليها السلام

كان أبو طالب عليه السلام قد كبر وضعف عن السفر وترك ذلك منذ أن كفل النبي صلى الله عليه وآله، وفي أحد الأيام دخل عليه النبي صلى الله عليه وآله فوجده حزينًا مهمومًا، فقال: ما لي أراك يا عم مهمومًا؟

(١) قصص وخواطر/ ١٢٣.

فقال: يا بن أخي إنَّه لا مال لنا وقد ضاق بنا الزمان، وليس لنا مادّة، وقد كبرت وضعف جسمي، وقلّ ما بيدي، وأرى أنّ الأجل قد قرب منّي، ولا أُحب أن أموت قبل أن أرى لك زوجة يا ولدي لتسكن إليها.

فقال لـه النبي ﷺ: ما هو الرأي عندك يا عم؟

قال: اعلم يا ابن أخي أنّ خديجة بنت خويلد قد انتفع بمالها أكثر الناس، وهي تعطي أموالها لجميع من يسألها ليسافروا للتجارة به، فهل لك يا ابن أخي أن تمضي معي إليها ونسألها أن تعطيك مالاً تتّجر فيه؟

فقال: نعم، قم إليها وافعل ما بَدا لك[١].

وبعد أن اتّفق أبو طالب مع النبي ﷺ على أن يعمل في تجارة خديجة، أشار عليه أعمامه بأن يذهب معهم إلى دارها ليخبروها بالخبر. وبالفعل فقد قصد النبي ﷺ وأعمامه دار السّيّدة خديجة وطرقوا الباب، فاستقبلتهم استقبالاً حافلاً.

وبعثت إليهم (ميسرة) ليرحّب بهم ويقدّم لهم مستلزمات الضيافة اللازمة فأكلوا وشرعوا في الحديث.

فقالت لهم السيّدة خديجة من وراء الحجاب: لعلّ لكم حاجة فتقضى، فإنّ حوائجكم مقضيّة.

فقال أبو طالب عليه السلام: جئناك في حاجة يعود نفعها إليك وبركتها عليك.

قالت: وما ذلك؟

قال: جئناك في أمر ابن أخي محمد ﷺ.

فقالت: أين هو محمّد حتى نسمع ما يقول؟

فقال العباس: أنا آتيكم به.

فنهض وسار يبحث عنه فلم يجده، فالتفت يميناً وشمالاً، فتساءل منه الناس وقالوا: ما تريد؟

فقال: أُريد محمّداً.

فقالوا له: في جبل حرى[٢].

فسار إليه فإذا هو فيه، نائمًا في مرقد إبراهيم الخليل عليه السلام ملتفًّا ببردة وعلى رأسه ثعبان عظيم، فلمّا نظر إليه العباس قال: خشيت عليه من الثعبان فسللت سيفي وهممت بالثعبان فحمل عليّ، ولمّا رأى العباس ذلك صاح برفيع صوته:

(١) راجع بحار الأنوار: ج١٦ / ص٢١.

(٢) حراء جبل بمكّة، (لسان العرب) مادّة حري.

أدركني يا بن أخي.

ففتح النبي ﷺ عينيه فذهب الثعبان.

فقال النبي ﷺ: ما لي أرى سيفك مسلولاً يا عم؟

قال: رأيت هذا الثعبان عندك فسللت سيفي وقصدته خوفاً عليك منه فخشيت على نفسي الغلبة فصحت بك ولمّا فتحت عينك ذهب كأنّه لم يكن.

فتبسّم النبي ﷺ وقال: يا عم ليس هذا بثعبان، ولكنّه ملك من الملائكة ولقد رأيته مراراً وخاطبته جهاراً وقال لي: يا محمد إنّي ملك من عند ربّي موكّل بحراستك في الليل والنهار من كيد الأعداء والأشرار.

فقال العباس: ما ينكر فضلك يا محمد؟

فقال له: لنذهب إلى دار خديجة بنت خويلد لتكون أميناً على أموالها.

فسارا معاً إلى دارها، فجاءت السيّدة خديجة لتنظر إلى النبي ﷺ، فلمّا دخل المجلس نهض أعمامه إجلالاً له وأجلسوه في أوساطهم، فلمّا استقرّ بهم المجلس قدّمت لهم الطعام فأكلوا ورحّبت بالنبي ﷺ وقالت: أترضى أن تكون أميناً على أموالي تسير بها حيث شئت؟

قال: نعم رضيت.

ثم قال: أُريد الشام.

قالت: ذلك إليك.

ثمّ إنّ السيّدة خديجة خاطبت الرسول ﷺ قائلة: تحسن أن تشدّ على الجمل وترفع عليه الأحمال؟

قال: نعم.

فقالت: يا ميسرة إيتني ببعير حتى أنظر كيف يشدّ عليه محمد؟

فخرج ميسرة وأتى ببعير قوي لم يجسر أحد من الرعاة أن يخرجه من بين الإبل لشدّة بأسه فأدناه ليركبه الرسول ﷺ فهدر البعير واحمرّت عيناه.

فقال العباس لميسرة: ما كان عندك غير هذا البعير لتمتحن به ابن أخينا؟

فقال النبي ﷺ: دعه يا عم، فلمّا سمع البعير حديثه برك على قدميه وأخذ يمرّغ وجهه على قدمي النبي ﷺ ونطق بلسان فصيح وقال: من مثلي وقد لمس ظهري سيّد المرسلين!.

فقلن النسوة اللاتي كنّ عند خديجة: ما هذا إلاّ سحر عظيم.

فقالت لهم السيّدة خديجة: ليس هذا سحراً وإنّما هو آيات بيّنات وكرامات ظاهرات[1].

البعد الثالث: التضحية بالأهل

قبل أن توافي المنية عبد المطلب كان قد جمع أولاده العشرة وأوصاهم بابن أخيه محمد ﷺ ولـمّح لهم بما سيكون من شأنه في المستقبل، ومما قاله لهم: (إنّي قد خلفت لكم الشرف العظيم الذي تطؤون به رقاب الناس)على حدّ تعبير المؤرّخ اليعقوبي.

وقد اختار عبد المطلب من بين أبنائه أبا طالب؛ ليكون هو من يكفل محمّدًا بعده ويقوم برعايته، وذلك لسببين:

الأوّل: إنَّ أبا طالب كان أخًا لوالد النبي ﷺ من أمّه، فإنَّ أمّهما هي فاطمة بنت عائذ المخزومية، وطبيعي أن يكون أبو طالب أكثر حنانًا وعطفًا وحبًّا لابن أخيه من أبيه وأمه من بقيّة إخوانه كالحارث والعباس وغيرهما الذين كانوا من أمّهات شتى.

الثاني: إنَّ أبا طالب كان أنبل إخوته وأكرمهم، وأعظمهم مكانة في قريش، وأجلّهم قدرًا، وقد ورث زعامة أبيه عبد المطلب، وخضع لزعامته القريب والبعيد.

وقد قام أبو طالب برعاية النبي خير رعاية، وأدّى الأمانة، وحفظ الوصية، وبقي محمد ﷺ شغله الشاغل الذي شغله هو وزوجته فاطمة بنت أسد حتى عن أولادهما في أشدّ المراحل ضيقًا وحرجًا حتى النفس الأخير من حياتهما.

ولم يكن يعني أبا طالب شيء كما تعنيه رعاية النبي محمد ﷺ والمحافظة عليه. وقد بلغ من عنايته به وحرصه عليه أنَّه كان إذا اضطرّ الى السفر لخارج مكة أو الحجاز أخرجه معه.

وكان يقدّمه على كلِّ أبنائه بل ويفديهم له ﷺ، لقد كان أبو طالب والسيدة خديجة مصداقًا واضحًا

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج١٦/ ص٢٥.

لقوله -تعالى-: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[1] .

الرابع: التّضحية بالنّفس

فقد كانت مع رسول الله ﷺ عندما فرض الحصار على بني هاشم في شعب أبي طالب فقد كان وفاء جميلاً أن تخرج معهم السيدة خديجة عليها السلام وتترك بيتها حيث عاشت طوال حياتها فيه عيشه هانئة رغدة، فهي لم تعبأ بما قد تتعرّض له من مشقّه وما يقابلها من مرارة الزمان وقسوة الضيافة حبًّا في الإسهام في نشر الوحدانية ورغبة منها في الوقوف بجوار نبيّها وزوجها تحيطه بعطفها وتقاسمه الضّرّاء كما قاسمته من قبل سعادة العيش، وقد جنّدت السيدة خديجة عليها السلام كلّ ما تملك في سبيل قضيّتها الرّساليّة، فقد أعلمت غلمانها وعُمّالها أن يستقبلوا القوافل القادمة والمحمّلة بالطّعام والادام، ويشترونها بأيّ ثمنٍ كان، وإرسالها إلى الشِّعب، وبهذا أصبحت ثروتها بمثابة سفينة للنجاة، ودفع ضغط المحاصرين، فقد تسابقوا القوم إلى النّجدة فوهبوا الطّعام والتّمر والماء، وبذلوا كلَّ ما بوسعهم من أجل إيصال ذلك إلى الشِّعب الذي حوصِر به بنو هاشم، وغيرها من المواقف التي ساندت بها رسول الإنسانية محمد ﷺ.

ونستطيع معرفة حجم التّضحيات التي قدّمها كلّ من أبي طالب والسّيّدة خديجة في سبيل هذا الدين من تسمية النبي ﷺ للعام الذي توفّيا فيه «عام الحزن». ومن الواضح أيضًا أنَّ النبي ﷺ لم ينطلق في حبّه لهما وحزنه عليهما من مصلحته الشخصية أو من عاطفته إنَّما هو يحبّ في الله ويقدر أيّ إنسان، ويحزن لفقده، ويرتبط به روحيًّا وعاطفيًّا بمقدار ارتباط ذلك الإنسان بالله -عزّ وجلّ-، وبإخلاصه وتفانيه في سبيل الدّعوة الإسلامية. فالنبي ﷺ لم يتأثّر على عمّه أبي طالب والسيدة خديجة على أنَّ هذه زوجته وذاك عمّه وإلا فقد كان أبو لهب عمّه أيضاً، وإنَّما تأثّر عليهما وبكى لأجلهما لِما وجده فيهما من قوّة إيمانٍ وصلابة وتضحيات وتفانٍ في سبيل الله والعقيدة. ولمّا خسرته الأمّة فيهما من جهادٍ وإخلاصٍ قلّ مثيله في تلك الظّروف الصّعبة التي رافقت الدّعوة في بداياتها.

ولقد لـمّح النبي ﷺ إلى ذلك حين جعل موت أبي طالب والسّيّدة خديجة خسارة ومصيبة للأمة جميعاً.

---

(١) سورة التوبة/ الآيتان: ١٢٠، ١٢١.

فن الاعتذار مبدأ في العلاقات الإنسانية

دراسة تفصيلية لموقف الإمام الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام من مشكلة الإساءة

الأستاذ يوسف مدن

تتنوّع في حياتنا البشرية أنماط متقابلة من السلوك، ويتسم بعضها بالسواء، أمَّا بعضها الآخر فيظهر بصبغة غير سوية، فهناك التفاؤل في مواجهة حالة التشاؤم، والشعور بالحرية تقابله الرغبة في استعباد الذات، والأمل في قبال اليأس، والكرم والشجاعة ضدّ البخل، والجبن أو الخوف المرضي، والمروءة في مقابلة اللؤم، والمثوبة في مواجهة العقوبة، والاعتذار في مواجهة العناد والعصبية، وهكذا يتقابل هذا النمط السوي من السلوك مع نمط آخر عصابيّ وغير سوي.

وتجسد حركة الحياة والمخزون الثقافي للعقل البشري ومحفوظاته الثقافية في مراحل متعاقبة ومتّصلة من التاريخ الإنساني أشكال مختلفة من أنماط السلوك المتقابلة، ويعبّر عن هذا التنوّع مجموعة نصوص وسجلات ثقافية وكتب ورسائل تجسّد أقوال عظام الرجال وتراثهم الفكري والروحي، ويمتدّ بواسطتها عبر التاريخ إلى حياتنا المعاصرة في توجيه مستنير يضيء طريقنا نحو الخير والاستقامة وشعلة الأمل.

إنَّ حياتنا الاجتماعية تتّسع لكثير من الظواهر المتنوّعة المتفاوتة في شدّتها، المتباينة في استقامتها وانحرافها، والمختلفة في فوائدها وأضرارها للناس، ومن هذه الظواهر السّائدة في الحياة البشرية ما يرتكبه الناس ضدّ بعضهم من إساءات متفاوتة في نواياهم، ومع أنّ منطق الحياة يقتضي أن يعالج الناس أخطاءهم بأساليب عديدة متاحة إلاَّ أنّ «الاعتذار» أحد هذه الأساليب الممكنة، ومما هو ملحوظ في تاريخنا البشري أنّ الإساءة كحالة سيكولوجية متجذّرة فيه، وتمتد لحياة العائلة الأولى.. عائلة سيّدنا آدم عليه السلام عندما أساء الظّن أحد الأخوين بالآخر فلم يعتذر لما بدر منه، ولم يصحّح علاقته معه، فتطوّر الموقف إلى جريمة قتل حينما أقدم «قابيل على قتل أخيه هابيل»، وهذه أول حالة قتل في التاريخ البشري كما صرّحت بذلك آيات من القرآن الكريم في سورة المائدة، قال الله -تعالى- في كتابه المجيد:

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ

أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)[1].

وقد ترك لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام تراثًا ضخمًا في موضوع الاعتذار والصّفح والعفو عن المسيئين أفرادًا أو جماعات، وكان غرضهم من ذلك تنقية العلاقات الاجتماعية بين الناس وتحرير أنفسهم من ضغوط أخطاء السلوك، ومن آثار النتائج السيئة المترتبة عن أفعال المسيئين وما تتركه من تداعيات غير محمودة العواقب في حياتهم، ويغري هذا القدر الكبير من النصوص بدراستها وتفسيرها وتكوين نظرة معرفية موحّدة وموسّعة ومتساندة في موضوعٍ معيّن يستحق البحث والدراسة، ويمثل كلام السبط الإمام الحسن بن علي عليه السلام جانبًا حيويًّا من المخزون الحيوي لتراثه الفكريّ والمعرفيّ والأخلاقيّ والقيميّ الذي تركه لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد حفظت لنا بعض مصادر دراسة التراث الإسلامي على امتداد تاريخٍ طويلٍ جزءًا من هذا المخزون الذي نحن بحاجة شديدةٍ إليه في عالم صعب يتغيّر بسرعة، ويتّجه نحو الالتحام غير السوي بالمادّيّات وبقيم الانحطاط والنّفعية الشخصية التي تلوّث حياة الإنسان المعاصر باللؤم والخسّة والاستغلال النّفعي والانحراف الشّخصي والاجتماعي.

وتجد في تراث الإمام الحسن عليه السلام مخزونًا كبيرًا من الخُطب، والرَّسائل، والأدعية، والعبارات القصار، ويستوعب حديثًا عن القضايا الإلهية، والقيم والأخلاق، فضائلها ورذائلها، والمفاهيم الأخلاقية، ويدخل في إطار هذا التراث قضايا الحرّيّة والتنمية الروحية، والحاجات الإنسانية، والآداب الاجتماعية والوعظ والإرشاد، والتوجيه التربوي، والعملية التعلِيمية – التّعلُّميّة، والعلاقات الاجتماعية والجهـاد بمختلف أشكاله، ومواقفه السياسية مع مؤيديه وخصومه.

ولم يتوقّف المشرع الإسلامي عن معالجة حالات الإساءة البشرية، وتنوّعت جهوده للتغلب عليها بأساليب عديدة، وتجسّدت هذه المعالجات في نصوصه القرآنية والنبويّة وأقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام، وكانت معالجاته بالاعتذار وتأجيل العقوبة وصبر الناس على أذى بعضهم أبرز ما دعا إليه المشرع الإسلامي وتبنّاه رجالات الدين وعلماء الأخلاق المسلمين وقادتهم، ومنهم كريم أهل البيت أبو محمد الإمام الحسن بن علي عليه السلام، وهذا يتطلّب دراسة تفصيليّة، بيد أنَّنا سنكتفي بتفسير أحد نصوص الاعتذار المنسوبة للإمام الحسن السبط واستخراج بعض معانيه

(١)- سورة المائدة، الآيات ٢٧ – ٣١.

التّفصيليّة والمجملة عسى أن نتوصّل لنظريّة معرفيّة ورؤية تربويّة وسيكولوجيّة.

وسنتناول في هذا المبحث مضمون « النّص الحسني» كمفهوم تربوي إنساني تقدّمي، وبيان معانيه الداخلية في الحياة البشرية فردية كانت أو جماعية، وتحديد منهجيتنا في التعامل مع مفردات النّص اللغوية أو اللفظية، ومعرفة مكوناته الأساسية، وتوضيح بعض الأهداف المشتقّة من باطنه، ومسوغات العمل بمبدأ الاعتذار كفنٍّ تطبيقيّ في بناء العلاقات الإنسانية وإصلاحها، وشروط تحقّقه في حركة الناس، كما سنمر على بعض الخصائص العامة لدعوة الإمام الحسن إلى الاعتذار، ثم معالجة الاعتذار بين المحفّزات إليه وتحذيرات المشرع من عدم استخدامه، والإشارة الى الاعتذارات غير السوية وغير الشرعية، وتأجيل العقوبة.

النّص كمفهوم إنسانيّ:

النّص الذي نقصده « مجموعة المفردات اللفظية التي تستبطن معاني عقليّة» يلتقي فيها المفهوم المعرفي بالهدف والوسيلة أو الأداة، وهو هنا ما قاله كريم أهل البيت الإمام الحسن الزكي بن علي عليه السلام تحديداً من ألفاظٍ لم تتجاوز ثمان كلماتٍ قصار واضحة المعنى والدلالة التربوية الهادفة، وهذا ما نسمّيه بالنّص الحسني، حيث جاء في بعض مصادر التراث الثقافي الإسلامي نصّ قصير منسوب للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيه عليه أفضل الصلاة والسلام:

«لا تعاجل الذنب بالعقوبة، وأجعل بينهما طريقًا للاعتذار[1]».

إنَّ النّص التّربوي الحسني المتقدم ذكره يمثل بالنسبة إلينا كلمات ثمان تختزن «توجيهًا معرفيًّا وأخلاقيًّا وقيميًّا واجتماعيًّا» فاعلاً في حياة الإنسان وتوجيه حركة سلوكه في عالمه الخاص وفي دوائر علاقاته الاجتماعية العامة، وسنقوم بدراسته وتحليل مفرداته ومعانيه الداخلية في سياق وحدته الموضوعية وتحليلها سواء كانت معرفية أو لفظية، فالنص – بمعناه العام – هو في مجموعه تركيبة لفظية ذات فهم لغويّ بمعاني عقليّة، ومجموعة أهداف، وطريقة عمل، وآلية تقويم، وترك النّص للعقل البشري اكتشاف هذه العناصر وتنظيمها، فلا ينتظر أن يحدّدها النّص الحسني بكلمات مباشرة، وبذلك كان من مهمّة العقل البشري على امتداد زمنيّ لاحق معرفة هذه العناصر كتحديد الأهداف واشتقاقها من النّص، ومعرفة طريقة العمل، وكيفية تقويم عملية «الاعتذار».

---

(١)– المجلسي، موسوعة ((بحار الأنوار، ج٧٨)) ص ١١٥، وكتاب الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن وكتبه ورسائله وكلماته القصار، للسيد مصطفى الموسوي، ص ١٣٣، وكلمة الإمام الحسن للسيد حسن الشيرازي ص ٢٠٢، وموسوعة ميزان الحكمة، ج٦، ص ١١٦، وكذلك ص ٣٩٢.

والاعتذار والعفو والصّفح الجميـل عن المسيئين - كما جاء في عدد من نصوص المشرع التربوي الإسلامي هي مفاهيم سلوكية بمعاني واحدة حتى وإنْ اختلفت الألفاظ والكلمات، فالنّص الحسني الذي نحن بصدد دراسته «لا تعاجل الذنب بالعقوبة، واجعل بينهما طريقاً للاعتذار» هو -على سبيل المثال لا الحصر- مساوٍ تمامًا لمعنى الحديث الوارد عن أبيه الإمام علي عليه السلام، إذ قال ابن أبي طالب عليه السلام الكلام نفسه مع اختلاف يسير في اللفظ:

«لا تعاجل الذنب بالعقوبة، واترك بينهما للعفو موضعًا تحرز به الأجر والمثوبة[١]».

وفي نصٍّ آخر مماثل مع اختلاف يسير في اللفظ والمعنى قال الإمام علي عليه السلام:

«لا تعاجل الذّنب بالعقوبة، واترك بينهما للعفو موضعًا تحرز به الآخرة والمثوبة[٢]».

الأهداف التّربويّة للنص:

ليس النّص الحسني مجرّد كلمات ذات شكلٍ محدّد، بل هو في حقيقته حركة فكر متجدّدة تنطوي على عناصر تسهل قدرتها على تحقيق الفعل الإيجابي في حياة الفرد ودوائر العلاقات السَّائدة بين الجماعة، ففي هذا النص - مع حجمه الصغير - شبكة متساندة من المرتكزات وأركان النّظرة المعرفيّة والمنهجيّة التي تحدّد قيمة النّص كمحتواه المعرفي وأهدافه التربوية، وتكشف عن فاعليته في التنمية الثقافية والروحية والاجتماعية للشخصية الإنسانية.

وكما تضمّن النّص الحسني عناصر محدّدة ستتناولها عمليّة تحليل هذا النّص فإنَّ الإمام الحسن بن علي عليهما السلام استهدف في نصّه المذكور تحقيق أهدافٍ محدّدة في حياة الأفراد والجماعات سواء في مجتمع مسلم كمجتمعنا العربي المسلم أو في دوائر مجتمع عالميّ آخر يخالفه في الهويّة العقائدية، وقد ترك لنا النّص حركة إيجابية في هذه الأهداف واكتشافها وتحديدها، ونلفت النظر إلى قدراتنا كباحثين تتفاوت بالتأكيد في معرفة هذه الأهداف واشتقاقها من باطن النّص الحسني الذي نحاول دراسة مادّته الثقافية وتحليلها، وإجمالاً يمكننا تحديد بعض هذه الأهداف من التّركيبة اللفظية للنّص الحسني، ومنها ما استطعنا تحديده بما يأتي:

تدريب النّفس الإنسانيّة وترويضها في مواقف متعدّدة على الاعتراف بالخطأ وإقراره بجرأة على تصحيحه في ظروف مختلفة سواء في نطاق علاقات فرديّة أو في نطاق علاقات جماعيّة موسّعة، وضمان نجاحه على مستوى

---

(١) محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، ج ٦ ص ٣٩٢.

(٢) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج ٢، ص ٣٣١، ورقم الحديث ١٩١.

الأفراد، وعلى مستوى الجماعة على حدٍّ سواء.

حثّ النفس الإنسانية على « مبدأ تقبّل الاعتذار وتفعيله» من طرفين أحدهما.. «المخطئ» بأن يكون بادئًا في الاعتذار أو من طرف «من وقع الخطأ عليه» فيكون متفهّمًا أخطاء الآخرين بقبول اعتذارهم، والعفو عنهم بلا عتب ولا تقريع ولا أدنى تشهير.

تعليم الفرد المعتذر مبدأ «كف السلوك الخاطئ» بوعيٍ فاعلٍ وتشجيعهم على تقدير الآخرين واحترامهم بلا إهانتهم أو تحقيرهم.

أن يقوم الطّرفان ((المخطئ ومن وقع الخطأ عليه)) بتفعيل قدراتهما العقلية والروحية لمعالجة الموقف السلوكي بطريقة إما وقائية أو علاجية.

تدريب النّفس البشريّة على معالجة مواقف التّحدّي والاستجابة لها وتذليل الصّعاب وحلولها الجريئة بثقة تامّة.

تحقيق قدر معقول من الصّحّة النّفسيّة وحالة الرضا النّفسي والاجتماعي للفرد المخطئ والمعتذر وتفاعلهما لتصحيح علاقاتهما بالاعتذار.

تصحيح العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وإعادتها إلى مجراها الطبيعي السائد قبل وقوع الخطأ وتوجيه الإساءة من طرف لآخر.

تحقيق معنى سوي لعبادة الله –سبحانه– وطاعته بنيّة إيمانية من خلال تقبّله لهذا المبدأ، والعمل بروح عبادية، وبِنيّة القربى لله سبحانه على تصحيح العلاقة مع الناس وأفراد المجتمع البشري في ميدان الحركة الاجتماعية.

تحقيق الأجر والمثوبة الإلهيين في عالم الآخرة للطرفين.. المعتذر في إقراره بالخطأ والندم عليه بصدق وإخلاص، والمعتدى عليه العافي عن الناس.

مكوّنات النّص:

يُعدّ النّص بمحدودية كلماته وقلّة ألفاظه – وحدة لفظية ومعرفية، فأمّا وحدته اللفظية فمكّونة من مقطعين أو جملتين لا تتجاوز ثمان كلمات، وتقول الجملة الأولى «لا يعاجل الذّنب بالعقوبة» وتقول العبارة الثانية «واجعل بينهما طريقًا للاعتذار»، أمّا وحدته المعرفية فتضطلع بموضوع واحدٍ هو «الاعتذار» كسلوك ناضج وراشد، وعلاقته بعنصرين أساسيّين هما الذّنب والعقوبة، وبتفسير المفاهيم الثلاثة المترابطة سنجد أنفسنا أمام موضوعٍ موحّد للنص.

وهذا النّص الكريم ينطوي على مكوّنات أربعة:

تركيبة لفظيّة:

يلحظ القارئ أنَّ هذا النّص يتكوّن من ثمان كلمات متّسقة نعتقد أنَّها تُعبّر عن نظرة معرفيّة وحركة عمل في الحياة الإنسانية قد تكون عائقًا للنمو الشّخصي أو سببًا في تقدّمه، وقد تجسّدت كما أراد الإمام الحسن ﷺ أن يكون «الاعتذار» مبدأً تقدّميًّا في حركة الحياة الاجتماعية البشرية، ونهجًا تنظيميًّا في الدين وقواعد السلوك والعلاقات البشرية، وبتأمّل ذهنيّ هادف نرى أنَّ التركيبة اللفظية للنص تنقسم على جزأين تتساوى كلماتهما، كلمات أربع متصلة مع بعضها تطلب من الفرد أن «لا يعاجل الذنب بالعقوبة»، بينما تطلب الكلمات الأربع المتأخّرة في الجزء الثاني من التركيبة اللفظية للنص من الفرد أن يقابل تأجيل العقوبة إلى «تقبّل الاعتذار» كقيمة أخلاقية اعتبارية، فقول الإمام الحسن السبط ﷺ: «واجعل بينهما طريقاً للاعتذار»، وهو في نظر علماء الأخلاق والمعالجين النّفسانيّين طريق سوي هادف للتكفير عن الذنب أو لتعديل السلوك أو فتح المجال إعادة العلاقة لوضعها الطبيعي، وفي ذلك دلالات إيجابية للنتائج الإيجابية المرغوبة وبخاصة في حقلي الصّحّة النفسية والسلوك الديني القويم، وعلى مستوى العلاقات الشخصية والاجتماعية كذلك.

معرفة الفعل المراد تعديله بسلوكٍ عباديٍّ هادف

وهو كما يتجلّى من باطن النّص المتقدم معرفة فعل ظاهر في البنية المعرفية والسلوكية، ويتجسّد هذا الفعل فيما هو واضح في «أمر.. ونهي»، ففي هذا النّص القصير كما نلحظ «نهيًا عن فعل» وفي الوقت نفسه نلحظ كذلك «أمرًا بفعل عبادي مضاد ويقابله»، فأمّا الأوّل فهو نهي عن معاجلة كلّ ذنب يصدر عن الأفراد بعقوبة دون إتاحة فرصة لتعديل السلوك وتحسينه أو تفسيره على الأقل من قبل المسيئين، وفي ذلك تعميق للسلوك الخاطئ واستمرار للعلاقات غير السويّة، وغير التّوافقية بمعايير الصّحّة النفسية ومحدداتها المهنية، كما أنَّ المعاجلة في نظر الإمام كعالم أخلاق ومعالج للسلوك خطأ ديني يؤجج الأحقاد ويأخذ بالخطأ إلى طريق الإثارة الغرائزية المليئة بمشاعر الغضب والرغبة في الانتقام، أما الفعل الآخر في النّص وهو «انتظار الاعتذار من المخطئ» فيهتم بتوجيه الفعل نحو «الأفضل» في تعاملنا السلوكي مع بعضنا، ويتأسّس هذا الأمر على نجاحنا في القيام بفعل «النّهي»، فإذا ما تمكّن الفرد من ترك العقوبة وتوقيعها على الآخرين بعد صدور الذّنب مباشرة فإنّه تلقائيًّا يتّجه نحو اختيار الفعل الآخر وهو «الأخذ بالأمر» الذي ارتضاه الإمام الحسن ﷺ وهو «أن يتيح للاعتذار فرصته الكافية» في إدانة السلوك الخاطئ وتقويمه،

وفتح الطريق لكلمة «آسف» أو «اعتذر» أو «أنا مخطئ» أو «أرجو الصفح عمَّا بدر من سلوك غير مقبول» لا في دائرة مفاهيم الدين فحسب، ولا في نطاق القيم الأخلاقية والاجتماعية ومنظورها الواسع كذلك، بل في عالم المعالجين ومباحث علم الأخلاق التي عادة ما تكون نظريات عمل تطبيقيّة توجّه حركة الواقع البشري لا مجرد نظريات مثالية تحلق في خيالاتهم وأدمغتهم.

القدرات العقلية:

ينطوي النّص الحسني – بصغر حجمه اللفظي – على بعض القدرات العقلية الأساسية عند الإنسان، وهي قدرات تفسح المجال للتفاعل الجيّد معه كالقدرة اللفظية أو اللغوية وتعني هنا ما يتكوّن منه النّص من «كلمات وألفاظ ذات معاني هادفة» ومعبّرة، أما القدرة على الفهم اللغوي فهي عملية فهم ما تدل عليه كلمات النّص واستيعابها وإدراكها، وكذلك «القدرة على الربط الإيجابي» بين كلمات النّص ومعانيه في آنٍ واحدٍ والسير بها من خطوة سابقة إلى خطوة إيجابية لاحقة، وأيضاً توافر «القدرة العلاجية» في التركيبة اللفظية للنص لتعديل السلوك أو كفّه، وتحتاج هذه القدرات منَّا إلى وعيٍ عقليّ من الفرد لمعرفتها وفهمها واستيعابها والتجاوب معها لضمان التعامل الحسن مع المضمون المعرفي للنص والتحرك الطبيعيّ في سياقاته التّربوية اللازمة، وحينذاك تتجلّى في حركة تعامل الفرد مع النّص الحسني مهاراته الخاصة ولاسيَّما مع «من وقع عليه الخطأ» في السير بإجراءات المعالجة أو تعديل السلوك لتصحيح العلاقات بينه وبين المخطئ أو استبقاء منها ما يسهل الأمور في خطوة مصالحة وتوافقية قادمة ومستقبلية.

نتيجة مرجوّة:

وهي محصلة تعامل الفرد مع مفردات النّص اللغوية ومعانيه العقلية لتربط في حركته السلوكية والوجدانية والمعرفية بين فعلي.. الأمر والنهي، فيتولّد عنهما علاقة جديدة في الحيـاة البشرية، فالنتيجة التي يتوخّاها النّص الحسنيّ هي النهاية التي تؤدّي إلى تصحيح العلاقات وتعديل السلوك، وضبط حركة حياتنا على قواعد الدين ومبادئ فنّ الصّحة النّفسية ومعاييرها السوية ومحدداتها المقبولة، وهذه النتيجة ليست محددة في النّص مباشرة، وإنّما وجدت في تعبير الإمام الحسن عليه السلام في القسم الثاني من النّص حينما قال «واجعل بينهما طريقًا للاعتذار»، فدعوته الكريمة لقبول الفرد الذي «وقع عليه الخطأ» عذر المخطئ بحقّه تنطوي على النتيجة المأمولة التي يتوخّاها عقلاء الناس من أيّة عملية «اعتذار» إيجابية تتم بين الأفراد، ويساند هذا الاستنتاج الواقع الإنساني وآراء المعالجين وعلماء

الأخلاق ونصوص دينية، وهنا يلتقي العقل البشري في استنتاجاته مع دعوات الدين من خلال مجموعة نصوص[١] متشابكة ومتآزرة، ونذكر من هذه النصوص ما جاء في مصادر دراسة التراث السيكولوجي والأخلاقي والمعرفي لأئمة أهل البيت عليهم السلام كقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كلمات معبِّرة ومؤثرة، وتستبطن المعنى ذاته:

- «اقبل أعذار الناس تستمتع بإخائهم[٢]».

- وقوله: «اقبل عذر أخيك، وإن لم يكن له عذر فالتمس له العذر[٣]».

القابليات الثلاث:

الخطأ والاعتذار والعفو قابليات ثلاث مركوزة في تركيبتنا الآدمية الداخلية وتكويننا الفطري، فـ «كل بني آدم خطّاؤُون، وخير الخطّائِين التوابون» كما أفاضت في الإشارة إلى ذلك أحاديث جمة، ونحن نرث القابليات الثلاث بإرادة الله سبحانه وتعالى، فهو الخالق الصانع بإبداعه كل إمكانيّاتنا، وقد ركّز هذه القابليات الثلاث وغيرها في داخلنا الفطري اختبارًا لإرادتنا في فعل الخير والشّر، فقد أرادت مشيئته أن يجعل فعلنا حرًّا، ومستقلًّا، فأمدّنا سبحانه بالقدرات التي نتصرّف فيها بوحي هذه الإرادة وبمقتضى حركة نوايانا الدَّاخليّة، فالقابليات من صنع الله -تعالى-، أمّا إدارة دفّة حركتها صوب هذا الاتجاه أو ذاك فمن صنع أيدينا وتعبيرًا عن إرادتنا انسجامًا مع منطق الآية القرآنية الكريمة: **(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)**[٤].

القابلية للخطأ مركوزة في داخلنا، وطبيعتنا ناقصة، لذلك نخطئ، وتبقى هذه القابلية كامنة في كياننا حتى نبدأ خلال معاملاتنا الاجتماعية حركة أو أكثر تقتضي لأسباب عديدة الوقوع في الخطأ أو تتسبّب فيه، وإذا ما حدث خطأ ما تبدأ قابليتنا الثانية «الرغبة في الاعتذار» في العمل بدوافع محفّزة ممن وجهنا إليه الإساءة بأي مستوى، وفي أي مجال، وتتوقّف حركة هذه القابلية على محدّدات معيّنة في موقف المسيء كقوّة دافعه الدّيني في احترام الناس أو نتيجة وعيه ومراجعة سلوك الذات، وإحساسه بالندم، وتحسّسه لكرامة الناس بنحوٍ مساوٍ تماماً لشعوره الشخصي بالكرامة لنفسه.

ولدى جميع الناس كذلك بلا استثناء قابلية ثالثة، وهي واحدة من قائمة القابليات الكثيرة في الكيان الإنساني،

---

(١) محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، ج ٦ / ص ١٠٩ - ١١٦.

(٢) ميزان الحكمة، ج٦/ ص ١١٢.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي، ج ٧٤، ص ١٦٤، وكتاب ميزان الحكمة للعلامة محمدي ري شهري، ج ٦/ ص ١١١.

(٤) سورة الشمس / آيات ٧ - ١٠.

وتعبر عن نفسها في مواقف مختلفة، وأراد المشرع التربوي الإسلامي إضعاف نشاط القابلية للخطأ، وإنماء القابليتين الثانية والثالثة ((للاعتذار والعفو)) في سلوكنا اليومي، فهذه القابليات نزود بها منذ لحظة الولاة، وتظل كامنة، وغير نشطة في داخلنا حتى يظهر شيء ما يحرّكها في الحياة الاجتماعية للأفراد، فإذا ما أخطأ أحدنا، وهذا أمر واقعي في حياة الناس، فإنّ القابليتين تعملان بمحفزات ذاتية وخارجية كالحوافز والتحذيرات الإلهية والاجتماعية، وحينما تستجيب قابليتنا للاعتذار على إثر وقوع خطأ فإنَّه من المنطقي أن تستجيب قابليتنا للعفو، وتكون فعلاً واضحاً في حركة ذواتنا الاجتماعية حتى وإنْ ظهرت بعض العوائق، فهي لا تموت أبدًا.

ومما ينبغي لفت النظر إليه أنَّ ضمور هذه القابليات ونشاطها موصول بقابليتنا الكبرى على الخير والشر كما أكّدت ذلك نصوص المشرّع الإسلامي في الكتاب والسنة وأقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام، وقد تنبَّه الإمام علي عليه السلام -كنموذج فحسب - على وجود هذه الثنائية في الطبيعة البشرية وتدافعها في داخل النفس وحركة الحياة فقال:

-«إنَّ الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم[١]».

-ويقول عليه السلام في نصٍّ آخر:

«الشّر كامن في طبيعة كلّ أحد، فإنْ غلبه صاحبُه بَطَن، وإنْ لم يغلبه ظهر[٢]».

وقد اعتمد الإمام علي عليه السلام سيد الأتقياء في تأكيده على وجود هذا التكوين الثنائي في طبيعتنا البشرية ووجود قابلية ثنائية داخلية للخير والشر في كياننا الإنساني على رؤية قرآنية واستلهام نصوصه الكريمة ذاتها.

توجيه الخطاب للإنسان لإنجاز نمطين من السلوك العبادي:

يستبطن النص التربوي الحسني بلغته التربوية والإسلامية الواضحة مفهومًا سيكولوجيًّا وأخلاقيًّا هادفاً، وتوجيهًا عامًّا لضبط حركة سلوك الأفراد والجماعات في مختلف الظروف للقيام بأداء أربع مهام عبادية أساسية ومحدّدة، وهما:

١. عدم التعجل في تطبيق مبدأ العقوبة على الفاعل.

---

(١) الوسائل / باب ٩ / ج ٢ / جهاد النفس، وكذلك ميزان الحكمة ج١/ ص ٣٦٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم / ج ١ ص ١٢١.

٢. يتاح له من قبل الشخص الذي تعرض للإساءة فرصة «الاعتذار»، وتفسير ما صدر عنه لإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي السابق على الفعل الخطأ.

٣. إتاحة الفرصة للمخطئ في العودة عن خطئه، وإتاحة الفرصة له في التفكير بإيجابية مع الفرد الذي أخطأ بحقّه أو مع الجماعة التي أخطأ بحقّها.

٤. قيام الشخص المعتدى عليه بالعفو عن المسيء المعتذر بصفاء نفس، ولا تقريع ولا عتب ولا أدنى تشهير.

مفهوم الاعتذار في لسان العرب[١]:

للاعتذار معانٍ مختلفة[٢] تفهم في ضوء المعاجم اللغوية، وما يعنينا -من كل هذه المعاني - مفهومه القريب من موضوع مبحثنا هذا، فالعذر في مفهومه العام هو «الحجة التي يعتذر بها المرء» وجمعها أعذار، ويقال أحياناً معاذير بمعنى الحجج، أي جادل المرء عن حجته ولو بأدنى حجة يعتذر بها أمام الطرف الآخر، والاعتذار محو أثر «المَوْجدة»، وهو بمعنى الإعْذَار، ويوصف الشخص الذي إذا أتى بعذر بالمعتذر، ويكون محقًّا أحيانًا، وقد يكون في بعض الأحيان غير محقّ، أي عذره غير مقبول أو لا عذر منطقي له، ومن معانيه كذلك (اعتذر من ذنبه).. تَنَصَّل منه.. أي بَرِأَ من فعله.

شروط تحقّق الاعتذار:

حينما تتحقّق بعض الظروف المحدّدة في أجواء صدور سلوك خاطئ وظهور حالة وجدانية مليئة بشحنات انفعالية يكون الاعتذار ضرورة نفسية وشرعية، ويمكن أن نُسمّي هذه الظروف بـ «شروط الاعتذار» وهي كما يأتي:

١. وقوع «فعل خاطئ» يستوجب اعتذاراً من الشخص الفاعل كالسباب والشتيمة والنظرة القبيحة التحقيرية وغير ذلك.

٢. وجود «قناعة داخلية بالاعتذار بدافعية أخلاقية[٣] وعبادية» محضة من طرفي المواجهة.. بين المسيء والشخص

(١) لسان العرب لابن منظور، باب كلمة «عذر» بتصرف.

(٢) أورد ابن منظور في لسان العرب معانٍ عدة للفظ «العذر» و«الاعتذار»، منها العذر بمعنى الحجة التي يعتذر بها، والاعتذار بمعنى الدروس، ومحو أثر الموجدة، والإعْذَار، أي أتى بعذر، واعتذر من ذنبه تنصل منه كما أكده حديث شريف سنذكره في باطن هذا المبحث وهو قوله ﷺ: «من أتـاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك منه، محقاً كان أو مبطلاً، فإنْ لم يفعل لم يرد عليَّ الحوض»، وقوله كذلك: «من لم يقبل العذر من متنصل صادقاً كان أو كاذباً لم ينـل شفاعتي»، ميزان الحكمة، ج٦ ص ١١٢.

(٣) من المألوف في الحياة اليومية للناس أن يكون الاعتذار في بداياته عملاً أخلاقياً يتم عادة بنحو ودي بين طرفين كان أحدهما مخطئاً والآخر ممن وقع عليه الفعل الخاطئ أو صدرت تجاهه الإساءة، ويفترض من سياقات النص التربوي الحسني المشار إليه في هذا المبحث أن تتم مبادرة الصلح من الفاعل المخطئ بالاعتذار لتصحيح سلوكه الخاطئ، وأنْ ينتظر الطرف الآخر المعتدى عليه الذي تعرض للإهانة تلك المبادرة الأولية لحل المشكلة قبل أن يتحول الموقف إلى إجراءات قانونية ألمحت إليها كلمات الإمام الحسن ولم تسقطها نهائياً.

المعتدى عليه بإساءة.

ويتجلّى في تحقق أمرين هما:

أ- قبول طوعي للاعتذار من جهة الطرف الذي وقع عليه الفعل الخاطئ فألحق به المسيء ضررًا معيّنًا قد يكون ماديًّا أو معنويًّا.

ب- توافر نية القربى لله -تعالى-، وهي نزوع داخلي للإقدام على فعل الاعتذار عن قناعة داخلية وبنوازع عبادية تبتغي تحقيق رضا الله سبحانه وتعالى، وإظهار نيّة صالحة في التفاعل مع أجواء الاعتذار بما يرضي الله تعالى.

٣. وتمثل «التصفية الأخلاقية لآثار الفعل الخاطئ وتداعياته»، والعمل على تحقيق ذلك بطريقة ودّيّة شرطًا.

خصائص الدعوة للاعتذار:

يمكن - بصورة مباشرة حيناً وغير مباشرة حيناً آخر - استنباط بعض الخصائص الواضحة في دعوة الإمام الحسن عليه السلام لممارسة الاعتذار عن أخطاء السلوك وتقبلها من المخطئين، وحددناها في الخصائص التالية:

الخاصيّة الأولى: طابعها الإنساني

ليست دعوة الإمام الحسن عليه السلام - كما نلحظ - موجهة للمؤمنين وحدهم، فالمعنى البارز في المفردات اللفظية للنص دعواه عليه السلام إلى تأجيل العقوبة على ذنب صدر من آخرين، وإلى تقبّل الاعتذار منهم، وهي في السياق العام للنص موجّهة لكل إنسان بغضّ النظر عن اعتبارات المعتقد الديني واللون والانتماء الاجتماعي والسياسي، فكلّنا كبشر خطّاؤون، ونحمل طبيعة ناقصة، حيث لم يحدّد النَّص الحسني دعوة للاعتذار خاصّة بجماعة أو قوم، فالإمام الحسن عليه السلام يدرك أنَّ الأخطاء التي تصدر عادة عن الأفراد ليست محصورة في نطاقٍ محدّد ولا علاقة لها بمعتقد أو اتجاه، وإنَّما يمكن أن تكون شاملة لمجالات عديدة من حياتنا، وبذلك فإنَّ لكل إنسان قابلية لكي يُخطئ فيعتذر بصرف النّظر عن اعتبارات اللون والجنس والدين والمعتقد السياسي، ونوع المهنة ومجال العمل، والتوقيت الزمني، لذلك اختفت من النّص مفردة «المؤمن» الدّالة على توجيه الدعوة للمؤمن وحصرها في عالمه، وإنَّما ترك الإمام الحسن عليه السلام دعوته مفتوحة لتتسع لكلّ إنسان ولتلبس طابعًا إنسانيًّا.

الخاصّيّة الثّانية: ربّانية الدّعوة

مع تأكيد الإمام الحسن في نص المذكور على الطابع الإنساني في ممارسة الاعتذار لدى الناس فإنَّ دعوته عليه السلام

لا تعني بالنسبة للإنسان المؤمن أن لا تعنيه، وأن لا يوظّفها في نطاق الدعوة الربانية والاستجابة لممارستها بهدفية القربى لله سبحانه وتعالى ونيل رضاه، فالاعتذار وتقبّله عملية عبادية، ولن ينظر لها كذلك بمعيارٍ جيّد إلاَّ بربطها بالنظرة العبادية الربانية التي تستحق الأجر والمثوبة الإلهية، وهنا تكمن هدفيتها التي تبتغي تحقيق الرضا الإلهي كمدخل طبيعي لتحقيق أهداف المؤمن بوجهٍ خاصّ والإنسان بوجه عام، تحقيق الإخاء الاجتماعي واستعادة قدر معيّن مطلوب من التوازن النفسي للفرد، وقد تقدّمت الإشارة إلى بعض الأهداف التي تجعل عملية الاعتذار وسيلة لأهداف ربّانية واجتماعية ونفسية، وبذلك فإنَّ طبيعة دعوته للاعتذار ربانية محضة حتى وإن كانت موجّهة لجميع البشر، فالمؤمن جزء منهم ومكلّف بممارسة «الاعتذار وتقبّله» بمعيارٍ دينيّ يتقرّب فيه لله سبحانه.

الخاصيّة الثّالثة: الوسطية

هذه الخاصيّة – كما يعلم القارئ الكريم – من أبرز سمات المنهج الإسلامي في خطوطه العامّة، وهو منهج يتبنّاه صاحب النّص، وليست الوسطية ميزة ينفرد بها هذا النّص وحده، بل هي خاصيّة عامة في كلّ دعوة ربّانيّة، وقد ارتكز منهج الله سبحانه على الوسطية بنحوٍ يؤدّي إلى إشباعٍ متوازن للحاجات عند الإنسان دون إفراطٍ أو تفريط، وكذلك فإنَّ من الخصائص التي لاحظناها في المضمون المعرفي العام لهذا دعوة الإمام الحسن السبط بن علي عليه السلام إلى الوسطية المتوازنة بين فعلي «الذنب والعقوبة»، وكلمة «بينهما» إشارة لهذه الوسطية، فالنّص الذي نحن بصدد دراسته وتحليله لم يطالب بترك العقوبة نهائيًّا، ولا توحي كلماته بذلك، ولم يطالب في الوقت نفسه بنزع قابليتنا نحو الذنب وارتكابه، وإنَّما اعترف بوجود الاثنين «الذنب والعقوبة معًا» وجعل الاعتذار طريقًا بينهما تهذيبًا لسلوك المسيء وإعلاءً لنفسية الشخص المعتدى عليه.

فالنفس البشرية بسبب ما جبلت عليه طبيعتها الداخلية من نقائص تميل إلى مقارفة الذنوب، وأن «العقوبة» هي إحدى وسائل المشرّع التربوي الإسلامي وأساليبه وإجراءاته العلاجية لها، بيد أنَّ النّص الحسني لم يجنح إلى إهمال العقوبة أو المبالغة في استخدامها، ولم يدعو في الوقت نفسه إلى إهمال الذّنوب أو التغافل عنها، لهذا نجد النّص الحسني قد وجد في «الاعتذار» إجراءً عمليًّا لحركة وسط معتدلة قائمة على مبدأ التوازن بين فعلي «الذنب والعقوبة»، وجعله خطوة وسط بين ذنب لا يهمل وعقوبة مؤجّلة لا يبالغ فيها، حيث يبسط الشخص المعتدى عليه جهوده لحلّ المسألة وديًّا عن طريق الاعتذار كحلّ وسط يمحق العجلة في توقيع العقوبة، ويتيح للمسيء أن يعتذر فيعيد الاعتبار للشخص الذي وقعت عليه الإساءة الذي بدوره مكلّف بالصّفح الجميل والعفو عن المسيء.

الخاصّيّة الرَّابعة: طابعها الاكتسابي

لا يولد المرء «مخطئًا»، ولا يولد الإنسان في الوقت نفسه معتذراً، ولا يولد كذلك طرف يتقبل الاعتذار دونما اكتساب من البيئة التي يعيشها المرء، فالوقوع في الخطأ، والإقبال على الاعتذار من الآخرين عن أخطاء السلوك، وتقبلهم من المخطئين علامات على وجود قابلية فطرية محايدة، فنحن نرث كبشر هذه القابلية فطريًّا، ولكن الوقوع في الخطأ والاعتذار، وقبوله من هذا الفرد أو ذاك لاعتذارات الناس هي أنماط سلوكية مكتسبة من واقع بيئاتنا الاجتماعية ومأخوذة من عالمنا الاجتماعي الذي قدّر الله تعالى لنا العيش فيه منذ لحظة الولادة أو في مراحل لاحقة، فالإنسان يتعلّم الخطأ من بيئته الاجتماعية، كما أنَّ هذه البيئة تمدّ الفرد بالقدرة والشجاعة على ممارسة الاعتذار حينما يسيء لأحد عمداً أو عن سهو وغفلة، أو تزيده عناداً وإصراراً وتمسكاً بمشاعر العزّة بالإثم، ولا يختلف هنا مجتمع عن آخر إلاَّ بوعيه العقلي ونوع التربية الاجتماعية ومدى تفاعله مع قيم الدين المحفّزة على العفو والصفح والاعتذار، والمستوى الحضاري للمجتمع.

الخاصية الخامسة: الحركة المتجددة للأخطاء وأساليب الاعتذار

لا تسير الحياة على نمطٍ محدّد أو وتيرة رتيبة، فهي بطبيعتها متجدّدة في حركتها، ومتبدلة في أخطائها وأساليب معالجتها، وهذا ينسحب على أساليب الاعتذار، فطالما أنّ الأخطاء تتجدّد بنفس مظاهرها السابقة أو مختلفة في شيء ما فإنّ أساليب الاعتذار تعاود ظهورها إما بعودتها برتابة أو بقدر من التجديد، وربما يدخل هذا التجديد بصيغ غير مباشرة تدل على روح إبداعية، فالعبارات الدالة على الاعتذار قد يستعملها المخطئ برتابة سابقة، وقد يدخل «المسيء للآخرين» من أبواب مشوقة ليقدّم اعتذاره بلا إهانات وخالية من مشاعر المذلّة التي تخالج عادة مواقف الاعتذار.

الخاصيّة السادسة: تنوّع الأخطاء وأساليب الاعتذار

تتّسع الحياة كما نعلم لكثير من أخطاء السلوك سواء صدرت عن عمدٍ أم عن سهوٍ وضعف في إمكانيات الذات أم جهلاً بنتائج الفعل، لكنها في الوقت نفسه تتسع لأساليب متعدّدة من الاعتذار، وقد يكون هذا التعدد بعدد الأخطاء، فلكل «خطأ» اعتذاره الخاص، والمهم أن ينجح المخطئ المعتذر مع الطرف الآخر على معالجة الخطأ باعتذار مناسب لجنسه يبدأ أوّلاً بشرح وجهة نظره للمعتدى عليه، فالخطأ الأخلاقي الشخصي يناسب اعتذارًا مختلفًا عن اعتذار في مجال نشاط آخر كالعمل السياسي أو النشاط الرياضي، وبذلك فإنَّ صيغ الاعتذار ليست واحدة وليست على نسقٍ واحد حتى وإن تشابهت في إطارها اللغوي العام بقول المخطئ حين الاعتذار..

أنا أعتذر.

وأنا آسف.

واعتذر عما بدر مني.

وأرجو المسامحة.

وأقدّم أسفي.

وكلمات مماثلة، وبأيّة لغة متداولة توحي بالندم والشعور بالخطأ، والرغبة في تصحيح السلوك.

وهكذا دواليك يعبّر المخطئ المسيء ((المعتذر)) بهذه الكلمات، ويُعبّر كلّ مخطئ بأساليبه الذّاتية ولغته الخاصّة التي يتحدث بها في كلّ مكان، وفي أزمنة أو بكلمات مماثلة عن هذه الحالة الوجدانية – السلوكية.

الاعتذار بين المحفّزات والتّحذيرات:

إذا ما تأمّلنا النّص التربوي الحسني في هذه الدراسة وجدناه متوازنًا في قضيّة الاعتذار بين التحفيز والتحذير، فالنّص المذكور يتّجه إلى تحفيز الإنسان على ممارسة الاعتذار من قبل المخطئ أوّلاً، ثم –ثانياً – تشجيع الطّرف الآخر الذي وقع عليه الخطأ على قبول الاعتذار لحلّ أيّة خصومة طارئة أو موقف سلوكي خاطئ متجذّر، وحذّره من عدم قبول اعتذار مسلم أو إنسان آخر.

وفي الوقت نفسه فإنَّ النّص لفت نظر الإنسان إلى التّعجل في توقيع العقوبة قبل مبادرات الحل الودّي، وفي صدارتها اعتذار المخطئ عمَّا بدر منه، وطلب العفو عنه، ومع أنَّ هذه الإشارة واضحة في النّص إلاَّ أنّها خالية من تفاصيل موسعة، ولكنَّ إشارات مؤكّدة من نصوص نبويّة وأحاديث الأئمة المعصومين ﷺ قد أبرزت موقفًا متوازنًا ومعزّزًا للتحذيرات والمحفّزات في آنٍ واحد كما يتّضح من بعض النّصوص التي سنعرضها.

تقول بعض النصوص الشريفة من أحاديث نبويّة وأقوال بعض الأئمة الهداة المعصومين ﷺ بالأمرين معًا:

التحفيز للناس – فرادى وجماعات – وترغيبهم بممارسة الاعتذار من الآخرين عند إهانتهم والإساءة لهم.

والتحذير من عدم الاستجابة لقبول الاعتذار من الغير.

أوّلاً: نماذج من نصوص التّحفيز

كثرت - في هذا الشّأن - كلمات أقوال المعصومين عليهم السلام في هذا الشّأن، وسنذكر كنموذج بعض أقوال الإمام علي عليه السلام بوصفه والدًا ومربّيًا لابنه الإمام الحسن الذي تأثّر بمعارفه وقيمه واتجاهاته وسلوكيّاته.

قال الإمام علي عليه السلام:

«لا يعتذر إليك أحد إلاَّ قبلت عذره، وإنْ علمتَ أنّه كاذب[١]».

«اقبل أعذار الناس تستمتع بإخائهم، وألقهم بالبشر تَمُتْ أضغانهم[٢]».

«أعقل الناس أعذرهم للناس[٣]».

«لا تعاجل الذنب بالعقوبة، واترك بينهما للعفو موضعًا تحرز به الأجر والمثوبة[٤]».

«إن شتمك رجل عن يمينك ثم تحوَّلَ إلى يسارك، واعتذر إليك فاقبل عذره[٥]».

«احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ... وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَة عَلَيْكَ[٦]».

«لا يكونَنَّ أخوك على الإساءة أقوى منك على الإحسان إليه[٧]»، وليكن قبول اعتذاره إحدى صيغ الإحسان إليه، وعدم معاجلة المخطئ المسيء بعقوبته وجَدَ عنها المعتدى مندوحة صيغة أخرى للإحسان.

ثانياً: نماذج من نصوص التحذير

وبمقابل نصوص التحفيز على ممارسة «الاعتذار» للناس عمّا بدر من أخطاء ضدهم جاءت نصوص تربوية مضادة تحذّر من عدم قبول أعذار الناس لا لتشجيعهم فحسب على هذه العادة السلوكية الإيجابية والتربوية، بل كذلك تشجيع «الناس المعتدى عليهم» على صفاء نفوسهم وتنقية علاقاتهم بالآخرين.

(١) ميزان الحكمة، ج٦، باب الاعتذار / ص ١١١.

(٢) المصدر السابق / ص ١١٢.

(٣) المصدر السابق / ص ١١٢.

(٤) محمدي الري شهري، ميزان الحكمة، ج٦ / ص ٣٩٢.

(٥) المصدر السابق/ ص ١١١.

(٦) نهج البلاغة، كتاب ٣٣، وكتاب ميزان الحكمة، ميزان ٦، ص ١١١.

(٧) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج٢، ص ٣٣٤، رقم الحديث ٢١٦.

جاء في حديثه عليه السلام:

«من أتــاه أخوه متنصّلاً فليقبل ذلك منه، محقًّا كان أو مبطلاً، فإنْ لم يفعل لم يرد عليَّ الحوض[١]».

وفي حديث نبوي آخر قال عليه السلام: «من اعتذر إليه أخوه المسلم من ذنب قد أتــاه فلم يقبل منه لم يرد عليَّ الحوض[٢]».

وقوله عليه السلام: «من لم يقبل العذر من متنصّل صادقًا كان أو كاذبًا لم ينل شفاعتي[٣]».

ويقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام في أحد أدعيته: «اللهم إنِّي أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره... ومن مسيء اعتذر إليَّ فلم أعذره[٤]».

«أعظم الوزر منع قبول العذر[٥]».

الاعتذارات غير المقبولة شرعًا:

لاحظنا مما تقدّم من نصوصٍ تربويّة إسلامية موقف التّرغيب والتّشجيع للمشرّع الإسلامي من مسألة الاعتذار للناس وجعله سلوكًا شائعًا بينهم، إذ تنطوي هذه النّصوص على حالة ترغيب عامّة لممارسة عادة «الاعتذار» عن الأخطاء بحقّ الآخرين والإساءات لهم، كما انطوت هذه النّصوص من زاوية أخرى على تشجيع الناس بلا استثناء على قبولهم لاعتذارات الآخرين، إذ حذرت من تعنّت بعض الناس في قبول «اعتذار» المسيئين، ورأينا في بعض كلمات النبي محمد صلى الله عليه وآله تشدده فيمن لا يقبل عذر مسلم، بيد أنَّ المشرع التربوي الإسلامي وضع في المقابل بعض النّصوص يمنع فيها حالات من الاعتذارات، ونهى عن ممارستها، ومن تلك الاعتذارات غير المقبولة التي نهى عنها المشرّع الإسلامي قد تجسّدت في بعض نصوصه ومنها ما سنعرضه للحالات الأربع من الاعتذارات الممنوعة:

الحالة الأولى:

ويصور أحد هذه النصوص حالة مرضية وعصابية لدى بعض الأفراد ممن لا يحبّون لطبع لئيم في أنفسهم عدم قبول «اعتذار» من الناس رغبة منهم في إذلالهم أو تشّفياً بكراهيتهم أو تلذّذاً ببغضهم، فمثل هؤلاء الناس يودّون في

---

(١) ميزان الحكمة، ج٦، باب الاعتذار ص ١١٢.

(٢) المصدر السابق/ ص ١١٢

(٣) محمدي الري شهري: ميزان الحكمة، ج٦ ص ١١٢

(٤) الإمام السجاد، الصحيفة السجادية، دعاء ٣٨، ميزان الحكمة، ج٦ / ص ١١٣.

(٥) المصدر السابق/ ص ١١٣.

داخلهم بقاء العدوانية ضدّ الناس، لذلك لا يقبل اعتذارًا، وفي مثل هذه الحالة جاء النّهي بعدم الاعتذار لأشخاصٍ لا يحبّون أن تعتذر لهم لأنّهم لن يقبلونه أبداً حتى لو تكرّر مئات المرّات، ومن هنا قال الإمام علي عليه السلام: «لا تعتذر إلى من لا يُحب أن يجد لك عذراً[١]».

الحالة الثّانية:

وفي هذه الحالة يطلب من شخص أطاع الله في أمر تقديم اعتذاره، فعلى سبيل المثال كشف أحد الموظّفين المتديّنين الذين يخافون ربّهم تعالى حالة تزوير وسرقة مال لأحد المسؤولين وأبلغ المعنيين بالمؤسسة فغضب عليه هذا المسؤول، وتوتّرت العلاقة بينهما، فاقترح وسيط ثالث إعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي وإلى سابق عهدها باعتذار الموظّف للمسؤول عن فعله في اكتشاف سرقته للمال، والتّعهد بعدم العودة إلى هذا الموقف النبيل.

فهنا يطلب المشرّع التربوي الإسلامي رفض هذا النوع من الاعتذار لأنَّ ما فعله الموظّف هو امتثال لأوامر الله في تتبع الفساد ومحاربته، والاعتذار هو تراجع عن هذه الأوامر ومعصية لله سبحانه، لذلك جاء في أحد النصوص التربوية الإسلامية ما يمنع الاعتذار من أمر كان فيه لله طاعة والتزام بأوامره ونواهيه.

يقول الإمام علي عليه السلام في النص: «لا تعتذر من أمر أطعت الله سبحانه فيه.. فكفى بذلك منقبة[٢]».

الحالة الثّالثة:

يقول أحد النّصوص الإسلامية أنَّ بعض الناس يبخلون حتى بشيء يسير من العطاء، فيتعللون بالاعتذار، ويفهم من النص أنّ «الاعتذار» حالة مرضية في مجال العطاء المادّي، إذ يتعلل بعض الناس بـ «الاعتذار» حين يراد منه تقديم عطاء يسير، وهنا يطالب أحد نصوص المشرع التربوي الإسلامي بأن يكون: «يسير العطاء خير من التعلل بالاعتذار[٣]»، فالمشرع ممثلًا في قول الإمام علي عليه السلام يرفض من خلال هذا النص اختلاق أعذار للهروب من العطاء حتى لو كان يسيراً، ودعا الناس إلى العطاء حتى بمستواه اليسير فإنّه خير كما قال من «التعلل بالاعتذار» الذي يمثل في هذا الموقف أو في موقف آخر مماثل حالة مرضية، إذ تتخذ الأعذار – هنا – للتنصل والهروب من أداء المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية.

إنَّ هذه الأنواع من الاعتذارات غير مقبولة من الناحية الشرعية الإسلامية، ومرفوضة من قبل علماء الأخلاق

(١) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ج٢ ص ٣٢٥، رقم الحديث ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٢ / ص ٣٣١، رقم الحديث ١٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٢ / ص ٣٧٩، رقم الحديث ١٥.

والمعالجين السلوكيين، بل ولا تستجيب لمنطق العقلاء، وهي أحرى أن تتنافى مع دعوة الإمام الحسن بن علي عليه السلام في الاعتذار التي أرادها أن تكون فعلاً «عباديًّا» يحقّق للأفراد والجماعات غاياتهم النبيلة من حسن علاقات ونقاء مودة، وفهم وتقارب بينهم، وتصحيح أخطاء السلوك غير السّوي.

الحالة الرابعة:

هناك أشخاص من يعبّر عن هذه الحالة العصابية لأسباب عديدة بعضها متلبس بالنفاق، وبعضها الآخر يلف النفس بمرض نفسي كحالة الشعور بالنّقص أو تلذذ بعض الناس في استصغار نفوسهم للآخرين ولاسيّما العتاة الطغاة، وتتمثّل هذه الحالة في اعتذار بعض الناس من غير حصول ذنب فعليّ لأنَّ فعل ذلك يعني أنَّ الفرد الذي يعتذر بلا ذنب قد أوجب على نفسه الذّنب، فهذا النوع من الاعتذار يجسّد حالة عصابية في معايير الصّحة النفسية، وهو من الناحية الدينية محرَّم شرعًا، وقد عبرت كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بدقّة تامّة عن الموقف الديني من جهة ومن موقف علماء العلاج النفسي فقال عليه السلام: «من اعتذر من غير ذنب أوجب على نفسه الذنب[1]».

طبيعة الإساءة وطبيعة الاعتذار

ليس الاعتذار حالة وجدانية محضة، بل موقف عقليّ مصحوب بشحنة انفعاليّة سويّة أو مرضية، وطبيعة «الاعتذار» مرتبطة بطبيعة الفرد نفسه التي يحدّدها التعامل الشخصي بين المسيء والمعتدى عليه، فإن كان المسيء المعتذر «لئيمًا ومنافقًا» فطبيعة اعتذاره لؤم ونفاق وندم غير صادق، وحينما يكون المعتذر بسجيّة طيّبة وخيرة فإنَّ اعتذاره تعبير عن ندم سوي في داخله، وصادق يريد به تجاوز الخطأ ومحو آثار إساءة صدرت منه فاستشعر الندم، وهذا ما جعلنا نعتقد أنَّ الاعتذار بهذه الحالة العقلية والوجدانية علامة نضج عقليّ وانفعاليّ لأنَّ داخل المسيء انطوى على اعتراف صادق فتبعته حالة ندم صحّيّة وسويّة تصاحبها توبة نصوح لله -تعالى-.

وفي سياق التركيبة الداخليّة للمسيء المعتذر تتحدّد استجابة المعتدى عليه إمَّا بقبول «اعتذاره»، ولن يتم ذلك إلاَّ حينما يتحسّس الطرف المعتدى عليه ندماً فعليًّا للمسيء، وإمَّا يرد «اعتذاره»، ويتحرك صوب العقوبة العاجلة حينما يتبيَّن له.. أي للشخص المعتدى عليه بإساءة.. لؤم المسيء ونفاقه وتكرار خطئه ضده، فالاعتذار المتكرّر لشخص تمت الإساءة إليه هو في حقيقته لؤم ونفاق، وعدم شكر قبول المعتدى عليه الذي يعتبر «نعمة» منَّها الله على المسيء ففرَّط فيها، وعاد بلؤمه وتقصيره إلى تكرار إساءته بنحو فهمها المعتدى عليه وكلّ المحيطين به على أنّ تكرار إساءاته

(١) ري شهري، محمدي، ميزان الحكمة، ج٦ ص ١١٥.

قد اصطبغ بالنّفاق واللؤم، وهذه العلامة فارقة بين المؤمن والمنافق كما جاء على لسان الإمام الحسين عليه السلام عندما حذّر وقال: «إيَّاك وما تعتذر منه، فإنَّ المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر[١]»، أمَّا الإمام الحسن عليه السلام فيرى «اللؤم أن لا تشكر النعمة[٢]»، والاعتذار أحد مصاديقه، فحين يقبل الناس منك اعتذارًا فاعلم بأنّ الله سبحانه منَّ عليك بـ «نعمة».

ويلحظ من التركيبة اللفظية للنّص التربوي الحسني عن موضوع «الاعتذار» تأكيد الإمام الحسن السبط بصورة مباشرة على الطبيعة الخيرة للشخص المعتدى عليه، لذلك دعاه عليه السلام إلى استثمار هذا العنصر الإيجابي لديه في فحص موقف المسيء الذي يتراوح بين لؤم المنافقين وإخلاص النادمين، ومن هنا حث الإمام الحسن عليه السلام الشخص الذي تقع عليه الإساءة أن يتفهّم بطبيعته الخيرة دوافع الإساءة ويتيح لصاحبها أن يراجع موقفه، ويمنحه فرصة الاعتذار لكشف نواياه الداخلية، فإذا ما ألف منه تكراراً في الإساءة إليه فهمه كشخص لئيم أو منافق أو عدواني، وأما إذا استطاع المسيء تجاوز إساءته بعلاقات جديدة خالية من الإساءة واللؤم والنفاق عرفه نادمًا مخلصًا، وربما جعله صديقًا حميمًا، وأعانه على تحسين سلوكه وتنمية شخصيته.

وربما هذا ما قصده وعناه الإمام الحسن السبط بن علي عليهما أفضل الصلاة والسلام في نصيحة مباشرة لبعض وِلْدِه: «إذا استنبطت الخبرة، ورضيت العثرة، فآخه على إقالة العثرة، والمواساة في العسرة[٣]»....

(١) ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول ص ١٧٨.

(٢) المصدر نفسه/ ص ١٦٨.

(٣) المصدر نفسه/ ص ١٦٨ .

ملامح مسؤولية الحاكم عند الإمام علي عليه السلام

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي

لقد رسم لنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كثير من بياناته وخطبه، معالم مسؤولية الحاكم، وذلك في عدّة بيانات منْ شأنها أنْ تنضج المفهوم الحقيقي للحكم، وتخرجه منْ إطاره السياسيّ المغلّف، إلى المضمون الإسلامي الناصع.

فقد رسم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خلال تجربته السياسية التي لم تطل كثيراً، ولكنّها أعطت الكثير من ملامح هذا الهدف في عدّة بنود أوجب على نفسه أن يتبنّاها في إدارة الدولة، كما أوعز بها إلى ولاته في البلدان الأخرى:

البند الأوّل: الحكم مسؤوليةٌ لا منصب

قال عليه السلام لابن عباس: (يا ابن عباس، إنّ إمرتكم هذه لا تساوي قيمة هذا النعل إلّا أنْ أحقّ حقاً، أو أبطل باطلاً)[1].

فقد حدّد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام للموقع السياسي والإداري مفهومًا رساليًّا يختلف عن كلّ المفاهيم والتصوّرات التي يحملها تجّار السياسة، وأوجب أن ينضج في أذهان الساسة المسلمين الذين يتحرّون الحقّ والعدل.

وهذا المفهوم هو: أنْ جعل الموقع السّياسي أو الإداري مسؤولية لا منصبًا؛ لأنّه متى ما كان هذا الموقع في تصوّر المسؤول منصبًا كان مَصَبًّا للمنافع والمصالح، وسوقًا تجاريًّا للاسترباح.

أمّا المسؤولية، فهي تصبّ في رعاية المصالح العامّة للأمّة، وإنّها أمانة تجب حمايتها ورعايتها حقّ الرعاية منْ قبل المسؤول، ويجب أداؤها على أتمّ وجه.

أي: أنّ الموقع السياسي في منطق الإنسان المؤمن ما هو إلّا وسيلة للوصول إلى غاية أنبل وهدف أسمى هو: إحقاق الحقّ، وإبطال الباطل، وإقامة العدل، والانتصاف للمظلوم من الظالم ولو كان ذا قربى.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا

(١) تاريخ الفقه الجعفري: ١/ ٢٤١

فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)[١].

لذا كان القرآن الكريم قد امتدح في يوسف ﷺ خصلة الأمانة والعلم والحرص على حفظ الأمانة عندما استدعاه عزيز مصر وجيء به إليه وامتدح فيه القوّة والأمانة، فطرح يوسف ﷺ نفسه مرشّحًا للوزارة من قبل الحاكم آنذاك، كما حكى القرآن الكريم ذلك:

(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)[٢].

وكما أكّد القرآن الكريم أنّ منْ يليق بالموقع القيادي هو منْ تجتمع فيه القوّة والأمانة، حيث أدركت إحدى ابنتي شعيب ﷺ هاتين الصّفتين في شخصيّة موسى ﷺ فطلبت إلى أبيها أن يستأجره **(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)**[٣].

حيث أودع الله -تعالى- في هذه الشخصية صفتين رئيسيّتين هما: القوّة، وهي قوّة الشخصية في كلّ خلالها وخصالها المظهريّة والمعنويّة، والأمانة، وهي الحرص على أموال الناس وحقوقهم.

فيُستوحى منْ ذلك أنّه مضافًا إلى توفّر هاتين الصّفتين في شخصيّة الحاكم القائد، فإنَّ عليه بصفته صاحب الموقع القيادي، أن يعتبر نفسه أجيرًا منْ قبل الله تعالى بعقدٍ بينه وبين الرّعيّة على رعاية حقوقهم وحفظهم في أنفسهم وفي أموالهم وتوفير أمنهم.

ومنْ طريف ما كان يسترعي انتباه الملوك والأمراء إلى تلك الحقيقة، ما يُروى عنْ أبي عبد الله الحرسي، وكان منْ حرس عمر بن عبد العزيز قال: دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان وقال: السلام عليك أيّها الأجير، فقال الناس: الأمير يا أبا مسلم، ثم قال: السلام عليك أيّها الأجير، فقال الناس: الأمير؟!.

فقال: معاوية دعوا أبا مسلم هو أعلم بما يقول، قال أبو مسلم: إنّما مثلك مثل رجلٍ استأجر أجيراً فولّاه ماشيته، وجعل له الأجر على أنْ يُحسن الرعية، ويوفّر جزازها وألبانها، فإنْ هو أحسن رعيتها ووفّر جزازها حتى تلحق الصغيرة وتسمن العجفاء، أعطاه أجره وزاد من قبله زيادة، وإنْ هو لم يُحسن رعيتها وأضاعها حتى تهلك العجفاء

(١) النساء: ١٣٥.

(٢) يوسف: ٥٤ - ٥٦.

(٣) القصص: ٢٦ .

وتعجف السمينة، ولم يوفّر جزازها وألبانها، غضب عليه صاحب الأجر فعاقبه ولم يعطِه الأجر، فقال معاوية: ما شاء الله كان)[١].

البند الثاني: تطبيق العدل والمساواة

أي: عدم التمييز بين الرّعيّة في الحقوق والواجبات، وإنصاف الجميع ومراعاتهم، وإيفاء كلّ ذي حقٍّ حقّه، بلْ إنصافهم حتى من ذات الولاة والحكّام إنْ شذّوا عن هذا الطّريق وتجاوزوا الحدود وتعدّوا على مقدّرات الناس وحقوقهم بحالٍ من الأحوال، كما جاء في هذا النصّ من عهده لواليه مالك الأشتر:

(وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ للهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ)[٢].

ومن الشواهد التي أنصف الإمام ﷺ منْ خلالها الناس منْ أهله وخاصّته، ما جاء عنْ عليّ بن أبي رافع: كنت على بيت مال عليّ بن أبي طالب ﷺ وكاتبَه، وكان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة، قال: فأرسلت إليَّ بنت عليّ بن أبي طالب ﷺ.

فقالت لي: بلغني أنّ في بيت مال أمير المؤمنين ﷺ عقد لؤلؤٍ وهو في يدك، وأنا أُحبّ أنْ تعيرنيه أتجمّل به في أيّام عيد الأضحى، فأرسلتُ إليها: عارية مضمونة مردودة يا بنت أمير المؤمنين؟.

فقالت: نعم، عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيّام، فدفعته إليها. وإنّ أمير المؤمنين ﷺ رآه عليها فعرفه. فقال لها: من أين صار إليك هذا العقد؟.

فقالت: استعرته منْ عليّ بن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين؛ لأتزيّن به في العيد ثمّ أردّه.

قال: فبعث إليّ أمير المؤمنين ﷺ فجئته.

فقال لي: أتخونُ المسلمين يا ابن أبي رافع؟!.

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء: ١ / ٢٦١.

(٢) العلّامة المجلسي - بحار الأنوار: ٣٣ / ٦٠١ .

فقلت له: معاذ الله أنْ أخون المسلمين!.

فقال: كيف أعرتَ بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين بغير إذني ورضاهم؟!. فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّها ابنتك وسألتني أنْ أُعيرها إيّاه تتزيّن به، فأعرتها إيّاه عارية مضمونة مردودة، فضمنته في مالي، وعليَّ أنْ أردّه سليماً إلى موضعه.

قال: فرُدّه منْ يومك، وإيّاك أنْ تعود لمثل هذا فتنالك عقوبتي! ثمّ قال: أُوْلي لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة مردودة، لكانت إذن أوّلَ هاشميّةٍ قطعتُ يدَها في سرقة)[١].

لذا فقد جاء في تأبين الإمام أمير المؤمنين عليّ ﷺ ليلة وفاته: (رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أوّل القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً.. الضعيف الذليل عندك قويّ عزيز حتى تأخذ له بحقّه، والقويّ العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحقّ، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء)[٢].

وهذا الهدف، هو غير ما يفكّر به السياسيّون في العالم اليوم، حيث جعلوا المواقع السياسية والإداريّة سلطة تستدرّ بها المنافع وتستجلب بها الثروات، وتملأ بها المطامع، وشتّان بين رجل السلطة وبين رجل الدولة، فإنّ الفرق بينهما هو الفرق بين علي ﷺ ومعاوية.

ففي الوقت الذي كان عليّ ﷺ يتحرّك في سبيل إحقاق وإقامة الحقّ، كان معاوية يقول للأمّة: ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلّوا وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، إنّ من أوّليات رجل الدولة، أن يبني دعائم ومرتكزات الموقع السياسي التي تخدم الأمّة وتبني وجودها وحضارتها، وتعمّها بالخير الدائم والشامل.

أمّا رجل السلطة، فلا يُصغي لنصيحة أحد ولا همّ له إلّا التحكّم بالقهر والقوّة، والبطش بكلّ من يعترض إرادته ومنهجه، وأنْ ينتهز كلّ فرصة توفّر له الراحة، وتجلب له الربح، ولا شغل له إلّا مطامحه ومصالحه وأنانياته ورغباته.

البند الثالث: علاج مشكلة الفقر

الفقر منْ أخطر المخاطر التي تهدّد المجتمعات، ومن أهمّ الأسباب التي تؤدّي إلى الانحطاط الأخلاقي وتفشّي الجريمة.

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: ٥ / ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ٥ / ١٩٦.

فقد سمعنا طروحات كثيرة عبر وسائل الإعلام والفضائيات، ومنْ خلال المؤتمرات التي يعقدها السياسيّون لتوحيد الموقف لتجفيف منابع الإرهاب العالمي، دونما جدوى أو نتيجة على ساحة الواقع، في الوقت الذي ترجع فيه المشكلة إلى سببين متفاعلين على تعقيد الموقف، هما:

أوّلاً: الأطماع السياسيّة ونزعة التسلّط التي تدفع طغاة العالم إلى تأسيس مشكلة الإرهاب وصنع الأزمات كأوراق ضغطٍ على شعوب العالم للخضوع والانقياد لها وقبول ثقافاتها، إذ لا يخفى التزامن بين تأسيس حركة التكفير والهجرة وتوابعها مع سياسة فرض الحصار الاقتصادي على الشعوب.

ثانياً: الفقر والوضع المالي الصّعب، الذي يتسبّب في خلق الأزمات النّفسيّة والاجتماعية، نتيجة لتعثّر الوسيلة التّعليميّة والصّحّية لدى الطّبقة الفقيرة لمواجهة تلك الحركات بوعيٍ وقوّة.

بل على العكس كانت تلك الأزمات قد دفعت بالطّبقة المحرومة إلى الانخراط في التنظيمات التّكفيرية لصنع الجريمة من السّرقة والقتل والاختلاس والرّشوة والمتاجرة بالمخدّرات والسّلاح.

الإمام علي عليه السلام وخطوط العلاج

بما أنّ الحاكم الإسلامي في مقدّمة من ألقيت عليه المسؤولية في استيعاب وفهم تفاصيل الشريعة الإسلامية فهمًا دقيقًا، ودراستها دراسة جيدة للتوصّل إلى الطرق التي ينطلق منْ خلالها لعلاج هذه المشكلة الخطيرة، لضمان حقّ العيش للجميع، فقد اعتمد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عدّة وسائل أوعز بها إلى ولاته ليتمّ بها علاج هذه المشكلة ومن جملتها:

١: توفير فرص العمل

وذلك أنَّ من الناس من لا يملك الرّصيد المالي الذي يستطيع أن يتحرّك به في سبيل الاستثمار، لكنّه يملك طاقة واستعدادًا للعمل، فتقضي المسؤولية على الحاكم الإسلامي أن يوجّه الخراج من أجل استغلال هذه الطاقات وزجّها في ميدان العمل والاستثمار، لذا قال عليه السلام في سياق عهده لواليه مالك الأشتر:

(وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا)[1].

(١) العلّامة المجلسي - بحار الأنوار: ٣٣ / ٦٠٦.

كما أعلن ﷺ للأمّة ما هو حقّه عليها وما هو حقّها عليه، الذي من ضمنه توجيه فيئهم في سبيل مصالحهم المعاشية وتوفير فرص العمل لهم، فقال: (أيّها الناس إنَّ لي عليكم حقّاً ولكم عليّ حقّ، فأمّا حقّكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كي لا تجهلوا وتأديبكم كي ما تعلموا....)[١].

٢- رفع مادّة الضرائب

خصوصًا عن الطبقة الضّعيفة من الناس، من أجل أن يكون ذلك حافزًا لهم على العمل وزيادة الإنتاج؛ لأنّ الضّرائب التي تُثقل كاهل الناس، تتسبّب دائماً في بعثّ اليأس في نفوسهم وقلّة الإقبال على العمل والإنتاج، مع أنّها قد توجب تفسّخ الأخلاق حيث يعتاد الناس على الكذب والتزوير وتهريب الأموال إلى البلاد الأجنبيّة للتخلّص من الضّرائب بشتّى الحيل، وقد تضطرّ الأيدي العاملة للهجرة إلى البلاد التي تخلو من الضرائب للعمل هناك.

لذا قال ﷺ لبعض ولاته: (ولا تبيعنّ للناس في الخراج كسوة الشتاء ولا الصيف ولا رزقاً يأكلونه ولا دابّة يعملون عليها)[٢].

٣- العناية بقطاع التجارة

أي: تشجيع التجّار مع تشجيع ذوي الصناعات على ممارسة أعمالهم في سبيل خدمة الصّالح العام، كما نصّ الإمام أمير المؤمنين ﷺ فقال: **(ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَلَا يَجْتَرِءُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ)**[٣].

٤- القضاء على تضخّم الثروة

وذلك لأنّ تضخّم الثروات عند البعض يتسبّب في تكدّس الثروة وحجبها عن الحركة في السوق الاقتصادية ممّا يوجب شيوع البؤس ونشر الفقر، ولذلك تتمثّل مسؤولية الحاكم في هذا المجال، بتحديد التجارة وفق الحاجات الاجتماعية فيُعطي المشروعيّة لبعض طرق التجارة ويمنع الطرق الأخرى من ناحية؟.

ومن ناحيةٍ أخرى، يشدّد على عملية الاحتكار، التي تعني حبس المواد والبضائع التي تدخل في الحاجة الأساسية

(١) نهج البلاغة/ ص٣٤.

(٢) نهج البلاغة / شرح بن أبي الحديد - ج ٣ - ص ٨١.

(٣) العلّامة المجلسي - بحار الأنوار: ٣٣ / ٦٠٧ .

للاستهلاك البشري، من أجل الاستفادة والاسترباح الخاصّ على حساب معاناة الناس وحاجتهم، ممّا يتسبّب في استنزاف المجتمع ماديًّا ونشر الفقر والفاقة في أكبر رقعة من المجتمع، لذلك أكّد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على الحدّ من هذه الظاهرة حيث قال في عهده لمالك الأشتر:

(وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً وَشُحّاً قَبِيحاً وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله مَنَعَ مِنْهُ وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ)[1].

٥- معالجة الظاهرة الربويّة

وذلك لخطر هذه الظاهرة التي يتسبّب تفشّيها في نشر الفقر وإثارة البغضاء لما تسبّبه من النزاعات والصراعات، ولما في الرّبا من الظلم والتعدّي على حقوق الناس وامتصاص جهودهم وأكل أموالهم بالباطل، والانتهاء بهم إلى حالة الفقر والعجز التام.

ومنْ هنا بدأ الخبراء والعلماء الاقتصاديّون يدركون كما كان يُدرك المسلمون في صدر الإسلام من الحكمة في تحريم المعاملات الربويّة، لأنّها معاملة غير عادلة ولا تستند إلى مقياس إنساني وديني، لأنّ المُرابي ينطلق دائماً لخدمة مصالحه وإشباع نهمته الماديّة بلا حدود، ولم تهتزّ عواطفه الإنسانية لآلام ومعاناة الطبقة التي تضطرّها الظروف للاقتراض.

مع العلم أنّ قرض المال أفضل من الصدقة؛ لأنّ الصدقة قد يأخذها صاحبها وهو غير محتاج، ثمّ يصرفها فتفنى دونما مردود اقتصادي، أمّا القرض فإنّه يحرّك السوق اقتصاديًّا ثمّ يعود إلى المقرض ليدخل في حلّ أزمةٍ أخرى.

قال الصادق عليه السلام: (على باب الجنّة مكتوب: القرض بثمانية عشر، والصدقة بعشرة، وذلك أنّ القرض لا يكون إلّا في يد المحتاج، والصدقة ربّما وقعت في يد غير محتاج)[2].

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: (ألف درهم أقرضها مرّتين أحبّ إليّ منْ أن أتصدّق بها مرّة، وكما لا يحلّ لغريمك أنْ يمطلك وهو موسر، فكذلك لا يحلّ لك أن تعسره إذا علمت أنّه معسر)[3].

---

(١) العلّامة المجلسي - بحار الأنوار: ٣٣ / ٦٠٧ .

(٢) المصدر نفسه: ١٠٠ / ١٣٨ .

(٣) المصدر نفسه: ١٠٠ / ١٣٩

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ)[١].

فمن العجيب في الأمر، أنْ تتفشّى المعاملات الربويّة في واقعنا المسلم، ويتحوّل المحتوى الإنساني للقرض إلى محتوى ظالم متوحّش يلتهم الضعفاء ويقسو على المحتاجين، وبالتالي تنتج الكثير من المفاسد والأضرار، وتنزع الرّحمة من القلوب على المستوى الاجتماعي، وتؤدّي هذه المعاملات إلى تكدّس الثروة لدى طبقة خاصّة من المجتمع، وإلى تعطيل حركة التنمية الاقتصادية وتفشّي البطالة في الحياة الاجتماعية، مع الميل إلى ارتفاع الأسعار في المواد والخدمات العامة.

ومنْ أروع الأوصاف التي أعطاها القرآن الكريم للمرابين أنّهم أشبه بالمجانين الذين يتخبّطون في تصرّفاتهم وأعمالهم، بقوله تعالى: **(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**[٢].

فهم لا يميّزون بين ما يضرّهم وما ينفعهم؛ لأنّهم يفتقدون القاعدة الفكرية الصحيحة، ويعدمون المعرفة بأحكام التشريع العادلة، والمفاهيم الأخلاقية التي تهذّب علاقتهم بالمال والثروة، لذلك يشبّه أحدهم بالمصروع الذي فقد توازنه.

فهنا يسجّل لنا الإمام أمير المؤمنين ﷺ موقفًا عمليًّا، ويعرّفنا ما يجب على الحاكم الإسلامي من موقف تجاه هذه الظاهرة الخطيرة، وهو متابعة السوق الاقتصادية ومراقبة الخروقات والتجاوزات التي يرتكبها أولئك المتخبّطون.

عنْ أبي جعفر ﷺ قال: كان أمير المؤمنين عليّ ﷺ كلّ بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرّة على عاتقه وكان لها طرفان وكانت تُسمّى السيبة -السبية خ ل- فيقف على سوق سوق فينادي:

(يا معشر التجّار قدّموا الاستخارة، وتبرّكوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب واليمين، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الرّبا، وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)[٣].

---

(١) البقرة/ الآية: ٢٧٨ - ٢٧٩

(٢) البقرة/ الآية: ٢٧٥

(٣) العلّامة المجلسي - بحار الأنوار: ١٠٠ / ٩٤

البند الرابع: التناصح بين الحاكم والرّعيّة

قال ﷺ: (أيّها الناس، إنّ لكم عليّ حقّاً ولي عليكم حقّ، فأمّا حقّكم عليّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأمّا حقّي عليكم: الوفاء بالبيعة والنّصيحة في المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم)[١].

فقد حدّد الإمام أمير المؤمنين علي ﷺ العلاقة بين الحاكم والأمّة بعلاقة التناصح، على أساس معرفة كلّ منهما ما له من حقّ وما عليه من واجب، وأنّ الحقوق والواجبات متبادلة بين الحاكم والأمّة، وليس هناك ما يميّز الحاكم عن أيّ مكلّف من أفراد الأمّة، لذا يقدّم لنا في صدارة الحقوق المتبادلة بين الحاكم والأمّة هو: النّصيحة.

إذ نستوحي من النّصّ المتقدّم: أنّه يريد أنْ يغرس الشعور بضرورة التناصح بين الحاكم والأمّة، لأنّ الأمّة إذا تهيّبت من نصيحة الحاكم كان ذلك الصّمت خدعة له، وغشًّا لوظيفته، وخيانة للأمّة، لذا قال: ﷺ في موضعٍ آخر: (إنّ أعظم الخيانة خيانة الأمّة وأفظع الغشّ غشّ الأئمّة والسلام)[٢].

فهنا يفتح الإمام أمير المؤمنين ﷺ الطريق أمام أيّ فرد منْ أفراد الأمّة، ليقدّم ما يجول في نفسه، وما يخالج فكره من رؤية تتحرّك باتّجاه النّصيحة له، وكأنّه القاصر عن الوصول إلى الموقف الصحيح؛ لكيلا يدع الأمّة تذوب في شخصيّة الحاكم خوفًا منه، وتحفّظًا على مصالحها لديه.

لذا قال ﷺ في موضعٍ آخر: (فلا تكلّموني بما تكلّمون به الجبابرة، ولا تتحفّظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة)[٣].

أي: أن لا تهابوا لديّ منصبًا، أو مركزًا سياسيًّا، أو جاهًا، فيمنعكم عنْ مصارحتي بالحقّ ودعوتي إلى العدل، ولا تتحفّظوا على مصالحكم من الضياع، أو تخافوا أنْ أبادركم بالحدّة والغضب وعدم الرّضا عنكم.

(ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنّوا بي استثقالاً في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنّه من استثقل الحقّ أن يُقال له، والعدل أن يُعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ، أو مشورة بعدل، فإنّي لست بنفسي بفوق أن أخطئ)[٤].

وبهذا يُعطي الإمام علي ﷺ أبلغ درس للحاكم، لكي ينطلق للقبول والرّضا بما تقدّمه الرعيّة، منْ أعمق حالات

---

(١) نهج البلاغة: ١ / ٧٨

(٢) العلّامة المجلسي - بحار الأنوار: ٣٣ / ٥٢٩

(٣) المصدر نفسه: ٢٧ / ٢٥٣.

(٤) المصدر نفسه:٢٧ / ٢٥٣ .

التواضع لها، ومنْ أدقّ مواقع نقد الذات، والتّضحية بالمصالح والأنانيات، وأن يتنازل عن ذاته وموقعه في السلطة في سبيل إحقاق الحقّ وإبطال الباطل.

البند الخامس: كسب طبقة العامّة

قال الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: (إنّ سخط العامّة يجحف برضا الخاصّة، وإنّ سخط الخاصّة يُغتفر مع رضا العامّة)(١).

وعنه عليه السلام: (وجدنا بطانة السلطان ثلاث طبقات: طبقة موافقة للخير وهي بركة عليها وعلى السلطان وعلى الرّعيّة، وطبقة غايتها المحاماة على ما في أيديها، فتلك لا محمودة ولا مذمومة، بل هي إلى الذمّ أقرب، وطبقة موافقة للشرّ وهي مشؤومة مذمومة عليها وعلى السلطان)(٢).

فقد أكّد الإمام عليه السلام على الحاكم أنْ يفتح صدره متواضعًا لكلّ أبناء الأمّة، وأنْ يتحرّك في كسب الطبقة العامّة من الناس حتى ولو سخط خاصّتهم.

لذا كان الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يؤكّد على ولاته أنْ يتصرّفوا بدقّة ويستبعدوا من الخاصّة كلّ منْ ثبت فساده منْ قبل، وأنْ لا تصدّهم العلاقات والمجاملات والمداهنات، عنْ تطبيق العدل والمساواة، وعنْ مراعاة مصلحة الرّعيّة.

فجاء عنه عليه السلام -في عهده إلى مالك الأشتر-: (**إنّ شرّ وزرائك منْ كان للأشرار قبلك وزيرًا، ومنْ شَرَكَهم في الآثام، فلا يكوننّ لك بطانة، فإنّهم أعوان الأَثَمة وإخوان الظَّلَمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم ممّن لم يعاون ظالمًا على ظلمه، ولا آثمًا على إثمه، أُولئك أخفّ عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفًا، وأقلّ لغيرك إلفًا، فاتّخذ أُولئك خاصّة لخلواتك وحَفَلاتك**)(٣).

كما كان عليه السلام قد أنكر على عثمان بن عفان، وما انتهى إليه مصيره؛ لأنّه اعتمد على طبقة الخاصّة من الناس الذين لم يكونوا بمستوى المسؤولية، ممّا أدّى إلى تطويقه منْ قبل الجماعة التي حملها الشعور الثوريّ ضدّ الظلم.

فقد قال الإمام عليّ عليه السلام: (ما يُريد عثمان أن ينصحه أحدٌ! اتّخذ بِطانةً أهلَ غِشٍّ، ليس منهم أحدٌ إلّا قد تسبّب

(١) العلّامة المجلسي - بحار الأنوار: ٣٣ / ٦٠١

(٢) محمد الريشهري: ميزان الحكمة: ٤ / ٢١٣.

(٣) موسوعة الامام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ: ٥ / ١٠٦.

بطائفة من الأرض، يأكل خراجها، ويستذلّ أهلها)[١].

فبما أنّ الأمّة تنقسم إلى طبقتين: طبقة الخاصّة وطبقة العامّة، فإنّ الخاصّة من الناس: في نظر الإمام ﷺ أثقل الطبقتين على الحاكم منْ غيرهم، إذ غالبًا ما تتحرّك بهم نوازع الذات نحو نمط مرفّه من العيش في الحياة، في الوقت الذي يتحرّك الحاكم على ضوء مقاييس الحقّ والعدل والمساواة.

فوصفهم ﷺ بقوله: (وليس أحدٌ أثقل على الوالي من الرّعية مؤونة في الرخاء، وأقلّ معونة في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلّ شكراً على الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمّات الدهر، منْ أهل الخاصة، وإنّما عماد الدين وجماع المسلمين، والعدّة للأعداء: العامّة من الأمّة، فليكن صغوُك لهم وميلُك معهم)[٢].

أمّا العامّة من الناس في نظر الإمام ﷺ، يشكّلون الرّصيد والقاعدة الشعبية الدّاعمة للحاكم، ويختزنون في داخلهم عناصر القوّة والصّلابة والوفاء والقدرة على التّحمّل، فعلى الحاكم أن لا تأخذه في الله لومة لائم في إرضاء هؤلاء، والإصغاء إليهم، واحترام قضاياهم ومطالبهم، ولو على حساب الخاصّة.

البند السّادس: التّعايش مع الرّعيّة

قال ﷺ في موضعٍ آخر: (أأقنع من نفسي أن يُقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدّهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش)[٣].

وقال ﷺ: **(وَاحْفَظِ لله مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكِ وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ فَفَرِّغْ لِأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى الله يَوْمَ تَلْقَاهُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى الله فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ وَذَلِكَ عَلَى الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ وَاجْعَلْ**

(١) موسوعة الامام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ: ٤ / ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ٤ / ١٢٢

(٣) نهج البلاغة: ٢ / ٥٣.

لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لله الَّذِي خَلَقَكَ وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالْأَنَفَ)[1].

وقال عليه السلام: **(وَأَمَّا بَعْدُ فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ، وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ)**[2].

فقد دعا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الحاكم أنْ يكون على تواصل مع الرّعيّة، وأنْ يظهر معهم بين حين وآخر، ولا يتقوقع ويحتجب عنهم في موقع الرئاسة محاطًا بالحمايات والجند والحرس.

وقد ركّز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته على ما يترتّب على احتجاب الحاكم عن رعيّته من نتائج وآثار تتلخّص في ما يلي:

١- الاحتجاب يحرم طبقة من الناس حقوقهم، إذ إنَّ هناك من لا يستطيع الوصول بطلبه إلى الحاكم، وهم الضعفاء من الناس الذين تنظرهم عيون الناس باحتقار، وهم أحوج إلى الإنصاف، كما أنّ هناك المتقدّمين في السنّ ممّن لا حيلة لهم للوصول، أو قد يصعب عليهم نصب أنفسهم للمسألة.

٢- الاحتجاب شعبة من الضيق، بمعنى: أنّه يؤدّي إلى تفاقم المشاكل، وبالتالي تتعقّد الحياة، وتتراكم همومُها على الرعية لعدم المتابعة لوضع الحلول لهذه القضايا تباعًا.

٣- الاحتجاب يؤدّي إلى قلّة أو انعدام العلم بأحوال الرّعيّة، إذ تحتجب أخبارها عن الحاكم وقد لا تصل إليه مجريات أمورها إلّا عن طريق خواصّه ومحيطه من ذوي الأغراض الذين يتسلّلون إلى دوائر ومؤسّسات الدّولة، والذين يجدون في تزوير الأخبار وتغيير المطالب سبيلاً إلى الغايات والمآرب.

٤- الاحتجاب عن الرّعيّة يؤدّي إلى استبعاد ذوي الفضل وأصحاب الرأي من الناس الذين يمكن أن يستفيد الحاكم من حصافة رأيهم ومشورتهم، وقد تصل الحالة إلى تهميش وتحقير هذه الطبقة وتنفيرها وتقريب الخدم والجند الذين يحملهم التّملّق من أجل المصالح.

(١) روائع نهج البلاغة: ٨٨ / ٧ - ٨.

(٢) نهج البلاغة: ١٠ - ١٦ .

إذن على الحاكم أن يتعايش مع مشاكل الرّعيّة وقضاياها ومعاناتها، وأن يستمع إلى شكاواها، وأن لا يقتصر على ما يسمع وما يُكتب له منْ صحائف تحمل الشّكاوى، لأنّ بظهور الرّاعي لرعيّته إشعارًا لهم بأنّه يتّجه إليهم بتفكيره وأحاسيسه، وبذلك يعطف عليه قلوبهم ويشدّ إليه إحساسهم.

البند السّابع: التّواضع للرعيّة

قال عليه السلام: (واخفض للرعيّة جناحك، وألنْ لهم جانبك وآسِ بينهم في اللّحظة والنظرة والإشارة والتّحيّة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضّعفاء منْ عدلك والسلام)[1].

فقد قرّر الإمام علي عليه السلام بهذا النصّ، أنّ تواضع الحاكم للرّعيّة يمزّق ما بينه وبينهم منْ حاجز الخشية واليأس الذي لم يترك للطبقة المستضعفة من الرّعيّة طريقًا إلى نيل حقّها المشروع.

كما وضع الإمام عليه السلام أساسًا للحرّيّة والمساواة في حقوق الأمّة بالتعبير عنْ آرائها ووجهات نظرها من ناحية، وفي عرض مشاكلها وقضاياها التي تتطلّب الحلول من ناحيةٍ أخرى.

وهذا الأساس هـو: أنْ يساوي الحاكم بين أفراد رعيّته في حسن المعاملة، والتّواضع لهم على اختلاف طبقاتهم، وهو ممّا يزرع الثقة في نفس كلّ فرد للتعبير عن رأيه وعرض مشاكله وقضاياه.

(١) بحار الأنوار – للعلّامة المجلسي –:٣٣/ ٤٨٢ .

الإمام الصادق عليه السلام

شهـر شوال

- البقيع ونزول النصر الإلهي
- فريضة الخمس في زمن الغيبة عند الإمامين الصادقين عليهما السلام

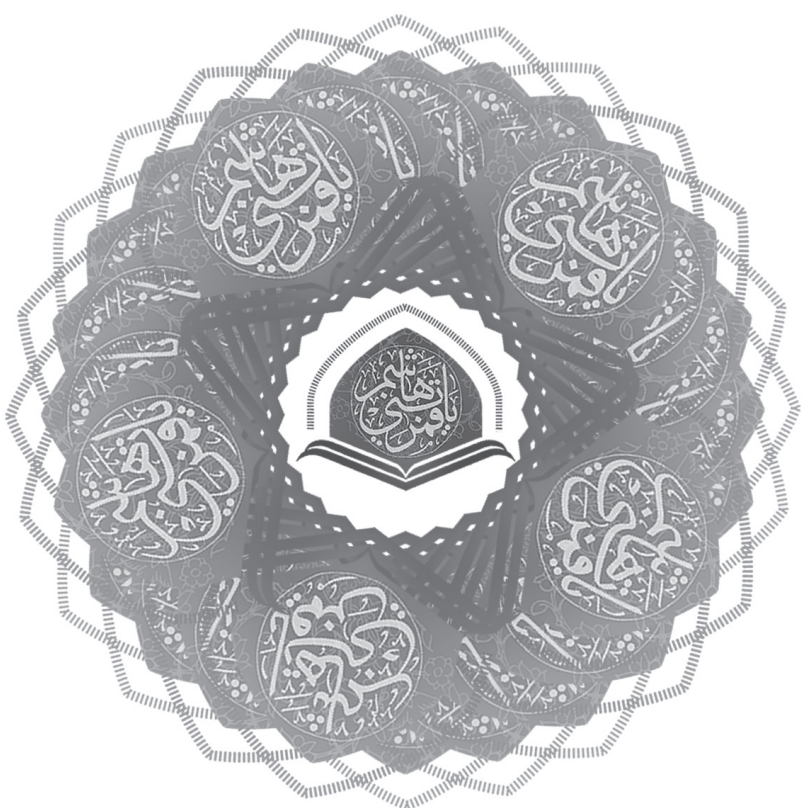

البقيع ونزول النصر الإلهي

الشيخ احمد كاظم

بسم الله الرَّحمن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قال لله -تبارك وتعالى- في محكم كتابه الكريم: (**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا . وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**)[١].

القرآن الكريم في آيات عديدة يصرّح، وفي آيات تأتي بالكناية لهذا المفهوم أنَّ النصر لا يكون إلَّا من عند الله -سبحانه-، قال -تبارك وتعالى-: في سورة الأنفال: (**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)[٢].

في ضوابط اللغة العربية يقولون قاعدة الاستثناء في سياق النفي يفيد الحصر، ومفاد هذه القاعدة أنّ الاستثناء بـ (إلَّا) يفيد حصر الحكم بشخص ذلك القيد المستثنى، مثل ما ورد من حصر النكاح: (**إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**)[٣]، وقد ورد في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: ماء البئر واسع لا يفسده شيء إلاَّ أن يتغيرّ ريحه أو طعمه، فينزح حتّى يذهب الريح ويطيب الطعم . وتترتّب على ذلك فروع كثيرة في الأخبار والوصايا وغيرها، كما أو أقرّ أو أوصى وقال: ليس لفلان عليّ مال إلا عشرة دراهم[٤].

إنَّ النصر من الله -تعالى- وإنَّ الخلق لو اجتمعوا على هزيمة شخص لا يستطيعون إذا أراد الله النصر لذلك الإنسان، ولأذكر لك بعض هذه الآيات:

يقول الله -عز وجل-: ﴿ **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾[٥]

---

(١) سورة السجدة/ الآية: ٢٤.

(٢) سورة الأنفال/ الآية: ١٠.

(٣) سورة المؤمنون/ الآية: ٦.

(٤) أنيس المجتهدين ٢: ٨٦٨

(٥) سورة آل عمران / الآية: ١٦٠

ويقول -تعالى-: ﴿وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾(١)

من هذه الآيات يتبين أن النصر بمفهومه الضيق، أو بمفهومه الواسع هو من عند الله وحده، وليس في الكون جهة يمكن أن تمنح النصر إلّا الله -تعالى- .

فالنصر لا يكون بالعدة والعدد، وإن كان يجب على الإنسان أن يقدّم كلّ المؤهلات التي تؤثر في النصر، (**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**)(٢) فالمؤمنون بمجموعهم مأمورون بإعداد العدة؛ ليواجهوا بها قوى البغي والكفر، وما استطعتم أي استنفاد الجهد، لا بذل بعض الجهد والقوة التي ينبغي أن يعدها المؤمنون جاءت نكرة ﴿ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ والتنكير يفيد الشمول، أي كل أنواع القوة، من هذه الأنواع قوة في العَدد، قوة في العُدد، قوة في التدريب، قوة في التخطيط، قوة في الإمداد، قوة في التموين، قوة في الاتصالات، قوة في المعلومات، قوة في تحديد الأهداف، بل إنَّ كلمة ﴿ مِنْ ﴾ تفيد استغراق أفراد النوع، جاءت القوة مطلقة؛ لأنَّ لكلّ عصر قوّة، ولكلّ قوة نوعية تتوافق مع طبيعة من يستعملها، ومع طبيعة البيئة التي تُستعمل فيها .

إنَّ النصر يحتاج الى مقدِّمات: أهمّها رفع موانع النّصر :

١ ـ معصية الله عز وجل :

وإذا قرأنا قوله -تعالى- :﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾(٣).

ويقول الله -عز وجل- :﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ**﴾(٤)

---

(١) سورة آل عمران / الآية: ١٣

(٢) سورة الأنفال/ الآية:٦٠.

(٣) سورة النور/ الآية : ٥٥

(٤) سورة هود/ الآية : ٦٣

٢ ـ عدم الافتقار إلى الله- تعالى-:

قال -تعالى-: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**﴾[١].

الإنسان حينما لا يفتقر إلى الله، ولا يخضع له، ولا يرى ضعفه، ويعتدُّ بقوّته وبماله، إنَّ هذا الاعتداد، يمنع عنه النصر.

٣ ـ الركون إلى الكفّار: قال تعالى :﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾[٢].

إذا ركنت إلى الكافر، وإلى عقيدته ومبادئه، وإلى قيمه، وإلى نمط سلوكه، وطريقة حياته، إلى عاداته، إلى تقاليده، إلى طريقة تعامله مع الأشياء، إذا ركنت إليه مسّتك النار، ثمَّ لا تُنصر .

٤ ـ عدم الاستسلام لأمر الله-تعالى-: ﴿**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾[٣].

من استقام على أمر الله نصره الله وقوّاه :﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٤].

سبل العلاج:

أوّلاً ـ فهم الدين كما يرتضيه الله -عز وجل-:

إنَّ أخطر اتجاه هو الاتجاه الانتقائي، أي -أن تأخذ ما يعجبك، وأن تهمل، وأن تهمّش ما لا يعجبك-، هذا الاتجاه الانتقائي يتوافق مع مصلحة الإنسان، ومع رغباته، ومع شهواته، فهو لا يعبد الله، ولكن يعبد ذاته، ولو أخذنا الفكر الوهابي اللذين هدموا القبور الشريفة نجدهم ضمن هذا الاتجاه الانتقائي فقد كانت ذريعتهم الكاذبة - ولا تزال - فيما أقدموا عليه أنَّ رسول الله ﷺ حرّم البناء على قبور الأولياء لئلا يتّخذهم المسلمون أربابًا من دون الله -تعالى- ولئلا يشركوا معه أحدًا من خلقه! سبحان الله! بل هو الكذب على رسول الله والتجرّؤ على شرع الله،

---

(١) سورة التوبة/ الآية : ٢٥

(٢) سورة هود / الآية: ١١٣

(٣) سورة الزمر / الآية: ٥٤

(٤) سورة الروم/ الآية: ٤٧.

والمسلمون يعرفون كيف لا يعبدون سوى بارئهم وخالقهم، كما يلتزمون بما أمرهم الله -سبحانه- من التوجه إليه عبر وسيلته حيث قال -عز من قائل-: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**[١]. وإن الوسيلة هم آل محمد -صلوات الله عليهم- بنص رسول الله ﷺ.

وعلماء شيعة آل محمد طالما أثبتوا لهؤلاء الناصبة أنَّ تعظيم مراقد أئمة الإسلام والصالحين إنَّما هو تعظيم لشعائر الله -تبارك وتعالى-، وأنّه لا محذور شرعيًّا فيه، بل هو مستحب، إلَّا أنَّ هؤلاء استشرى فيهم الحقد الأموي على محمد وأهل بيته ﷺ فاستمرّوا في غيّهم وجريمتهم إلى يومنا هذا، غير عابئين بمشاعر المسلمين كافَّة في أقطار الأرض!

فليأتوا بشهدائهم على أنَّ الله -تعالى- حرّم بناء مراقد أوليائه.. إنَّما هي أهواء الذين لا يؤمنون بالكتاب، ولا يؤمنون بما ينتظرهم من عذاب الآخرة.. وهم بربّهم يعدلون!

ألا وإنَّهم هم الذين ارتكبوا الحرام بفعلهم هذا!

ألا وإنَّهم هم الذين كفروا بفعلهم هذا!

ألا وإنَّهم هم الذين أشركوا بفعلهم هذا!

وإذا وقفت على ضعف ما استدل به القوم نتيجة اتجاههم الانتقائي على تحريم البناء على القبور، وسقوطه عن الاعتبار، فيجب عرض المسألة على الأدلة المحكمة الّتي لا يصحّ لأحد النقاش في اعتبارها وحجيتها . فإذا دلّت تلك الأدلة على الجواز، فلا محيص من طرح هذه الأحاديث الضّعاف، أو حملها على الكراهة، أو غير ذلك. وإليك بيان تلك الأدلة:

١- الكتاب والبناء على القبور

يظهر من الكتاب أنّ البناء على القبور، بل بناء المسجد عليها كان جائزاً في الشرائع السابقة، وأنّ الناس عندما وقفوا على قبور أصحاب الكهف، اختلفوا على قولين: فمن قائل: **(ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً)**[٢]، ومن قائل آخر: **(لَنَتَّخِذَنّ عَلَيْهِم مَسْجداً)**[٣]. والاستدلال بالآية واضح لمن يرى القرآن قدوة وأُسوة.

---

(١) المائدة/ الآية: ٣٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢١ .

(٣) سورة الكهف/ الآية: ٢١١ .

فإنّ القرآن ينقل كلا القولين، من دون أن ينتقدهما أو يعترض عليهما ويردع عنهما، بل الظاهر أنّه ينقلهما بصورة التحسين، وأنّ أصحاب الكهف بلغ بهم ثباتهم في طريق العقيدة إلى حدّ لما عثر عليهم الناس اجتمعوا على تكريمهم واحترامهم، بل التبرك بهم، فمن قائل بلزوم البناء عليهم. وآخر باتخاذ مراقدهم مسجداً، وليس القرآن كتاب قصة وأُسطورة، وإنَّما هو كتاب إرشاد وقدوة وإمام. فلو كانوا في عملهم هذا ضالين لعلق على قولهم بشيء أو عابه، كما هو الحال فيما ينقل عن المشركين، والكافرين، عملا، أو رأياً.

٢- السيرة المستمرة بين المسلمين

لم يزل الإلهيون من أهل الكتاب والمسلمين في قاطبة الأعصار يهتمّون بمقابر الأنبياء والأولياء بالبناء والتعمير، ثم التطهير والتنظيف، حتّى نرى أنّ كثيراً من المتمكّنين يخصّصون أموالهم ويوقفونها في هذا المجال. فهذه القباب الشاهقة، والمنائر الرفيعة، والساحات الوسيعة حول مراقد الأنبياء والأولياء، في مختلف البلاد شرقها وغربها، وهذا دليل قاطع على أنّ هذه السيرة كانت مرضية عن صاحب الشريعة وخلفائه وأصحابه، وإلّا كان عليهم رفضها وردّها بالبنان والبيان، والسلطة والقوة، فالسكوت في بعض الفترات ودعمها في بعض الأحايين أدلّ دليل على كونها سيرة مرضية. وقد وارى المسلمون جسد النبي الأكرم ﷺ في بيته المسقف، ولم يزل المسلمون مذ أن وِرِيَ جثمانه، على العناية بحجرته الشريفة بشتى الأساليب، وقد بنى عمر بن الخطاب حول حجرته جداراً وقد جاء تفصيل كل ذلك مع ذكر وصف الأبنية الّتي توالت عليها عبر القرون في الكتب المتعلقة بتاريخ المدينة، ولا سيما وفاء الوفاء للعلامة السَّمهودي والبناء الأخير الّذي شيّد عام قائم لم يمسه سوء، وسوف يبقى بفضل الله تبارك وتعالى محفوظاً عن الاجتراء. وأمّا المشاهد والقباب المبنية في المدينة في العصور الأُولى فحدّث عنها ولا حرج، ولا سيما في بقيع الغرقد، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتب التاريخ وأخبار المدينة .

إنّ سيرة المسلمين من عصر الصحابة إلى التابعين إلى تابعي التابعين، إلى عصرنا هذا أقوى حجة على الحكم الشرعي ـ فإنّ اتفاق العلماء في عصر و «إجماعهم على حكم» حجة شرعية عليه، فكيف اتفاقهم عليه طيلة قرون، ولا سيما الصحابة العدول .

فالصحابة واروا جسد النبي الأكرم ﷺ في بيته، ولم يخطر ببال أحد أن البناء على القبور محرّم، ولا أظن أنّ جاهلاً متنسّكًا يفرق بين البناء المتقدم على الدفن والمتأخر عنه، فضلا عن عالم، فإنّ كون قبر الميت تحت بناء تكريم له وتعظيم، والقوم يتلقونه شركاء لأنّه تعظيم لغير الله، فلا يفرق بين البناء على القبور أو دفن الميت تحت بناء . وليس هذا شيء ينكره أحد من المسلمين.

ثانياً: وجوب اقتران العلم بالعمل:

من سبل العلاج أيضاً إنَّ لله سنناً وقوانين لا تبدل، ولا تغير، ولا تعدل، ولا تجمد، ولا تلغى، ولا تطور، لابد من أن تقيم الإسلام في نفسك أولاً، وفي بيتك ثانياً، وفي عملك ثالثاً، حتى يرضى الله عنك، يمكن أن تكون لك ثقافة إسلامية، يمكن أن يكون لك اختصاص في الطب، والمريض لا يعنيه مدى التزام بأوامر الدين، يعنيه علمك فقط، في أية حرفة لا يعني التعامل معها إلا المعلومات، إلا في جانب الدين فلابد من أن تكون هناك مصداقية بين ما تقول و ما تفعل، حتى يكون ما تعلمته مثمراً.

ثالثاً: القيام بتحرك فاعل من أجل تصعيد القضية بمختلف الوسائل:

فتُصدر البيانات من كل جهة شيعية، وتُكتب المقالات في الصحف من كل قلم شيعي، وتُخصص البرامج التلفزيونية والإذاعية حول المناسبة من كل وسيلة إعلامية شيعية، وتُرسل الرسائل الاحتجاجية المليونية إلى مختلف المنظمات الدولية من كل فرد مكلّف شيعي، بل من كل نسمة شيعية، فإن السعي لإعادة تعمير بناء مراقد أئمتنا في البقيع هو اليوم واجب عين على كل مسلم.

رابعاً: إخلاص النية، ووضوح الهدف، ومصابرة الأعداء، والإكثار من الذكر والدعاء

التوجه إلى الله -سبحانه وتعالى- بالدعاء المتواصل والمستمر لأن يعجّل فرج إمام زماننا المهدي المفدى (صلوات الله عليه وأرواحنا فدى تراب نعليه) وأن يوفقنا لأن نكون من شيعته الممهدين لظهوره، وأن يجعل على يدنا إعادة بناء مراقد آبائه الطاهرين ﷺ، فإن الشرف كل الشرف أن يتحدث العالم غدًا عن أن هذا الإنجاز قد تحقق على يد شيعة هذه المرحلة الزمنية، وسيكون ذلك مفخرة لنا عند أبنائنا وأجيالنا اللاحقة، كما نفخر نحن اليوم بما صنعه آباؤنا وأجدادنا من الشيعة الأبرار في الدفاع عن ساداتنا الأئمة الأطهار ﷺ كما ينبغي للمؤمنين أن يكثروا من الدعاء على الظالمين النواصب، ، حتى يهلكهم الله كما أهلك فرعون ونمرود. .

خامساً: عدم التخاذل:

إنّ التخاذل عن نصرة البقيع الشريف هو تخاذل عن نصرة الدين، لقد تعبدنا بالحفاظ على مقام إبراهيم الخليل -عليه السَّلام- (**وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**)وهو موطئ قدميه الشريفتين وأمرنا الله -تعالى- بالصلاة خلفها،

كما تعبدنا باحترامه والمحافظة عليه وعلى المسعى تعظيماً لإبراهيم الخليل وزوجته هاجر وولدهما إسماعيل ﷺ، فكيف إذا كان المقام أعظم من مقام نبيّ الله إبراهيم ﷺ ومسعى زوجته هاجر عنيتُ بذلك الضرائح المقدسة لأهل بيت العصمة والطهارة ﷺ..؟!

لم تكن مظلومية الأئمة ﷺ المدفونين في البقيع في حياتهم فقط، وإنَّما مستمرة إلى وقتنا الحاضر، من خلال هدم قبورهم وحرمان شيعتهم من زيارتهم وهو ظلم واضح جلي، فيجب علينا في الوقت الحاضر أن نطالب ببناء قبور البقيع، بجميع الوسائل السلمية، والطلب من المنظمات الدولية والإنسانية للمساعدة في بناء الأضرحة المقدسة.

فريضة الخمس في زمن الغيبة عند الإمامين الصادقين عليهما السلام

السيد صباح الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِالله وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[١] صدق الله العلي العظيم.

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: « لا يحل لأحد أن يشتري من الخمس شيئًا حتى يصل إلينا حقُّنا»[٢]. وعنه عليه السلام قال: «سألته عن معادن الذهب والفضة والصفر والحديد والرصاص؟ فقال: عليها الخمس جميعًا »[٣]. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «سمعته يقول: «من اشترى شيئًا من الخمس لم يعذره الله، اشترى ما لا يحل له»[٤]. وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « كتبت إليه في الرجل يهدي إليه مولاه والمنقطع إليه هدية تبلغ ألفي درهم أو أقل أو أكثر هل عليه فيها الخمس؟

فكتب عليه السلام: الخمس في ذلك، وعن الرجل يكون في داره البستان فيه الفاكهة يأكله العيال إنَّما يبيع منه الشيء بمائة درهم أو خمسين درهمًا، هل عليه الخمس؟ فكتب: أما ما أكل فلا، وأمَّا البيع فنعم، هو كسائر الضياع[٥].

وعن زكريا بن مالك الجعفي، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سأله عن قول الله -عز وجل- : واعلموا أنَّما غنمتم من شيء فإنَّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل؟ فقال: أما خمس الله عزّ وجلّ فللرسول يضعه في سبيل الله، وأمّا خمس الرسول فلأقاربه وخمس ذوي القربى فهم أقرباؤه، واليتامى يتامى أهل بيته، فجعل هذه الأربعة أسهم فيهم، وأمَّا المساكين وابن السبيل فقد عرفت أنَّا لا نأكل الصّدقة، ولا تحل لنا فهي للمساكين

(١) سورة الأنفال/ الآية: ٤١.
(٢) وسائل الشيعة/ ٤٨٥.
(٣) المصدر نفسه / ٤٨٥.
(٤) المصدر نفسه/ ٤٨٥.
(٥) المصدر نفسه/ ٥٠٤.

وأبناء السبيل .[١] »

عن أبي عبدالله ﷺ قال: « أتى رجل أمير المؤمنين ﷺ فقال: إنِّي كسبت مالاً أغمضت في مطالبه حلالاً وحرامًا، وقد أردت التوبة، ولا أدري الحلال منه، والحرام وقد اختلط علي، فقال أمير المؤمنين ﷺ: تصدق بخمس مالك فإنَّ الله رضي من الأشياء بالخمس، وسائر المال لك حلال» [٢].

الخُمس فرض مالي محدّد بنسبة -الخُمس- يتعلّق بأنواع من المال، منها: غنائم الحرب، والمعادن، والكنز، والغوص، والمال الحلال المخلوط بالحرام، والأرض الذي يمتلكها الذّمّي من المسلم، وأرباح المكاسب كأرباح التجارة والرّاتب الذي يستلمه الموظف أو العامل وما شابهه.

ومما لا شكّ فيه دلالة الآية المباركة **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ)** على وجوب الخمس في زمن الغيبة في مطلق ما يستفيد منه الإنسان باعتبار أنَّ عنوان الغنيمة يراد به بحسب الاطلاقات اللغوية مطلق الفائدة، فكلُّ ما يستفيد منه الإنسان يعبَّر عنه غنيمة بحسب الاطلاقات اللغوية، ولا يختص ذلك بغنائم الحرب، ولذلك عندما تقول الآية المباركة: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ)** يعني المراد من الغنيمة الفائدة، فتكون النتيجة ما استفدتم من شيء فإنَّ لله خمسه، وكل فائدة يصدق عليها فائدة يتعلق الخمس بها، وهذا مما لا نزاع فيه بين فقهاء الإمامية -أعز الله تعالى كلمتهم، وأنار برهانهم، وخذل عدوّهم-.

إنَّ فريضة الخمس المباركة من ناحية أخرى تشكل نقطة من نقاط القوة المهمة لدى الشيعة الإمامية باعتبار أنَّها تشكّل الثقل الاقتصادي الذي يعتمد عليه أكبر كيان عند الشيعة المتمثّل بالمرجعية الدّينية المباركة، فلهذه الفريضة المباركة أهمّيّة كبيرة في استقلال المرجعية الدّينية المباركة بحيث أنَّها في مواقفها، وقراراتها لا تأبه بدولة، ولا حكم، ولا سلطة بل تتخذ تمام قراراتها ومواقفها غير عابئة بأيِّ ضغط من أيّ جهة كانت؛ لأنَّها تعيش تمام الاستقلال وهي كذلك، وإن لم يكن الخمس رافدًا لها لما يتمتع به علماء الطائفة -اعزَّ الله كلمتهم- من النزاهة التامة.

من هنا فإنّ أعداء المرجعية الدينية وأعداء التشيع إذا أرادوا أن يسدّدوا سهمًا لمراكز القوة عند الشيعة الإمامية فإنّهم يختارون الخمس كنقطة من نقاط القوّة. وتسمع بين الحينة والأخرى مجموعة من الشبهات التي تثار حول هذه الفريضة المباركة من أجل ضعضعتها، والتأثير على مكانتها في النفوس كيفما كان.

---

(١) وسائل الشيعة: ٥٠٩ .

(٢) المصدر نفسه: ٥٠٦ .

بعد هذا المدخل نحن نتعرض الى شبهتين أثيرت أخيرًا حول فريضة الخمس المبارك.

الشبهة الأولى: إنَّ الخمس بحسب الرّوايات مما أحلّه الأئمة الأطهار ﷺ لشيعتهم في زمن الغيبة، وبالتالي فإنَّ أخذ الخمس من الناس ما هو إلَّا تلاعب بأموال الناس.

وللذي يطرح هذه الشبهة نقول: من أين أنَّ الأئمةﷺ حلّلوا الخمس لشيعتهم في زمن الغيبة؟

يقول لك باعتبار الرّواية الواردة عن الإمام الحجة -عجل الله تعالى فرجه الشريف- وهو آخر الأئمة الطّاهرين ﷺ فإنّ هنالك توقيع ينسب لإسحاق بن يعقوب يقول فيه الإمام الحجة -عجل الله فرجه-: **فِي كِتَابِ إِكْمَالِ الدِّينِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِصَامٍ الْكُلَيْنِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَعْقُوبَ فِيمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْقِيعَاتِ بِخَطِّ صَاحِبِ الزَّمَانِ ﷺ أَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْمُنْكِرِينَ لِي إِلَى أَنْ قَالَ وَأَمَّا الْمُتَلَبِّسُونَ بِأَمْوَالِنَا فَمَنِ اسْتَحَلَّ مِنْهَا شَيْئاً فَأَكَلَهُ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ النِّيرَانَ وَأَمَّا الْخُمُسُ فَقَدْ أُبِيحَ لِشِيعَتِنَا وَجُعِلُوا مِنْهُ فِي حِلٍّ إِلَى أَنْ يَظْهَرَ أَمْرُنَا لِتَطِيبَ وِلَادَتُهُمْ وَلَا تَخْبُثَ»**[1] **وَرَوَاهُ الطَّبْرِسِيُّ فِي الْاحْتِجَاجِ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَعْقُوبَ .**

هذا التوقيع صادر عن الإمام الحجة -عجل الله فرجه- وهو خاتم الحجج وآخر الحجج، ويتحدث فيه عن المرحلة المستقبلية التي هي مرحلة الغيبة التي نعيش فيها، فالخمس حتى يظهر الإمام ﷺ قد حلل للشيعة، وهم غير مطالبين به بصريح هذه الرواية فمطالبة الشيعة بالخمس في زمن الغيبة تلاعب بأموال الناس.

والجواب عن هذه الشبهة بعدة أمور:

الأمر الأوّل: إنَّ هذه الرواية لم تثبت حجيتها، فلا يمكن رفع اليد عن الحجة بغير الحجة ما معنى ذلك؟

الآن نحن عندنا آية قرآنية قطعية الصّدور لا يشك بصدورها عن المشرّع، وظاهرة الدّلالة واضحة الدلالة على وجوب الخمس: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِالله وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**[2].

هذه آية قرآنية قطعية الصدور ظاهرة الدلالة على وجوب الخمس، وحينما تقول الخمس واجب بيدك حجة وهي الآية القرآنية، والآية القرآنية أيضًا الى جانبها عشرات الرّوايات وعشرات النّصوص التي تدلّ على وجوب الخمس فالشارع أقام علينا الحجة بأنَّ الخمس واجب.

(١) وسائل الشيعة/ ٩/ ٥٥٠.

(٢) سورة الأنفال/ الآية: ٤١.

وحينما تأتي وتريد أن تقول الخمس غير واجب تحتاج الى حجّة أخرى ترفع بها يدك عن الحجّة الأولى.

ثانيًا: هذه رواية إسحاق بن يعقوب حجة أو ليست بحجة؟

إنَّ سند هذه الرّواية ضعيف، إذ فيها إسحاق بن يعقوب الذي لم يذكره علماء الرجال بمدح، ولا قدح (مجهول).

فعندما تفتش عنه في كتب الرجال، والحديث، والتراجم فلا تصل الى نتيجة حاسمة فهل أنَّ هذا الرجل من الثقات فيعتمد على روايته، أو أنّه ليس من الثقات فلعلَّ هذه الرواية من المكذوبات؟

فلا تصل الى نتيجة حاسمة هنا باعتبار أنّ إسحاق بن يعقوب من المجاهيل فإذا كان مجهولاً لا يعلم هل هو ثقة يعتمد على روايته أو لعلَّه شخص كاذب لا يمكن الاعتماد على روايته.

فالرواية الواردة من طريقه لم تثبت لها الحجّيّة فكيف يصح لمتديّن ولمتشرّع أن يرفع يده عن الحجة بغير الحجّة؟.

ثالثًا: إنَّ هذه الرواية لو سلّمنا بحجّيّتها، وقلنا بأنَّ إسحاق بن يعقوب رجل ثقة وهذه الرواية صحيحة إلَّا أنَّ هذه الرواية عند التّأمّل لا تدل على حلّيّة الخمس في زمن الغيبة لأمرين:

الأمر الأوّل: الألف واللام في كلمة الخمس هل هي للجنس أو للعكس إذا تقول أنّها للجنس نعم، وأمّا الخمس فقد أحلّ لشيعتنا تتم دلالة الرواية، يعني جنس الخمس بجميع أصنافه وأنواعه أباحه الأئمة لشيعتهم، لكن يوجد احتمال قويّ، وهذا الاحتمال وارد؛ لأنَّ هذا الكلام وارد في التوقيع أنَّ هناك أسئلة مرفوعة للإمام ﷺ والإمام أجاب عنها، ووقَّع تلك الأجوبة باسمه الشريف وبختمه الشريف لذلك تُسمّى هذه الأجوبة تحريرية، ولكن أين أسئلتها، إذ لم تنقل إلينا وإنّما المنقول الأجوبة، وأمَّا الأسئلة التي سأل الراوي فيها الإمام أين هي؟ فلم تنقل وغير موجودة لذلك الإمام لمّا يقول: وأمَّا الخمس يعني الخمس الذي سألت عنه أنت أيّها الراوي، فهل الخمس الذي سأل عنه الرّاوي مطلق الخمس أو سأل الراوي عن قسم خاصّ من أقسام الخمس؟

فمحتمل أنَّ الرَّاوي سأل عن خمسه الخاص، والإمام حلّل الشيعة في ذلك الخمس الخاص فما دام اللام محتمل أن تكون عهدية، وحينئذ لا يمكن التّمسّك بالرواية لإثبات حلّيّة الخمس.

الأمر الثّاني: الرّواية مشتملة على تعليل، والعلماء يقولون التعليل يعمّم، ويخصّص، أي يرشدك إلى مسار الرّواية والمقصود من الرّواية، وما هو التعليل الوارد في الرّواية.

يفهم من ذلك أنَّ الخمس الذي حللوه مرتبط بالمناكح، وليس مطلق الخمس؛ لأنَّ الخمس الذي يكون مؤثّرًا

في طيب الولادة وخبثها هو خمس المناكح، وهو من جملة المسائل الابتلائية في زمن المعصومين ﷺ فمسألة الجواري والإماء اللاتي يحصل عليهنَّ المحارب خلال الحرب من ضمن الغنيمة تكون، فإن كانت من ضمن الغنيمة الحربية يتعلّق بها الخمس، ولو أنَّ الإنسان لم يدفع خمس الجارية، وتعامل معها كما يتعامل مع الزوجة وأنجبت له وِلدًا هذا يكون ولد حلال أو حرام؟

الجواب: يكون خبيث الولادة؛ لأنَّه ولد من جارية تعلق بها الحق الشّرعي، وهذه الجارية لا يجوز للمغتنم أن يستفيد منها حتّى يدفع الحقّ الشّرعي المتعلق بها، وإلَّا لا يجوز له التّصرّف، وإذا تصرّف وأنجب منها ولدًا كان الولد خبيث الولادة. والأئمةﷺ عالجوا هذه المشكلة وجعلوا أولاد الجواري طيّبي الولادة عن طريق تحليل الخمس لشيعتهم المتعلق بخصوص الجواري حتَّى تطيب ولادتهم، والتّعليل المذكور في الرّواية تعليل يوجّه الرواية نحو خصوص خمس المناكح، لا مطلق الخمس.

الإمامﷺ عندما يقول وأمّا الخمس فقد أبيح لشيعتنا وهم منه في حلّ إلى أن يظهر أمرنا ليس المراد مطلق الخمس، وإنَّما المراد خمس المناكح بقرينة ذيل الرّواية المشتمل على التّعليل.

إذن الخمس الذي أبيح للشيعة خصوص الخمس المرتبط بالمناكح، وهذه القضية في زماننا لا وجود لها. فلا يوجد عندنا جواري، ولا إماء حتى نقول الخمس المرتبط بهنّ قد أحلّ للشيعة أو لم يحل هذه القضية مرتفعة لا جواري ولا إماء.

ومختصر الكلام لعلَّ الخمس المشار إليه في التّوقيع كان نوعًا خاصًّا منه اقتضت المصلحة تحليله، كما يشعر بذلك التعليل بطيب الولادة، فلعلّه كان مرتبطًا بخمس الغنائم والجواري. ثمَّ لا دليل على حمل اللام على الاستغراق بعد كون جوابه ﷺ مسبوقًا بالسّؤال، والسّؤال غير مذكور ولا معلوم، فلعلَّ المسؤول عنه كان نوعًا خاصًّا من الخمس، واللام للعهد والإشارة إليه، وإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال كما يقولون.

رابعًا: إنَّ النّصوص المتعدّدة في أحكام الخمس التي وردت من قبل الأئمة ﷺ كافية في استفادة الأحكام الفرعية في مسألة الخمس زمن الغيبة، ولا توجد ضرورة في بيان هذه الأحكام من قبل الإمام المهديﷺ زمن الغيبة الصغرى مثل الأحاديث الواردة عن الإمامين الصادقين -صلوات الله عليهما- التي أردناها في بداية البحث.

خامسًا: إنَّ هذه الرواية وأمثالها من روايات التحليل معارضة بروايات صحيحة وقويّة تدل على وجوب الخمس في أرباح المكاسب. وأنَّ الأئمة ﷺ كانوا يطالبون به ويعينون وكلاء لهم في مختلف الأمصار لأخذه وأكثرها صادرة

عن الأئمة المتأخّرين عن الصّادقين كما يظهر لمن راجع أخبار خمس أرباح المكاسب.

الشّبهة الثانية: ما هو الدليل على وجوب دفع الخمس للفقيه أو وكيله في زمن الغيبة بحيث أنّه لا يجوز للمكلّف أن يتصرّف بالخمس من غير مراجعة الفقيه؟

وطبعًا الذي عنده خبرة في الدراسات الحوزيّة بمجرّد أن يسمع هذا الكلام يضحك؛ لأنَّه دليل عن جهل فاضح، فلمّا يأتيك واحد ويقول أتحدّى أن يأتيني أحد برواية تدل على ذلك، فقط هذا المقدار كافي للدلالة على أنَّ المتكلّم في غاية الجهل، وسأبيّن لك كيف أنَّ هذا المتكلّم في غاية الجهل.

نحن نعتقد أنَّ الخمس في زمن الغيبة سهمان سهم السادة -أعزهم الله تعالى- الذي جعله الله إكرامًا لهم وإجلالاً لهم عن الصّدقات، وسهم الإمام الذي يرجع للمعصوم ﷺ، وسهم السادة مختلف فيه يجوز التّصرّف فيه من غير مراجعة الفقيه أو لا؟

بعض الفقهاء يقول يجوز التّصرّف فيه من غير مراجعة الفقيه بل الأحوط استحبابًا مراجعة الفقيه.

وقسم آخر من الفقهاء يقول لا بُدّ من مراجعة الفقيه حتّى في السهم المرتبط بالسّادة وبعضهم عنده احتياط وجوبي، وكلامنا ليس في هذا السهم الذي هو محل كلام وإنَّما كلامنا في سهم الإمام الذي تتّفق الكلمة على بدّيّة الرجوع فيه الى الفقيه، والأخذ بإذنه في مجال التّصرّف.

ولإيضاح الإجابة لا بُدَّ من مدخلٍ صغيرٍ وخلاصته أنَّ الأدلّة التي يعتمد عليها الفقيه في مقام الاستنباط على قسمين: فهنالك أدلّة خاصّة تتناول موردًا مخصوصًا معيّنًا، وهنالك أدلّة عامّة تتناول موارد عديدة ولها طاقة استيعابيّة لمصاديق كثيرة جدًّا، والفقيه عندما يريد أن يستنبط حكمًا في بادئ الأمر يبحث عن الدّليل الخاص فإذا أعوزه الدليل الخاص وصلت به النّوبة الى الدليل العام، فمثلاً عندما يأتي الفقيه يريد أن يستنبط أنَّ السّجود على التّربة الحسينية المشرفة هل هو أمر مستحب أم لا؟ يأتي يبحث هل هناك دليل خاص؟ فيجد رواية تقول كان لأبي عبد الله ﷺ خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله ﷺ فكان إذا حضرت الصلاة صبه على سجادته وسجد عليه، ثم قال ﷺ: السجود على تربة الحسين ﷺ يخرق الحجب السّبع»[1].

وهذا دليل خاصّ والفقيه لا يحتاج أن يتمسّك، بحديث «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا» وما شاكل ذلك

(١) بحار الأنوار / ج ٨٢ / ص ١٥٣.

من الأدلة، إذ هذا دليل خاصّ يدلّ على استحباب السجود على التربة المشرّفة لكن أحيانًا الفقيه لا يجد دليلًا خاصًّا مثلا لما يأتي إلى مسألة أنَّ بناء الحسينيّات هل هو أمر مستحب وراجح أو لا؟

يأتي إلى الأدلة الخاصة، فلا يجد أدلّة خاصّة؛ لأنَّ مسألة الحسينيّات مسألة مستحدثة، وما كان لها وجود في زمن المعصوم، والشيعة كانوا يقيمون المآتم في بيوتهم، ومسألة الحسينيات استحدثت بعد ذلك، فلمّا يأتي الفقيه إلى الأدلّة الخاصّة لا يجد دليلًا خاصًا ولكن توجد هنالك أدلّة عامّة يستفيد منها الفقيه الاستحباب (ذلك ومن يعظّم شعائر الله) فهذا الدّليل له طاقة استيعابية، أن كل شعيرة دينية ينبغي تعظيمها ويرجح تعظيمها، وبناء حسينية يعتبر من شعائر الدين، فهل يوجب الدلالة على الدين أو لا؟

نعم شعيرة حسينية دينية فإذا كانت شعيرة حسينية دينية إذن يشملها الدليل العام(ذلك من يعظّم شعائر الله) فثبت أنَّ بناء الحسينيّات مستحبّ بالدليل العام الذي لديه طاقة استيعابيّة يشمل موارد ومصاديق كثيرة.

فالأدلة تارة تكون خاصّة، وتارة تكون عامّة، لذلك لا يأتيك واحد برواية واحدة تدل على وجوب الخمس وتسليمه إلى الفقيه، ويطالب بدليل خاص مع أنَّ الفقهاء يعتمدون أيضًا على الأدلة العامة، ومجرد هذه المطالبة تعرف أنَّ المتكلّم جاهل لا حظّ له من العلم ولا حظّ له من المعرفة، وهذه من الأبجديات الواضحة في الحوزة العلمية يدركها الصغار من الطلبة، فلمّا يأتيك شخصٌ يتحدّى بهذا التحدّي تعرف أنَّه جاهل مغرور، ولا حظَّ له من العلم والمعرفة.

بعد المدخل نأتي إلى مسألة هل عندنا دليل على وجوب دفع الخمس الى الفقيه واستئذان الفقيه في التّصرّف فيه؟ طبعًا هناك أدلّة عديدة مقرّرة في محلّها تدل على ذلك، لكن أنا هنا أكتفي بدليلٍ واحدٍ يمكن فهمه وإيضاحه، وهذا الدليل يتكوّن من مقدّمتين:

المقدّمة الأولى: إنَّ الخمس ليس ملكًا شخصيًّا للإمام وإنَّما هو ملك لمنصب الإمامة، يعني لما الإمام يتوفّى –صلوات الله وسلامه عليه– وينتقل الى دار كرامة الله الأخماس التي بيده تنتقل الى ورثته أو تنتقل إلى الإمام اللاحق؟ طبيعي تنتقل الى الإمام اللاحق، والورثة لا حظّ لهم في ذلك.

هذا معناه الخمس ملك منصب الإمامة ينتقل من إمام الى إمام وليس ملكًا شخصيًّا للإمام، لذلك لما يتوفّى المرجع الفقيه فأموال الخمس التي بيده أين تذهب، هل الى ورثته أم ترجع الى المرجع اللاحق؟

وبعبارة جامعة: إنَّ اختلاف الفقهاء في زمن الغيبة الكبرى في موارد صرف الخمس، لا يدل على وجود غموض

في المسألة، ولكن هناك عدّة آراء فهمها الفقهاء من النّصوص، وهذا الخلاف الفقهي كغيره من المسائل الفقهية الأخرى، لا يلزم على الإمام المهدي عليه السلام بيانه وإبداء الرأي فيه.

فإنَّ بعض الفقهاء فَهِمَ أنَّ الخمس هو حقّ شخصيّ (حيثية تعليلية) للإمام عليه السلام يجب المحافظة عليه، كما فَهِم ذلك الشيخ المفيد، وهذا أحد الآراء في المسألة، ولكن هناك رأي قويّ يقول أنّ الخمس ليس ملكًا شخصيًّا للإمام، وإنَّما هو لمنصب الإمامة (حيثية تقييدية)، أي أنَّه يستحق بسبب المنصب الإلهي ليدير به شؤون المسلمين، وهذا الحق بطبيعة الحال يسري الى الفقيه الجامع للشرائط، فيكون له حق التصرف في الخمس، ولابُدَّ من الإيصال إليه أو الدفع الى المستحقّين بإذنه؛ لأنَّ حيثيته تقييدية وليست تحليليّة.

المقدّمة الثانية: أنَّ الخمس نصفان: سهم إمام على صاحبه آلاف التحية والسلام، وسهم سادة؛ والخلاف القائم بين الأعلام قديمًا وحديثًا إنَّما هو في سهم الإمام -على صاحبه آلاف التحية والسلام وعجّل الله تعالى فرجه الشريف- وليس في سهم السادة، إذ لا خلاف بينهم في جواز توزيع سهم السادة على مستحقّيه من دون مراجعة الحاكم الشرعي أي الفقيه الجامع للشرائط....وذلك لعدّة أمور:

الأمر الأوّل: إنَّ النّصوص كاشفة عن أنَّ سهم السادة ملك خاصّ لهم من الله ورسوله وأهل بيته الطّيبين عليهم السلام، ولا يحتاج الإذن الخاص من الله تعالى ونبيّه وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام إلى الاستجازة من الحاكم الشرعي، بداهة أنَّ المجتهد العادل تابع في حكمه لله تعالى ولرسوله وأهل بيته ولا حكم له في مقابلهم وإلا صار مشرعًا في مقابل تشريع الله وحججه الطّاهرين عليهم السلام فيخرج بصاحبه من الإسلام، وليس حال هذا السّهم حال سهم الإمام عليه السلام الذي ليس ملكًا للفقراء من العوام بل هو حقٌّ خاصّ بأئمة الهدى عليهم السلام تنازلوا عنه للفقراء من شيعتهم الموالين لهم، فالبعض قال بوجوب الاستجازة من النائب عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام ولا سيّما الإمام الحجة القائم -عجّل الله تعالى بفرجه الشريف- حيث إنَّ الفقيه الورع ينوب عنه في الغيبة باستلام الحقوق الشرعية المنوطة بإذن الفقيه كما كانت منوطة بإذن الإمام عليه السلام في عصر الحضور، وهذا الاحتمال يعارضه احتمال آخر وهو جواز الصّرف بما يكون محرزًا لرضا الإمام عليه السلام حتى لو كان من دون استئذان من الفقيه الورع.

والملكية الخاصة في سهم السادة إما لكلّ واحدٍ من الأصناف الثلاثة الواردة في آية توزيع الخمس، كلُّ واحد منهم على حدة، أو للجامع الكلي للفقراء من السادة، فيوزّعه المالك عليهم... فقد ردّت الرّخصة بتوزيعه على الفقراء والمساكين من السادة فلا يحتاج إلى استجازة الحاكم الشرعيّ، لأنَّ الاستجازة منه فيها شيء من المذلّة وهو خلاف

إكرامهم لأجل كرامة أجدادهم الطاهرين ﷺ، والكرامة المخصوصة بالسّادة إنَّما هي للسادة الطّيبين السّائرين على هدي أجدادهم الطاهرين ﷺ لا المشكّكين بمقاماتهم وعلو درجاتهم، ولا المتنازلين عن مبادئ أجدادهم .

الأمر الثَّاني: الخُمس ينقسم على قسمين:

الأوَّل: الأسهم الثلاثة: حقُّ الله، وحقُّ الرسول، وذوي القربى، وأفتى مشهور فقهاء الإماميَّة بوجوب إيصاله إلى الفقيه الجامع للشرائط، وإن أفتى بعضهم بجواز تصرُّف المكلَّف بهذا الحقِّ في موارده المقرَّرة.

الثَّاني: الأسهم الثلاثة الأُخرى من الأيتام والمساكين وأبناء السّبيل من السادة من بني هاشم، وأفتى مشهور الفقهاء بجواز تصدّي المكلَّف بنفسه في صرف هذه الأسهم على فقراء السادة وأيتامهم ومساكينهم وأبناء سبيلهم، ومن يُفتي من الفقهاء بلزوم إيصال هذا الحقِّ إليه لا يعني استيلائه عليه، وإنَّما لصرفه في مورده المذكور، فهو يرى بحسب ما اقتضاه اجتهاده أنَّ من له حقُّ التصدّي والتصرُّف فيه هو الفقيه.

النتيجة: إنَّ دور الفقيه في لزوم إيصال الخُمُس إليه دور الإشراف والنظارة والحفظ والرعاية والأمانة على صرفه، وليس له حقُّ الاستفادة الشخصية منه، إذ لا يمكن أن يأخذ منه شيئًا ما لم يكن مصداقًا لأحد الأصناف المذكورة، وحتَّى لو كان مصادقًا لها فما يأخذه هو مقدار حاجته فقط حاله حال سائر المستحقّين، وهو ما عليه مشهور فقهاء الإماميَّة.

الأمر الثاني:

إنَّ الفقهاء يُمثِّلون مقام النيابة العامَّة عن الإمام ﷺ في زمن الغيبة الكبرى، ولهم عدَّة وظائف دلَّت عليها النّصوص والرّوايات:

الوظيفة الأُولى: وهي تبيين الأحكام الشرعية وتكميلها؛ ليتفاعل الواقع المتغيِّر مع غاية الدين الخاتم، فلابدَّ من افتراض وجود قاعدة تشريعية تتجاوب مع هدف الشريعة ومستجدّات الحياة وتُلبّي حاجتهم توازنًا بين الأصالة والعصرنة على نهج الوحي وامتداده، وهي المسمّاة بالقوَّة التشريعية في المصطلح الفعلي، نعم إنَّ الفارق الجوهري بين الإمام ﷺ والفقيه في هذه الوظيفة هو أنَّ الحكم الصادر من الإمام ﷺ حكم واقعي، وأمَّا الحكم الصادر من المجتهد فهو ظاهري يُخطئ ويُصيب. وقد دلَّ على ذلك جملة من النصوص والروايات، منها: ما ورد عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا درهمًا ولا دينارًا وإنَّما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظًّا وافرًا، فانظروا علمكم هذا عمَّن تأخذونه، فإنَّ فينا أهل البيت في كلِّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين

وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الفقهاء أُمناء الرُّسُل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل: يا رسول الله، وما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتِّباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم»[٢]، وقال صلى الله عليه وآله: «علماء أُمَّتي كأنبياء بني إسرائيل»[٣]، وقال صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ ارحم خلفائي، اللّهمّ ارحم خلفائي، اللّهمّ ارحم خلفائي»، قيل: يا رسول الله، ومن خلفاؤك؟ قال: «الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسُنَّتي»[٤]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به»، ثمّ تلا عليه السلام: «﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾»[٥]. وقال عليه السلام: «مجاري الُأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الُأمناء على حلاله وحرامه»[٦]، وفي الرواية عن صاحب الزمان (عجّل الله فرجه): «وأمَّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنَّهم حجَّتي عليكم، وأنا حجَّة الله»[٧]. وهذه النصوص فيها دلالة واضحة وجليَّة على أنَّ الفقهاء هم أُمناء الله ورُسُله على حلاله وحرامه، وبيدهم مجاري الأُمور والأحكام، وهم الحجَّة على الناس بعد الإمام عليه السلام.

الوظيفة الثّانية: القضاء والحكم (القوَّة القضائية).

وهذه الوظيفة قد أُعطيت إلى المجتهد بمقتضى قوله عليه السلام: «إنّي قد جعلته حاكمًا» في مقبولة عمر بن حنظلة، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل في رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، قال: «ينظران إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكمًا، فإنِّي قد جعلته عليكم حاكمًا، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنَّما استخفَّ بحكم الله، وعلينا ردَّ، والرادُّ علينا كالرادِّ على الله، وهو على حدِّ الشرك بالله»[٨].

---

(١) الكافي للكليني/ ج ١/ ص ٣١.
(٢) المصدر نفسه/ ج ١/ ص ٤٦.
(٣) بحار الأنوار/ ج ٢/ ص ٢٢.
(٤) المصدر نفسه/ ج ٢/ ص ١٤٤.
(٥) المصدر نفسه/ ج ١/ ص ١٨٢.
(٦) المصدر نفسه/ ج ٩٧/ ص ٨٧.
(٧) المصدر نفسه/ ج ٢/ ص ٨٩.
(٨) وسائل الشيعة/ ج ١/ ص ٣٤.

الوظيفة الثالثة: القوَّة التّنفيذية.

إنَّ الثابت أنَّ للأئمَّة ﷺ قيادة الأُمَّة وإدارة شؤون الدولة (القوَّة التنفيذية)، فالإمام ﷺ هو الذي يتحمَّل هذه الوظيفة من قِبَل الله وإن كان المشروع لم يصل إلى مرحلة التنفيذ إلَّا في فترة قصيرة، لكنَّه هل نصب الإمام ﷺ الفقيه لهذه المهمَّة أم لا؟ وبعبارة: هل للفقيه أن يتصدّى إلى غير مقام الفتوى والقضاء من الأُمور العامَّة؟

تفصيل الأُمور العامَّة: إن كانت الأُمور العامَّة التي يتوقَّف عليها حفظ النظام كمسألة نصب الأوصياء والقيِّمين على الصغار والقُصَّر، وهكذا في مسألة الأوقاف العامَّة التي لا يوجد لها ممثِّل معيَّن، وملاحظة مصلحة الطائفة والدفاع عنها من جميع الجهات فكريًّا واجتماعيًّا وتمثيلاً حقيقيًّا مشرفًا وعرضها بالصور الصحيحة في العرصات العالمية وإيجاد التّوازن بين أفرادها وسدِّ حاجاتهم، وهكذا الأُمور المسبَّبة التي لا يرضى الشارع بتركها كالدفاع عن أعراض المؤمنين وأموالهم.

فهذه الأُمور كلُّها إمَّا أن تثبت لعامَّة المؤمنين ويكون الفقيه أحدهم، أو تكون ثابتة لخصوص الفقيه لمعرفته بالأحكام الشرعية، وحيث إنَّه تتوفَّر في الفقيه صفات غير متحقِّقة في غيره من جهة مقامه العلمي الشرعي وهدوئه وورعه وتهذيب نفسه وعدم تكالبه على الدنيا وعدم وقوفه على أبواب السلاطين والظلمة، كلُّ ذلك يقتضي إناطة هذه الأُمور الخطيرة به دون غيره، أمَّا في غير ذلك فلا بدَّ من مراجعة أدلَّة النيابة التي قد ذُكِرَ بعضها فهل تعمُّهُ أم لا؟

وعلى هذا ففي غيبة إمامنا (عجّل الله فرجه) يلزم إيصال الأسهم الثلاثة الأُولى للفقيه الجامع للشرائط بكونه النائب العامّ عن الإمام، وإنَّ الخُمُس حقٌّ للمنصب كما تقدَّم.

ومجرَّد الشكِّ في جواز التصرُّف بهذا الحقِّ بدون إذنه ﷺ كافٍ في استقلال العقل بلزوم الاستئذان منه؛ للزوم الاقتصار في الخروج عن حرمة التصرُّف في ملك الغير على المقدار المتيقَّن من إذنه ورضاه هو حالة الاستئذان فقط، وعليه فإيصاله للفقيه الجامع للشرائط الذي ثبتت نيابته العامَّة يُحرَز من خلاله إبراء الذمَّة.

أنيس النفوس
عليه السلام

شهر ذي القعدة

- الإمام الرضا عليه السلام وتأكيد مبدأ حياة الإنسان بعقيدته

الإمام الرضا عليه السلام وتأكيد مبدأ حياة الإنسان بعقيدته

محسن علي

الإنسان حياته وموته بمعتقده، فالعقيدة تشكل جوهر الإنسان، وحقيقته، والباري -عز وجل- شرائعه السماوية وأنبياؤه ورسله وأولياؤه وكتبه السماوية كلّها تبتدئ بالعقيدة وتنتهي بالعقيدة، فالإنسان يعيش بعقيدته، ويموت، ويحشر بعقيدته.

ولذلك نرى القرآن الكريم يصف الذين لا اعتقاد لهم بالأنعام بل هم أضل؛ لأنَّ الإنسان الذي لا يحمل عقيدة شكله إنسان، لكن واقعه كالبهيمة، يأكل ويشرب وينام وينكح ثمّ يموت، قال -تعالى-: (**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**)[1] ولم يقتصر سبحانه على تشبيه الجهال بالأنعام، حتى جعلهم أضلّ سبيلاً منهم، وقال -سبحانه-: (**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**)[2]..... فحياته حياة عبثية، ووجوده عبثي فيكون حكمه حكم البهيمة؛ لأنَّ إنسانية الإنسان وحقيقته بعقيدته الصحيحة؛ فالعقيدة هي التي تصنع من الإنسان إنسانًا، وتنظم أفكاره وسلوكه الشخصي، وحتّى الأنظمة الاجتماعية والسياسية كلّها تدور حول محور العقيدة، بل وحتى السلوك النفسي ينبعث عن تلك العقيدة، وعلاقاته ومواقفه وأفكاره وموازينه الشخصية أو الاجتماعية أو السياسية .

حتى العالَم الذي يخضع لأنظمة سياسية متعددة مختلفة الاتجاهات مختلفة المذاهب والطرق والأساليب كلها تدور على محور العقيدة.

العالَم لا يعيش في فراغ من هذه الجهة، فكلّ نظام سياسي، وكلّ نظام اجتماعي، وكلّ مجتمع توجد فيه عقيدة تحكمه، فتارة تكون صائبة، وتارة تكون ضالة خاطئة، وهذه حقيقة .

أضرب لكم مثالين في تأثير العقيدة على الواقع:

المثال الأوّل: العالم اليوم يضج بالحروب، والنزاعات خصوصًا البلاد الإسلامية حروب طاحنة بين أبناء المسلمين،

(١) سورة الفرقان/ الآية: ٤٤.

(٢) سورة الأنفال/ الآية: ٢٢.

ومن وراء هذه الحروب الغرب، فالغرب هو منشأ هذه الحروب وسببها، فتارة تلبس هذه الحروب ثوب الحرب العسكرية مجموعة من الإرهابيين يدعمهم ويحميهم ويوفّر لهم غطاءً سياسيًّا وقانونيًّا، ويعبثون بالبلاد والعباد، وتارة تلبس ثوب القانون والشرعية. والمعروف أنَّ هذه المجموعة من الأنظمة السّياسية والحكومات الفاسدة، والحكّام الجاهلين، يتأمرون على المسلمين، وينهبون ثروات بلادهم، ويقتلون العلماء، والمفكرين، ويطردون المخالفين للرأي، ويرموهم بالسجون، ويقتلوهم. وتارة تتحول إلى حرب فكرية؛ فتأتي هذه الأنظمة الغربية بمجموعة من الأحزاب والفئات الضالة، ويزرعوهم بالمجتمع المسلم؛ لأجل تمزيق هذا المجتمع وتشويش الحقيقة عليه، وتضييع العقيدة الحقة.

هذه القضايا واضحة للعيان، فتجد النفاق واضحًا، فهو من جهة أخرى يلبس ويتزين بزي الحضارة، وأنّه عالَم متحضِّر، وعالَم يحمل فكراً، وعنده قوانين وأنظمة وتعليمات يلتزم بها، وعنده مؤسّسات، ومنظمات حقوقية ترعى حقوق الإنسان، ويدعو الى الحوار والى التفاهم، ويدعو الى وحدة الشعوب وتنسيق الجهود والأعمال بين البشر، ومن جهة أخرى يزرع الحروب بينهم، حروب عرقية، طائفية، دينيّة، فهو نفاق ما بعده نفاق يأتي بالحرب الى بلادنا ويجعل الشباب في حيرة من أمرهم في بلادهم، بلا أمل، بلا عمل، بلا مستقبل واضح، وبعد ذلك يفتح أبوابه للهاربين من ذلك الظلم والاضطهاد .

لذلك بعض المؤرّخين ومحللي الرّوايات يقولون بأنَّ هذه الروايات الواردة في الأعور الدّجّال تنطبق على الغرب، لأنَّ الغرب دجال في سياسته وأعور أيضا لأنَّه يرى الأمور بمنظارٍ واحد فقط، ومنظاره هو المادة والمصلحة عندما تحلل لماذا الغرب صيّر بلادنا ألعوبة؟

هنا آراء وتحليلات متعدِّدة، بعضهم يقول مصالح اقتصادية سيطرت على النفط وسيطرت على أسواق وأشبه ذلك، وبعضهم يرجع المسألة إلى المصالح السياسية صراع النّفوذ، والسيطرة على القرار السياسي في العالم والتحليل والتدقيق في أسباب ذلك إنّما يعود في جوهره للعقيدة، فالغرب باتجاهيه المسيحي واليهودي يدرك هذه حقيقة أنَّ الإسلام هو الحق، وأنَّ دين الإسلام هو دين الله، وأن شريعته هي الوحيدة القادرة على تمثيل الأحكام الإلهية على الأرض(**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ**)[1] ومستقبل البشرية الى الإسلام مهما يحاول أصحاب القرار السياسي -المسيح واليهود- أن يشوهوا هذه الحقيقة لكن المستقبل هو الإسلام.

---

(١) سورة آل عمران/ الآية: ١٩.

إنَّهم بكلّ أساليبهم لن يقدروا أن يعرقلوا المسيرة، ويؤخّروا النتيجة فقط.

إذن العقيدة أساس الدنيا كلّها، فالحرب، والسلام، الرفاه، والتعاسة، تقوم على هذا الأساس.

المثال الثاني: في التاريخ جماعة ناصبوا العداء لرسول الله ﷺ ولأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وقتلوهم، وشرّدوهم، وعذّبوهم بدافع العقيدة، فكان بعضهم يحلّل العقيدة بعدم الإيمان بالله اليوم مثل أبي سفيان والحزب الأموي، أبو سفيان ما كان يعتقد بالنّبوّة، بل كان يعتقد بملك وسلطان ولعب ولهو، قال للعباس بن عبد المطلب لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا، فالمسلمون كانوا يجاهدون ويعطون الدماء والأموال لأجل سلطة وليس لأجل دين وآخرة، فكم يوجد تفاوت في النظرة للمعتقد بين الطرفين ؟

في تفسير قوله تبارك وتعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)**[١] روى القمي بسنده عن الإمام الجواد عليه السلام أنَّ رسول الله ﷺ أخذ من المسلمين عقودهم وعهودهم في عشرة مواطن، بالخلافة لعلي عليه السلام، فنزل قوله تبارك وتعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)** التي عقدتم عليها في إمامة علي في خلافة علي[٢] لكن ما الذي حدث؟ نقضوا هذه العهود، وداعي النقض حينما تحلّله تجد جوهره ولبّه العقيدة، من عاهد عليًّا ووفى بعهده نتيجة معتقد، ومن نقض هذا العهد وحاربه وقتله وقتل أتباعه، هذا معتقد، وهذا في كلمات زعمائهم صرّحوا به، حتى أحدهم قال كرهت قريش -على تعبيره- أن تجتمع فيكم النبوة والإمامة.

الله -عز وجل- يريد النّبوة والإمامة تجتمع في بيت، فكرهوا ذلك وحاربوهم، وقتلوهم، وشرّدوهم، ولا يزالون على هذا النهج، يصرّحون من المسجد الحرام أنَّ شيعة أهل البيت أشر من اليهود، ويجب قتلهم، ويجب استباحة أعراضهم وسلب أموالهم وغير ذلك، وأنَّ خطر الكيان الصهيوني أقل من خطر الشيعة؛ لتشيّعهم لأهل البيت عليهم السلام. فهل يوجد عداء أكثر صراحة من هذا ؟

لذلك المستفاد من الأدلة الشرعية أنَّ العقيدة في الإنسان مساوقة لحياته، والإنسان مع عقيدة صحيحة يكون حيًّا في دنياه وأخراه، وانسان مع عقيدة ضالة ميّت ولو كان يمشي في الأسواق، ويأكل الطعام .

لذلك ينبغي التّأكيد على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إنَّ العقيدة جوهر حياة البشر ولا ينبغي للمجتمع المسلم أن يغفل عن هذه الحقيقة، ولا تخدعه

---

(١) سورة المائدة/ الآية: ١.

(٢) تفسير القمي / ج ١ / ص ١٦٠.

السياسات والأفكار الضالة بأنّها حضارة وثقافة مع أنّها أكاذيب يكذّبها الغرب على المسلمين ليجعلهم ألعوبة.

إنَّ المجتمع الذي ينخدع بالغرب ولا يهتم بعقيدته مصيره الظلام والفقر.

الأمر الثاني: أخذ العقيدة الصحيحة من العيون الصافية؛ لأنّ في هذه الأيام سوق العقائد رائجة في الليل والنهار. والدّجل والكذب والزيف والخداع منتشر، ولا ينبغي للإنسان المؤمن أن يسلّم نفسه، ويسلم عقله لكلّ من هبَّ ودبَّ، لكلّ من صاح ونادى، ولا ينبغي أن تغرّه المظاهر، والأشكال، والعناوين، والشعارات، ويجب أن يأخذ العقيدة الحقيقية الصحيحة من العلماء الرّبّانيين وإلّا صار من ضمن الأموات.

الأمر الثّالث: لا بد من الاهتمام -ولا سيما أصحاب القرار الديني، وأصحاب القرار السياسي- من جعل العقائد الصحيحة ضمن مناهج التعليم منذ التعليم الأول مرورًا بمراحل التعليم المتعددة حتى يتخرج الطالب في الجامعة؛ كي يتربّى جيل على عقيدة صحيحة، خالية من الزيف والتحريف .

إنَّ المسلمين إذا أرادوا أن يحرّروا بلادهم وينقلوها من الهيمنة الغربية ومن أكاذيب الغرب وشرك الغرب، فلا بُدَّ أن يحرّروا عقائدهم أولًا، ويبنوا أجيالهم على العقيدة الصحيحة الصافية.

لأنَّ العقيدة الصحيحة هي التي تبني إنسانًا كاملاً صالحًا، صحيح الفكر، والسلوك، والمواقف، ويشعر بالواجب، ويؤدّي المسؤولية، له حقوق، وعليه واجبات، فهي التي تصنع الحكومات والأنظمة وكل الوزارات المرتبطة بتعليمه.

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام :في قوله تعالى: **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**[1]. عباد الله هذا قصاص قتلكم لمن تقتلونه في الدنيا وتفنون روحه، أَوَلا أنبئكم بأعظم من هذا القتل، وما يوجب [الله] على قاتله مما هو أعظم من هذا القصاص؟ قالوا: بلى يا بن رسول الله.

قال: أعظم من هذا القتل أن تقتله قتلاً لا ينجبر، ولا يحيى بعده أبدا.

قالوا: ما هو؟

قال: أن تضلّه عن نبوة محمد وعن ولاية علي بن أبي طالب -صلوات الله عليهما- وتسلك به غير سبيل الله، وتغريه باتباع طريق أعداء علي عليه السلام والقول بإمامتهم ودفع علي عن حقّه، وجحد فضله، ولا تبالي بإعطائه واجب

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٧٩.

تعظيمه.

فهذا هو القتل الذي هو تخليد هذا المقتول في نار جهنّم، خالدًا مخلّدًا أبدًا، فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود في نار جهنم.[١]

في رواية أخرى ما هو أكبر وأعظم من هذا، أعظم من حيث أنَّها فصلت المراد . قال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام إنَّ رجلا جاء إلى علي بن الحسين عليهما السلام برجل يزعم أنه قاتل أبيه، فاعترف، فأوجب عليه القصاص، وسأله أن يعفو عنه ليعظم الله ثوابه فكأنّ نفسه لم تطب بذلك، فقال علي بن الحسين عليه السلام للمدّعي للدم الولي المستحق للقصاص: إن كنت تذكر لهذا الرجل عليك فضلاً فهب له هذه الجناية واغفر له هذا الذنب. قال: يا ابن رسول الله له عليّ حق ولكن لم يبلغ أن أعفو له عن قتل والدي. قال:

فتريد ماذا؟ قال: أريد القود (٢)، فإن أراد لحقه على أن أصالحه على الدّيّة صالحته وعفوت عنه، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: فماذا حقّه عليك؟ قال: يا ابن رسول الله لقّنني توحيد الله ونبوّة محمد رسول الله، وإمامة علي والأئمة عليهم السلام، فقال علي بن الحسين عليهما السلام:

فهذا لا يفي بدم أبيك؟ بلى والله هذا يفي بدماء أهل الأرض كلّهم من الأوّلين والآخرين سوى الأنبياء والأئمة عليهم السلام إن قتلوا، فإنّه لا يفي بدمائهم شيء أن يقنع منه بالدّيّة.

قال: بلى، قال علي بن الحسين للقاتل: أفتجعل لي ثواب تلقينك له حتى أبذل لك الدية فتنجو بها من القتل؟ قال: يا ابن رسول الله أنا محتاج إليها، وأنت مستغنٍ عنها ذنوبي عظيمة، وذنبي إلى هذا المقتول أيضًا بيني وبينه لا بيني وبين وليّه هذا، قال علي بن الحسين عليهما السلام: فتستسلم للقتل أحب إليك من نزولك عن هذا التلقين؟ قال: بلى يا ابن رسول الله. فقال علي بن الحسين لولي المقتول: يا عبد الله قابل بين ذنب هذا إليك وبين تطوله عليك، قتل أباك حرمه لذّة الدنيا وحرمك التّمتّع به فيها، على أنّك إن صبرت وسلّمت فرفيقك أبوك في الجنان، ولقنك الإيمان فأوجب لك به جنة الله الدائمة وأنقذك من عذابه الدّائم، فإحسانه إليك أضعاف أضعاف جنايته عليه، فإمّا أن تعفو عنه جزاءً على إحسانه إليك لأحدثكما بحديث من فضل رسول الله صلى الله عليه وآله خير لك من الدنيا بما فيها، وإما أن تأبى أن تعفو عنه حتى أبذل لك الدّيّة لتصالحه عليها، ثم أخبرته بالحديث دونك فلمّا يفوتك من ذلك الحديث خير من الدنيا بما فيها لو اعتبرت به. فقال الفتى. يا ابن رسول الله: قد عفوت عنه بلا ديّة ولا شيء إلا ابتغاء وجه الله ولمسألتك في

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام/ ص ٥٩٧.

أمره....[١]

يستفاد من هذه الروايات أنَّ العقيدة هي حقيقة الإنسان الحي، فالعقيدة هي التي تصنع إنسانًا، هي التي تكمل الإنسان في فكره وفي مواقفه حتى في أنظمته الاجتماعية والسياسية.

لقد ركّز الإمام الرضا -صلوات الله عليه- تركيزًا كبيرًا على العقيدة، وكانت له مناظرات علماء أهل العراق وخراسان في فضل، وكان يركز على منابع العقيدة الحقّة:

المعارف الحقة

قام الإمام الرضا عليه السلام ببيان المعارف الحقّة في أصول الدين وفروعها، من التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، مضافاً إلى فلسفة الأحكام وعِلَلِها، وذلك بعد ما سنحت الظروف بعض الشيء لنشر علوم آل محمد -صلوات الله عليه-.

عن الفضل بن شاذان[٢] قال: سأل المأمون علي بن موسى الرضا عليه السلام أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار، فكتب عليه السلام له:

إنّ محض الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهًا واحدًا أحدًا، فردًا صمدًا قيّومًا، سميعًا بصيرًا قديرًا، قديمًا قائمًا باقيًا، عالمًا لا يجهل، قادرًا لا يعجز، غنيًّا لا يحتاج، عدلاً لا يجور، وأنّه خالق كل شيء، وليس كمثله شيء، لا شبه له، ولا ضدّ له، ولا نِدّ له، ولا كفء له، وأنّه المقصود بالعبادة والدعاء والرغبة والرهبة..

وأنَّ محمّدًا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، وأمينه وصفيه، وصفوته من خلقه، وسيّد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل العالمين، لا نبي بعده، ولا تبديل لملّته، ولا تغيير لشريعته، وأنَّ جميع ما جاء به محمد بن عبد الله هو الحق المبين، والتصديق به وبجميع من مضى قبله من رسل الله وأنبيائه وحججه..

والتصديق بكتابه الصادق العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وأنّه المهيمن على الكتب كلها، وأنّه حق من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصّه وعامّه، ووعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، وقصصه وأخباره، لا يقدر أحد من المخلوقين أن يأتي بمثله..

وأنَّ الدليل بعده والحجّة على المؤمنين والقائم بأمر المسلمين والناطق عن القرآن والعالم بأحكامه أخوه وخليفته

(١) بحار الأنوار / ج ٢ - ص ١٣

(٢) من أصحاب الإمام الرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام، إمامي ثقة فقيه مكثر في الحديث متكلم جليل القدر.

ووصيّه ووليّه، والذي كان منه بمنزلة هارون من موسى علي بن أبي طالب ﷺ أمير المؤمنين، وإمام المتّقين، وقائد الغر المحجّلين، وأفضل الوصيين، ووارث علم النبيين والمرسلين، وبعده الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي باقر علم النبيين، ثم جعفر بن محمد الصادق وارث علم الوصيين، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم الحجة القائم المنتظر -صلوات الله عليهم أجمعين- أشهد لهم بالوصية والإمامة، وأنَّ الأرض لا تخلو من حجة الله -تعالى- على خلقه في كلّ عصر وأوان، وأنّهم العروة الوثقى، وأئمة الهدى، والحجّة على أهل الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأن كل من خالفهم ضال مضل باطل تارك للحق والهدى، وأنّهم المعبّرون عن القرآن والناطقون عن الرسول ﷺ بالبيان، ومن مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية، وأن من دينهم الورع والعفة، والصدق والصلاح، والاستقامة والاجتهاد، وأداء الأمانة إلى البر والفاجر، وطول السجود، وصيام النهار، وقيام الليل، واجتناب المحارم، وانتظار الفرج بالصبر، وحسن العزاء، وكرم الصحبة..[١].

العدل وصفات الله-تعالى-

عن إبراهيم بن أبي محمود[٢] قال[٣]: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الله عزوجل هل يجبر عباده على المعاصي؟ فقال ﷺ: لا بل يخيرهم ويمهلهم حتى يتوبوا.

قلت: فهل يكلف عباده ما لا يطيقون؟

فقال ﷺ: كيف يفعل ذلك؟ وهو يقول (وما رَبُّكَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ) [٤] ثم قال ﷺ: حدثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: من زعم أنَّ الله تعالى يجبر عباده على المعاصي أو يكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته ولا تقبلوا شهادته ولا تصلّوا وراءه ولا تعطوه من الزكاة شيئاً[٥].

وعن إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا ﷺعن قول الله عزوجل: **(وتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ)**[٦] فقال ﷺ: إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنّه متى علم أنهّم لا يرجعون عن

(١) راجع بحار الأنوار: ج١٠ ص٣٥٢ ـ ٣٥٩.

(٢) من أصحاب الإمام الكاظم والرضا والجواد ﷺ، إماميٌّ ثقةٌ دعا الإمام الرضا والجواد ﷺ له بالجنة، بل ضمنها له الجواد ﷺ.

(٣) في بداية الحديث مسائل أخرى يسألها عن الإمام الرضا ﷺ، ثم قال: وسألته..

(٤) سورة فصلت/ الآية: ٤٦.

(٥) الاحتجاج: ج٢ ص١٩٧.

(٦) سورة البقرة/ الآية: ١٧.

الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف، وخلى بينهم وبين اختيارهم.

قال: وسألته عن قول الله عزوجل: (**خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ**)[١]؟

قال عليه السلام: الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم كما قال عزوجل: (**بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاّ قَلِيلاً**)[٢]، [٣].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال الراوي ـ وهو الحسن بن علي الوشاء ـ: سألته فقلت: الله فوّض الأمر إلى العباد؟ فقال عليه السلام: الله أعز من ذلك، فقلت: فجبرهم على المعاصي؟ قال عليه السلام: الله أعدل وأحكم من ذلك، ثم قال عليه السلام: قال الله عز وجل: يا ابن آدم أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي، عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك[٤].

عِلمه تعالى

عن الحسين بن بشار[٥] عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: سألته أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟

فقال عليه السلام: إنَّ الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء، قال عزوجل: (**إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**)[٦] وقال لأهل النار: (**وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ**)[٧] فقد علم عزوجل أنّه لو ردّوهم لعادوا لما نهوا عنه، وقال للملائكة لما قالت: (**أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها ويَسْفِكُ الدِّماءَ ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ**)[٨] فلم يزل الله عزوجل علمه سابقًا للأشياء قديماً قبل أن يخلقها، فتبارك الله ربّنا وتعالى علوًّا كبيرًا، خلق الأشياء كما شاء، وعلمه بها، سابق لها كما شاء، كذلك ربّنا لم يزل عالمًا سميعًا بصيرًا[٩].

إنَّ من أهم ما قام به الإمام الرضا عليه السلام هو تثبيت العقيد ونشر فضائل النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، فإنّهم

(١) سورة البقرة/ الآية: ٧.
(٢) سورة النساء/ الآية: ١٥٥.
(٣) الفصول المهمة: ج١ ص٢٣٧- ٢٣٨.
(٤) الكافي: ج١ ص١٥٧.
(٥) إمامي من أصحاب الإمام الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام، ثقة.
(٦) سورة الجاثية/ الآية: ٢٩.
(٧) سورة الأنعام/ الآية: ٢٨.
(٨) سورة البقرة/ الآية: ٣٠.
(٩) تفسير نور الثقلين: ج١ / ص٥٣.

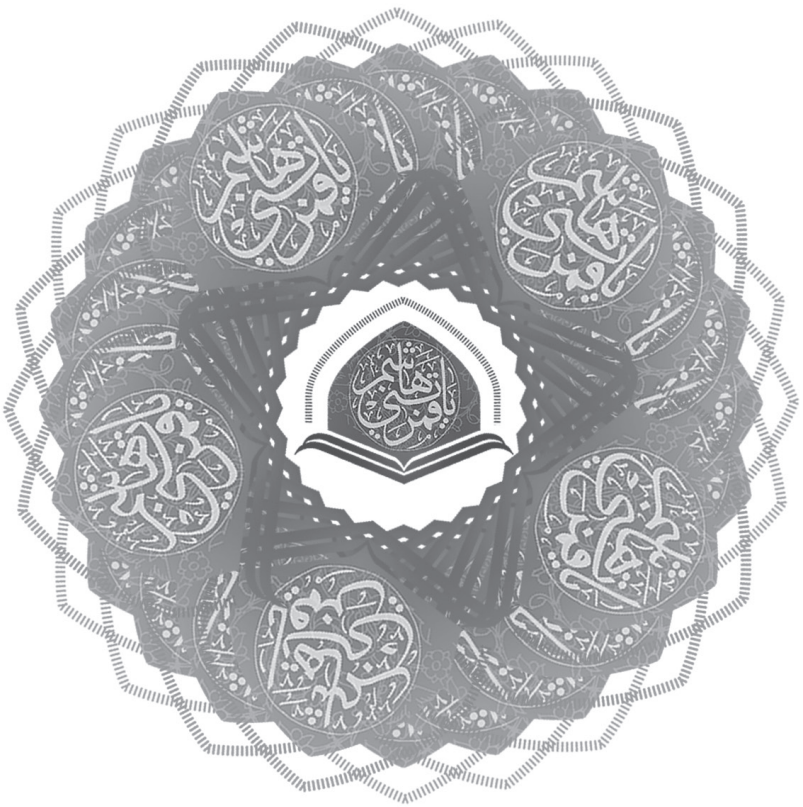

الحج والعمرة لله

شهـر ذي الحجة

- الحج وعي ومقاصد

الحج وعي ومقاصد

الشيخ محمد محفوظ

في كلِّ عام تتجدد شعيرة الحج، وتشرئب أعناق وأفئدة الملايين من المسلمين من كلِّ بقاع الأرض نحو البقاع المقدَّسة، ويدعون الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقهم حج بيته الحرام في عامهم هذا .. وكلّما اقترب موسم الحج، تضاعف الدعاء والرجاء من الباري -عزّ وجلّ- أن يوفّق المؤمنين للإتيان بفريضة الحج ..

وتؤكِّد تجارب المداومين على الاتيان بفريضة الحج، أنَّه مهما كانت صعوبات الحج، إلَّا أنَّ حلاوته وفوائده الجمة هي التي تدفعهم إلى المجيء كلَّ عام.. وكلُّنا يعلم أنَّ هذه الفريضة هي مدرسة إسلامية متكاملة في مختلف جوانب الحياة بالنسبة إلى الإنسان المسلم، كما أنَّها بمثابة المؤتمر العام السنوي لجميع المسلمين بمختلف بقاعهم ولغاتهم، حيث يجتمعون ويؤدّون مناسكهم، ويتداولون أخبار وأحوال بعضهم البعض، وتختزن شعائر الحج الكثير من القيم والمبادئ التي يحتاجها الإنسان المسلم في حياته.

في ضيافة الله -تعالى-:

قال تعالى: **(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)**[1].

الحج من الفرائض الهامَّة في الإسلام، وهو من أعظم المواسم العباديّة التي يحتشد فيها المسلمون من كلِّ بقاع الدنيا. لهذا فإنَّ المؤدّي لهذه الفريضة المقدَّسة يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، وتستجاب دعوته، ويكتب له بكلِّ عمل ثواب عظيم . وفي فريضة الحج خلاصة جامعة لأصول الإسلام كلِّها. وحينما يتوافد المسلمون إلى مناسك الحج والعمرة، تتضح حقيقة التّنوّع القائمة والشاخصة في حياة المسلمين. حيث تتعدّد الألوان والقناعات، وتتنوّع الميولات والمنهجيّات، ولكن صدر مكة الواسع، ورحابة بيت الله الحرام، تحتضن الجميع وتصون حرماتهم جميعًا . فمكة المكرمة هي كالأم بالنسبة إلى المسلمين بكلِّ تنوّعاتهم وتعبيراتهم. فكما تتعدّد ميول وأفكار وطرق الأبناء

(١) سورة آل عمران/ الآيتان: ٩٦-٩٧.

في الحياة، والأم تتعامل معهم على حدٍّ سواء، وترى في تنوّعهم جمالًا كأغصان الشجرة الواحدة، وعاطفة الأمومة وحنانها يستوعب ويظلل الجميع، كذلك مكة المكرمة . وهذا ما شعرت به نفسيًّا وعقليًّا خلال المدَّة التي قضيتها في رحاب مكة وبيت الله الحرام في الأعوام الماضية التي توفقت فيها للحج أو العمرة. فأنت تهاجر من موطنك تاركًا، أهلك، ومالك، وجاهك، وحتى ثيابك، وتأتي ربَّك في بيته؛ لتؤكّد على وحدانيته وعلى الخضوع له، بكلِّ ما للخضوع من معنى، وأنت في رحاب بيت الله الطاهر، لا يفارق الذكر شفتيك صلاة ودعاءً وقراءة للقرآن. إنَّها حقًّا فرصة العمر التي لا تعوّض. حيث الغذاء العقلي والمعرفي الذي لا يعوّض، ويزيد من مدارك الإنسان ووعيه، والغذاء الروحي حيث إنَّك في أقدس بقعة في الكون، وكلُّها مليئة بالرموز والمضامين التي تزيد الإنسان طاعة لله وإخلاصًا له. فمكة المكرمة بكلِّ رموزها وفرائضها، طاقة روحية، وما أحوج ما تكون الأمة اليوم إلى هذا الزاد الروحي، الذي يزيل عن القلوب الأدران والأغلال، ويهذّب النفوس ويطهّرها من أوساخ الدنيا. فمكّة المكرمة تعطي للإنسان ما لا تعطيه أيَّة بقعة جغرافية أخرى، إنَّها تعطيه الأمن والطمأنينة وحضور القلب، وتمدّه بعبق التاريخ وعنفوانه. لهذا تتأكّد الحاجة العلميّة والدّينيّة للعمل على صياغة قواعد علمية لتأسيس ما يمكن تسميته بعلم الحج. ولا يخفى على أحد أهمية بذل الجهود في هذا السبيل.

وإنَّ الاطلاع على ما كتبه العلماء والدّعاة والأدباء في هذا السياق يجعلنا نعتقد: أنَّ الأبحاث والدراسات المتخصّصة، قد تمكّنت من تأسيس مدخلٍ مهمٍّ وأساسيّ لبناء علم جديد بالإمكان أن نصطلح عليه بعلم الحج، فالحقيقة الكبرى التي حاولت الأبحاث أن تعمقها في العقول والنّفوس، هي أنَّ مكة المكرمة هي مدينة القيم والمبادئ، ودورها ورسالتها الدائمة في الحياة، هي التذكير الدّائم بهذه القيم والمبادئ ليس للمسلمين فحسب، بل للإنسانية والعالم كله، فكما أنَّ في جسم الإنسان مركزًا تلتقي فيه كلُّ الأعضاء، ويقوم بتوجيهها نحو القيام بوظائفها، كذلك هي مكة المكرمة، فهي عاصمة العواصم، ومدينة المدن ورسالتها هي أنَّها مركز الإشعاع، ومنبر الهداية، وضمير العالم الذي يوقظ فيهم حسّ المسؤولية وواجب التعاون.

واليوم أكثر من أيّ وقتٍ مضى، تتحمّل مكة المكرمة بعمقها الدّيني والرّوحي مسؤوليتها التاريخية لضبط نزعات الغلو والتّطرف، وغرس قيم المحبّة والسلام، وصيانة الحقوق والتّبشير بكلِّ المثل الأخلاقية التي تعزّز من فرص التَّنمية، والسَّلام، والازدهار.

ولا ريب أنَّ شعيرة الحج من الشَّعائر الإسلامية الكبرى، التي تتكرر كلَّ عام، ويتّجه فيها المستطيعون إلى رحاب

بيت الله الحرام.

وهذه الشعائر الإلهية لها جانبان أساسيّان:

الجانب الأوَّل: الجانب العبادي المتعلّق بالإتيان بكلِّ أعمال الحج من لبس إحرامٍ إلى تلبيةٍ، وطوافٍ، وسعيٍ، ورميٍ للجمرات .. وهذه الممارسات العبادية المطلوبة لذاتها، ولا يمكن لأي قاصدٍ إلى الحج إلَّا الإتيان بهذه الأعمال حتَّى يتحقّق مفهوم الإتيان بشعيرة الحج.

الجانب الثاني: مجموع القيم والمقاصد التي تختزنها شعائر الحج وممارساتها العبادية المختلفة.

ولعلَّ من أهم هذه القيم التي تختزنها شعائر الحج، هي قيمة التّوحيد .. فالقوَّة المطلقة في الكون والحياة، هي قوَّة الباري -عزّ وجل-، وعلى الإنسان المسلم أن ينعتق ويتحرّر من كلِّ الضّغوطات التي تحول دون تحقيق مفهوم العبادة الخالصة لله -عز وجل- .

ولا ريب أنَّ في حياة المسلمين المعاصرة، الكثير من صور الإكراهات والضغوطات التي تحول دون وحدانية الخالق -سبحانه وتعالى-، والمطلوب انطلاقًا من قيم الحج ومقاصده الربانية، التّحرّر من الشرك السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يمنع بشكلٍ أو بآخر من تحقيق وحدانية الله -سبحانه وتعالى- في حياة المسلمين المعاصرة .

فشعيرة الحج وفق هذا الجانب، هي جسر العبور للانعتاق من إكراهات الحياة والالتحاق بركب الصّالحين الموحّدين لله -عز وجل- والمتحرّرين من كلِّ إكراهات الواقع.

فالحج هو مدرسة التوحيد والتّحرر من كلِّ أشكال الشّرك الذي يحول دون الإخلاص في توحيد الله -عز وجل- وعبادته.

يقول الإمام علي عليه السلام: **(وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً فَرَضَ حَقَّهُ وَأَوْجَبَ حَجَّهُ وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ، فقال**

سبحانه (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)[١].

الله-سبحانه- مركز الوجود:

وفي مناسك الحج تستشعر معاني الرحمة الإلهية، بحيث يستقر في وعي المؤمن الحاج ووجدانه أنَّ كينونته الوجودية وكينونة ما حوله من المخلوقات والموجودات، إنَّما تستمد وجودها ووجهة سيرها من الخالق الأحد الفرد الصمد .. وكلُّ أعمال الحج ولحظاته هي محاولة لاستذكار هذه الحقيقة .. فالله -سبحانه وتعالى- هو مركز الوجود، وشعائر الحج جاءت لتذكير الإنسان الدائم بهذه الحقيقة وبضرورة الالتزام بكلِّ مقتضياتها التشريعية والعملية والسلوكية.

وتزداد أهمّيّة هذه المعاني، حينما يتخلّى الحاج عن كلِّ نزعاته الدهرية والدنيوية، وينطلق لشعائر الحج وهو منزّه من تلك النزعات ومبرّأ من كلِّ الأغلال التي تحبس الإنسان في أناه، بحيث لا يرى إلَّا ذاته .. فالحج هو خروج من ربقة الأنا، وتحرر من نزعات المادة والدنيا، وانعتاق من ربقة العلائق الدنيوية التي تفرق بين الناس لاعتبارات دنيوية محضة .. وبطبيعة الحال حتى لا يعيش الحاج حالة الفصام النكد بين الدين والدنيا، يذكّرنا الباري -عز وجل- أنّه لا جناح علينا أن نلتمس مصالحنا الدنيوية حين الانتهاء من مناسكنا .. إذ يقول -تعالى-: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ)[٢].

الانفتاح على قيم الإسلام:

وفي شعيرة الحج، ينفتح الحاج على كلِّ قيم الإسلام وتشريعاته، وتكون قيمة التوحيد ووحدانية الخالق -سبحانه وتعالى-، هي القيمة المركزية، وكل شعائر الحج لتذكير الإنسان بهذه القيمة .. وإنَّ الله -سبحانه وتعالى- هو القادر والمنعم، فهو الأوَّل والآخر، ومهما أوتي الإنسان من قدرة وطاقة فهي من الله -سبحانه-، فلا يمكن للإنسان أن يخرج من ربقة عبوديته لله -تعالى-، والعبودية الحقّة للباري -عز وجل-، هي التي تمنح الإنسان قدرة على الانعتاق من كلِّ إكراهات الحياة الدنيا .. فالإنسان الذي يزداد عبودية وإخلاصًا لله -تعالى-، هو الإنسان القادر على ممارسة حرّيّته والانعتاق من كلِّ الأغلال الدّاخلية والخارجية، ومن يبحث عن ممارسة حريته سواء كان فردًا أو جماعة، بعيدًا عن مفهوم العبودية لله -تعالى-، فإنَّه لن يحصد إلَّا الكثير من عناصر الخضوع لعناوين أخرى، تعيق حرّيّته، وتعوقه

(١) سورة آل عمران/ الآية: ٩٧ .

(٢) سورة البقرة/ الآية: ١٩٨.

عن ممارسة ما يتطلّع إليه إنسانيًّا وأخلاقيًّا وحضاريًّا .. من هنا فإنَّ شعائر الحج، ومنذ الخطوات الأولى للحاج وهو يغتسل ويلبّي إلى آخر شعائر الحج، هي مدرسة التوحيد وتعويد النّفس للخضوع للأوامر الرّبّانية .. فمهما واجهتك من صعوبات، وأنت تؤدّي أعمال ومناسك الحج، تذكّر أنَّ صعوبات الحياة ومشاقها لا يمكن أن تنسيك ذكر الله وضرورة خضوعك لنواميسه في الوجود الإنساني .. فالحجّ يزيدنا انعتاقًا من الدنيا، وقربًا من الله، والتزامًا بتشريعاته .. وعلى الحاج في كلِّ لحظات رحلته المقدَّسة، أن يتذكّر الخالق -سبحانه وتعالى-، وأن يداوم على ذكره، ويستغفره من كلِّ ذنوبه الخاصَّة والعامَّة.

لهذا فإنّ شعيرة الحج، هي شعيرة لتطهير النّفس من كلِّ الأدران والأمراض، ولكي تكون خيارات الإنسان العامَّة خاضعة إلى ما يريده الله -سبحانه وتعالى- من الإنسان.

فالحج رحلة إلى الله في كلِّ لحظاتها وأوقاتها، وعلى الحاج أن يستذكر ذلك باستمرار، ولا ينشغل بأيّ أمرٍ آخر .. وإنَّ هذا الزّاد الرّوحي الذي يتزوّد به الإنسان، وهو يؤدِّي شعيرة الحج، هو الكفيل الذي يعصم الإنسان من ارتكاب الذّنوب أو العودة إلى مسار الشّقاء بمعصية الله -سبحانه وتعالى-؛ لأنَّ الحاج الحقيقي هو الذي يشعر بمعنى العبودية لله-تعالى-، بحيث تخضع كلُّ جوانح الإنسان وجوارحه للخالق -سبحانه وتعالى-.

الأوامر الرّبّانية ومصلحة الإنسان:

وتعلّمنا توجيهات الإسلام ومبادئه الأساسية، أنَّ كل ما يأمرنا الله -سبحانه وتعالى- به، فهو يشتمل على مصلحتنا في الدنيا والآخرة؛ لأنَّ حياتنا الحقيقية في التزامنا بقيم الإسلام، وتوجيهات الرسول الأكرمﷺ وأئمة الهدىعليهم السلام. يقول -تبارك وتعالى-: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)**[1].

لذلك نجد الباري -عز وجل- يحدّثنا في كتابه الكريم عن بيته العتيق إذ يقول -تعالى-: **(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا)**[2] فالجعل الإلهي أن يكون هذا البيت هو مقصد الناس في كلّ أزمنتهم، ويمارسوا شعائرهم الدينية فيه، وهم بأمنٍ؛ لأنَّ الله -تعالى- جعل البيت آمنًا ورحابًا للسلام بكلِّ ما تعني هذه الكلمة من معنى ..

وفي موقع آخر يقول -عزّ من قائل-: **(وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا)**[3] فليس لأحد أن يعتدي على أحد في بيت الله الحرام

(١) سورة الأنفال/ الآية: ٢٤ .

(٢) سورة البقرة/ الآية: ١٢٥ .

(٣) سورة آل عمران/ الآية: ٩٧ .

.. وتبقى الصلاة بكلِّ رموزها ومخزونها الروحي هي محور هذا البيت .. فكما صلى النبي إبراهيم عليه السلام في هذا البيت واتخذه مصلّى، فتعالوا إلى الصَّلاة إلى البيت ومن خلاله، فهي المعراج الرّوحيّ للإنسان المؤمن .. يقول تعالى: **(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ* وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)**[1].

وحينما ينفتح قلب الإنسان مع الله، فإنَّه يدعو ربّه للثبات على الإسلام، ويعمل من أجل أن تكون كلُّ ذرّيّته على هدى الإسلام، ويطلب من العلي القدير أن يريه المناسك والفروض العبادية المتعلّقة بالبيت العتيق. قال تعالى: **(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)**[2].

ولعلَّ هذه هي إحدى صور التَّسليم المطلق لله –سبحانه وتعالى–، فليس لنا أن نتردد في تطبيق أوامر الله وأوامر رسوله؛ لأنَّها هي سبيل نجاتنا في الدنيا والآخرة. قال تعالى: **(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)**[3].

ويحدثنا الله –سبحانه وتعالى– في آياته عن أعمال الحج وعمّا ينبغي للناس أن ينطلقوا به، ويؤكِّد –سبحانه وتعالى– في مسألة الحج عن نقطة أساسيّة هي الخلاصة لكلِّ أعمال الحج وهي ذكر الله –سبحانه وتعالى–، فإنَّ الله –سبحانه وتعالى– أراد للناس أن يخرجوا من الحج بنقطتين، إحداهما نتيجة للأخرى (ذكر الله، وتقوى الله)، لاحظوا قوله –تعالى–: **(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)**[4]. والرّفث كناية عن العلاقة الجنسية (ولا فسوق) والمراد كل فسق سواء بسبّنا بعضنا البعض أو بغير ذلك (ولا جدال في الحج) يعني الجدال طبعًا في غير الحق، الجدال الذي يتحرّك ليثير العداوة والبغضاء والتعقيدات وما إلى ذلك؛ لأنَّ الله–تعالى– أراد للحج أن يكون فرصة سلام لا

---

(١) سورة البقرة/ الآيات: ١٢٥، ١٢٨ .

(٢) سورة البقرة/ الآية: ١٢٨.

(٣) سورة الأحزاب/ الآية: ٣٦ .

(٤) سورة البقرة/ الآية: ٩٧.

أن يكون مناسبة يمكن أن تثير البغضاء بين الناس: (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ) حتَّى لا يشعر الإنسان أنَّ هناك خيرًا يفعله يمكن أن يضيع عند الله: (**أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى**)[١].

(**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**)، ففي الحج كما في غيره يريد الله للإنسان أن يجعل زاده في الحياة الدنيا الذي يحمله إلى الآخرة والذي يرتفع بمكانته عند الله هو التقوى؛ لأنَّها الزاد الذي يحقّق لك السعادة في الدنيا والآخرة، والله يخاطبنا بعد أن يُبيّن لنا حقيقة التقوى وقيمتها بقوله: (**وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**)[٢]، وهذه كناية تعني يا أولي العقول، لأنَّ عقل الإنسان يقوده إلى التقوى ويقوده إلى ما فيه نجاته ومصلحته.

ثم يقول: (**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ**) فلا مانع من أن تنتفع ماديًّا هناك بما لا يشغلك عن حجّك وعن عبادتك (**فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**) أن تذكر الله عند المشعر الحرام بحيث يكون وجودك هناك مملوءًا بذكر الله-تعالى-، وأن تذكر الله في قلبك وأن تذكر الله في إحساسك وأن تذكر الله في عقلك، وأن تذكر الله بلسانك (**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**) يعني اذكروه شاكرين له على أساس نعمة الهداية (**وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ**) بحيث يشعر الإنسان بأنَّ نعمة الهداية هي في الإيمان وفي توحيد الله وهي النعمة الكبرى التي لا بُدَّ أن يذكر الإنسان ربه عندما يتذكره بالشكر (**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ**)[٣] (**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)[٤] ولا تنشغلوا في الحديث الذي يتعلّق بأموركم الشخصية أو بلهوكم وبعبثكم، بل انطلقوا من حيث أفاض الناس في مسيرة ربّانيّة تتجه بكم إلى ما يريد الله لكم أن تصلوا إليه من تقواه (**وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ**)، ولتكن إفاضتكم مملوءة بالاستغفار (**إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) (**فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ**)، وانتهيتم من ذلك كله (**فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**) ويبقى ذكر الله هو الأساس في كلِّ حركة من حركات الحج، تذكره وأنت تطوف وتذكره وأنت تسعى وتذكره وأنت تقف في عرفات وتذكره وأنت تفيض من عرفات، وتذكره وأنت تقف في المشعر، وتذكره وأنت تقف في منى، بل تذكره وأنت ترجم الشيطان، وفي المحصلة أن يكون ذكر الله هو الخط الحركي الذي تتحرك فيه (**فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ**) وجلستم (**فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**) باعتبار العلاقة التي تشد الإنسان إلى أبيه بحيث تجعله يتذكر دائمًا (**أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**)؛ لأنَّ علاقتكم بالله هي أعظم من علاقتكم بآبائكم.

---

(١) سورة آل عمران/ الآية: ١٩٥.

(٢) سورة البقرة/ الآية: ١٩٧.

(٣) سورة البقرة/ الآية: ١٩٨.

(٤) سورة البقرة/ الآية:١٩٩ .

والإنسان الحاج ومنذ اللحظة الأولى حينما يعلن التلبية (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك) ينبغي له أن يستحضر كل نداءات الباري -عزّ وجل-، ويعلن مشروع الاستجابة الدّائمة إلى نداءات الباري -عز وجل-، بحيث تكون حياة الحاج كلّها إجابة دائمة لله تعالى- فليلتزم واجباته، ويمتنع عن محرّماته.

الحج التدريب العملي:

وفي الميقات يخلع الحاج لباسه، ويرتدي ثيابًا هي بمثابة الكفن، في لونها ومواصفاتها .. وهنا يتكشّف الوجه الآخر للوظيفة الرمزية للّباس في حياة الإنسان .. وما تشير إليه الأزياء، في ألوانها، وتشكيلاتها، وتصاميمها المتنوّعة. فلا يقتصر دور اللباس على الستر، والزّينة وحماية الإنسان من المؤثّرات المناخية، كالحرِّ والبرد والرياح، وإنَّما ترمز أزياء الناس إلى مكانتهم، وطبقتهم، وموقعهم، وتشير إلى وجهة تفكيرهم، وما يميّزهم عن سواهم، في معظم المجتمعات .. اللباس يكرس الأنا ويشيب بالمختلف .. أما الإحرام الذي يرتديه كلّ حاج، ويخضع لشروط صارمة تضبط بساطته، وتنفي عنه أيّة زخارف، أو ألوان، أو أشكال .. فهو تدريب عملي لتربية الإنسان المسلم على تجاوز ثنائية: السيد، والعبد، والقوي والضعيف، والشريف والوضيع، والمتحضر والبدوي، والعربي والأعجمي، والشرقي والغربي، والغني والفقير، والمتخم، والجائع.

إنَّ التجرّد من الثياب في الميقات، يتضمّن في ما يرمز إليه هتك الأقنعة، التي تختفي وراءها جملة من نزعات الكراهية الكامنة لدى الإنسان. وكأنَّ لحظة الميقات لحظة يولد فيها الإنسان من جديد، وقتئذ تتجلّى الذات على حقيقتها، متحرّرة من الأعراف والتقاليد، ومن سائر الأسماء والألقاب التي تضج بها الحياة، وتغطّي الأشخاص بطبقات وحجب، شديدة الكثافة، تتستر على حقيقة الإنسان)[1] .

وبعد الانتهاء من لبس الإحرام، يبدأ الحاج بالتلبية، وهي تتضمن اعترافًا والتزامًا بالتوحيد، ونبذًا للشرك بكافّة أنواعه .

الإنسان الموحد وقداسة المكان:

(وضمن هذا التصور التوحيدي ومن خلال الرؤية الإسلامية يتّضح أنَّ المكان ليس مجرّد موقع بتضاريسه ومناخه ومعطياته الجغرافية، بقدر ما هو العلاقة التّفاعلية بين هذه الخصائص والتاريخ والمقوّمات الاجتماعية

(١) الندوة الإسلامية الكبرى، دراسة الدكتور عبد الجبار الرفاعي ‖ موعد مع ابراهيم ‖ الحج مرآة التاريخ البشري ‖ ص ٤٧٩ وزارة الحج، الطبعة الأولى، يناير ٢٠٠٥.

والثّقافية المتركّزة في ذلك المكان .. لكن عناصر التنوع والثراء التي تتوافر لمكان ما لا تتحوّل إلى حراك وطاقة فعل بصفة آليّة بل هي تتطلّب قوّة تركيب لها تتمثل في الإنسان الموحّد .. لذلك فإنَّ قدسيّة المكان لا تقتصر على العوامل المنحصرة في المكان ذاته بل تتعدّاه لإنسان ذلك المكان الذي يوحّد أبعاده فيفتح بها آفاقًا جديدة تظل كامنة أو ضامرة لولا السّعي التّوحيدي للإنسان)[١].

ولقد أقسم الباري -عز وجل- بمكّة البلد الحرام الذي شرّفه بالبيت العتيق إذ يقول تعالى (**لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**)[٢] .

وحينما يعيش الإنسان في أقدس مكان في الوجود، حيث بيت الله الحرام، ويقوم بأعماله وشعائره بوعيٍ، يزداد اطمئنانًا، وتعلّقًا بالله -سبحانه وتعالى- .. فالحج مدرسة متكاملة على المستويات الرّوحية والشّعائريّة والاجتماعيّة والثقافيّة ..

ففي هذه المدرسة يتعلّم فيها الإنسان ضرورة الخضوع والانقياد لأوامر الباري -عزّ وجلّ-، وفيها يتربّى على التّضحية والفداء، وأنّه يتساوى مع غيره من البشر .. فامتيازات الدنيا كلّها تتلاشى في شعائر الحج .. فالجميع يلبس لباسًا واحدًا، ويقوم بأعمال واحدة .. فالبشر لا يتمايزون على بعضهم البعض بسبب ألوانهم أو مناطقهم أو قبائلهم، وإنَّما يتمايزون عن بعضهم البعض من خلال كسبهم الإيمانيّ .. إذ يقول تعالى-: (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**)[٣].

والحج إضافة إلى معانيه الروحية والتوحيدية، هو فضاء رحب لزيادة صلة المسلمين ببعضهم البعض، وتجاوز إحنهم وخلافاتهم، كما إنَّه مناسبة تاريخية تتكرّر كلَّ عام لترسيخ قيم الأخوة والتآلف بين المسلمين، وبثّ روح التعاون والتَّعارف بينهم .. بحيث تكون كلُّ لحظة من لحظات الحج إضافة روحية وقيمية في وجدان المسلم وقلبه وعقله .. إذ يقول -عزّ من قائل-: (**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ**)[٤].

فالحج بكلِّ مناسكه وشعائره، هو دعوة للتحرر من ربقة القيود الدنيوية، التي تحول دون انطلاقة الإنسان في رحاب التوحيد والعمران، كما أنَّه مدرسة الانعتاق من كلِّ الألقاب والنوازع والمكاسب الدنيوية، بحيث يصبح

---

(١) الندوة الإسلامية الكبرى - مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية (٢) لعام ١٤٢٤ هـ، إعداد الدكتور أبو بكر محمد باقادر - دراسة مكة ورسالتها الإنسانية اليوم - من عبقرية المكان إلى حرمة الإنسان ص ٢٩٤،- مصدر سابق ..

(٢) سورة البلد/ الآيتان: ١ -٢.

(٣) سورة الحجرات/ الآية: ١٣.

(٤) سورة الأنعام/ الآية: ١٦٢ .

الحاج حرًّا من رواسب بيئته الاجتماعية ومنعتقًا من كلِّ نزعاته الذاتية، ومقبلًا على الإتيان بالمناسك، وهو يمتلك الاستعداد الذاتي التام للخضوع، والتَّذلل، وتحمّل كلّ المشاق والصّعاب.

و(يتبين أنَّ مكة المكرمة هي مجال نموذجي تتجلى فيه قدسيّة المكان في أصدق تعبيراتها، وذلك بالحراك الذي تكتنزه تلك البقاع .. هذا الحراك الذي أتاحه سياق تاريخيّ ممتدّ ركزته الرسالة الخاتمة بفضل عقيدة التوحيد وبفضل المسعى الابراهيمي المؤسس.

إذا أمكن لنا أن نقتبس عبارة بعض علماء الجغرافيا المعاصرين قلنا إنَّ ما أتاح لذلك الوادي القفر أن يسفر عن عبقريته الخاصة هو هذا الامتداد التاريخي المؤسّس الذي بدأته المسيرة الإبراهيمية وتوّجته الرسالة الخاتمة هي صيرورة ظلّت توحّد عناصر شتَّى مركزة على عنصر قار ومتواصل هو عنصر الأمن ذلك العنصر الذي تعبر عنه قيمة حرمة الإنسان والتي بدونها تتراجع عبقرية المكان وتخبو.

سرّ المكان لا ينفصل إذن عن حرمة إنسانه، وإذا كانت مكة المكرمة قد عرفت تحوّلًا ضخمًا في العصر النبوي، فإنَّ ما زاد من أهمية إتاحتها لأماكن أخرى في الجزيرة العربية وخارجها أن تفتق طاقاتها وتشخص بـ(عبقريتها) أمام أعين التاريخ)[1] .

وخلاصة القول: إنَّنا ونحن نؤدّي مناسك الحج في ضيافة الباري -عز وجل-، وحريٌّ بنا أن نفتح قلوبنا وعقولنا على قيم الإسلام وذكر الله-تعالى- في السَّرّاء والضَّرّاء، ونقرّر مع أنفسنا أن نتخلّص من جفافنا الرّوحي والأخلاقي، وننطلق في رحاب المعرفة، والإيمان، والتربية الروحية، والكمال الإنسانيّ.

رسالة مكة الثقافية في العالم المعاصر:

في عالم إنسانيّ حوّله التقدم العلمي والتكنولوجي والاتصالي إلى قرية عالمية صغيرة، غابت فيها حدود الجغرافيا والمكان، وتداخلت فيها الثَّقافات والتَّصوّرات والمفاهيم. وفي ظلِّ وضعٍ دوليٍّ يمور بالكثير من الأسئلة، والتَّطورات، والتَّحديات، والخيبات، تتأكَّد الحاجة والشوق الإنساني إلى منارات يُهتدى بها، ومعالم يُقتدى بها ومناهج علم ومعرفة وهدى، تنير الدّروب وتشعل القناديل، وتجيب على تحدّيات الواقع، وتنهي خيبات الإنسان من الكثير من الخيارات واليافطات.

---

(١) الندوة الإسلامية الكبرى - مصدر سابق - ص ٣٠٦، عالم الجغرافيا د جمال حمدان، شخصية مصر، عبقرية المكان، القاهرة ١٩٩٨ م .

وتبقى مكَّة المكَّرمة، المدينة والرؤية، المكان والمشروع، معقد القلوب والعقول، ومهبط الوحي، ومنارة الهدى وجسر التّواصل بين الماضي المجيد والحاضر المليء بالآمال والهموم، والمستقبل الذي تنشده مدينة السماء حيث الأمن والحرّيّة والعدالة والمساواة.. فمكّة المكرمة في تجربة الإسلام الأولى، هي حاضنة العلم والعمل، ووعاء الإرادة والتّمكّن، وأرض ردم الفجوة بين الوعد والإنجاز.. من هنا فإنَّ مكة المكرمة ومنذ بداياتها التاريخية الأولى هي تحمل مشروعًا وأملًا للإنسان الفرد والجماعة.. ذلك المشروع الذي يربط الإنسان بحركات الأنبياء ومشاريعهم في الإصلاح وإنهاء كلِّ مظاهر الذّلّ والعبودية التي يعيشها الإنسان في مراحل حياته المختلفة. والأمل الذي لا يخبو من أجل حياة إنسانية أكثر حرّيّة وعدلًا. إذ يقول تبارك وتعالى: **(وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا . وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)**[1] ويقول -عز وجل-: **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)** [2].

فقداسة مكة المكرمة تضرب بجذورها في عمق التاريخ. حيث تحتضن الكعبة المشرفة التي هي بيت الله-تعالى- وأقدس مكان على الأرض، وهي قبلة المسلمين التي يتوجّهون إليها في صلاتهم، وهي ترمز إلى ارتباط السماء بالأرض، من خلال وقوعها تحت العرش. فهي رمز التواصل بين السماء والأرض، من خلال حبل معنوي ممتد من الذات المقدَّسة إلى العرش إلى البيت المعمور إلى البيت الحرام. ويمسك بهذا الحبل ويطوف حوله جميع الخلائق في السماوات والأرض.

يقول -تبارك وتعالى-: **(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)**[3].

مكة ضمير العالم:

مكَّة المكرمة هي مدينة الوحي والقيم الإسلامية النبيلة، حيث في بيوتاتها وأزقّتها تجسّدت قيم الإسلام في العدالة والمساواة والأخوة. لذلك فإنَّ رسالة مكّة التاريخية للبشرية جمعاء، بأنَّها ضمير العالم. حيث تذكر الإنسانية باستمرار

(١) سورة النور/ الآية: ٥٥.

(٢) سورة الجمعة/ الآية: ٢.

(٣) سورة آل عمران/ الآيتان: ٩٦- ٩٧.

بقيم الخلاص، ومبادئ التّضامن والتّعاون. فهي الضمير الذي يذكر ويوجّه، يوقظ ويحفّز نحو الخير والصّلاح.

فكما أنَّ مكة المكرمة، قادرة على جمع جميع المسلمين بكلِّ أطيافهم وأحوالهم وألوانهم لأداء مناسك الحج والعمرة. هي كذلك قادرة على ممارسة دور الضمير والموقظ وجمع المسلمين حول قيم الشورى والحوار والانفتاح. فمكة المكرمة بما تحتضن من مقدّسات، وبما تشير إليه من رمزية إسلامية مقدّسة، هي المرجعية التي تحتضن جميع المسلمين، وتعمل على استيعاب كل آفاقهم وتطلعاتهم.

وفي ظل التطورات المتسارعة التي تجري في عالم اليوم، والتَّحديات الكبرى التي تواجه الإنسان والحياة، ما أحوج البشرية جمعاء، إلى ضميرٍ عالميٍّ، ينهي غفلة الجميع، ويشحذ همم الجميع للتغلب على نزعات الشر والهيمنة. ولا ريب أنَّ مكة المكرمة بما تختزن من مقدّسات ورموز، وبما تمثّل من عمق تاريخي تليد، بإمكانها اليوم أن تكون ضمير العالم وصوت الحق والعقل. والقطب الجغرافيّ والثّقافيّ الذي يوجّه الإنسانية جمعاء صوب قيم الإخاء والمحبة. فلْتتكاتف جهود المسلمين جميعًا، من أجل أن تكون مكة المكرمة، هي ضمير العالم وصوته الذي يصدح ويبشر بالخير والطمأنينة للجميع.

فرسالة مكة الثقافية الأولى للعالم المعاصر هي خلق الظروف الفكرية والمعرفية والأخلاقية لتعزيز قيم التسامح والحوار والتآخي والمساواة والعدالة في المجال الإسلاميّ والإنساني.

فالثَّقافة الإسلامية اليوم، بإمكانها أن تمد الإنسانية بمفاهيم أساسيّة، تُساهم في بناء الأمّة وفق مقاييس حضاريّة، تأخذ بعين الاعتبار ضرورات المادة، كما تأخذ في الاعتبار أيضًا ضرورات الرّوح والمسائل المعنويّة.

إنَّ تكامل الوحي الكلّيّ والعقلي الجزئي (على حدّ تعبير الدكتور عبد الحميد أبو سليمان) في بناء المعرفة الإنسانية هو أهم وجوه العطاء الإسلامي للحضارة الإنسانية، وترشيد مسيرتها في عالمنا اليوم. وإنَّ مهمّة الثقافة الإسلامية في هذا السياق، هي تعديل اللغة والإطار الفكري والعقدي لمصادر المعرفة العلمية الحديثة التي تقدّم هذه المادة العلمية ووضعها في دائرة الإطار الإسلامي وقيمه وغاياته.

وتقدر الثقافة الإسلامية، بما أوتيت من طبيعة جامعة ما بين الدين والعلم، أنَّ تجنب الواقع المعاصر ما حصل فيه من قطيعة بين الدين والعلم، بين الأخلاق والعلم.. فالثَّقافة الإسلامية، تقدم للعالم المعاصر إنسانيتها ومنطقها الأخلاقي، الذي يعلي من شأن الإنسان ويتشبث بكلِّ العوامل التي تحافظ على حريته وكرامته.

ومن المؤكَّد أنَّ هذه الإنسانية والمنطق الأخلاقي الحضاري، لو قدَّمت بوسائل حضارية منسجمة وروح العصر فإنَّه سيكون لها الأثر الكبير في الفضاء الإنساني كله؛ لأنَّها تجيب عن أسئلته الحائرة وتعطي لحياته معنى مغايرًا وعميقًا، وتخرج الإنسان، من حالة القلق الذي لا حدود لها.

إنَّنا في هذه الحقبة من التاريخ، لا نستطيع أن نقدّم للإنسانية إلَّا هذه البضاعة، والتي نراها ضرورية لارتقاء مسيرة الإنسان واكتمال عناصر تطوّره وتقدّمه.

ولا ريب أنَّ هذه المسألة ليست قضية بسيطة أو سهلة المنال، وإنَّما هي عملية شاقّة، وتحتاج منَّا إلى العناية بالأمور التالية:

١- الابتعاد عن كلِّ القضايا والمسائل الجانبية والتَّافهة، والتي تنتمي بشكلٍ أو بآخر إلى عصور التخلّف والانحطاط . والعمل على صياغة اهتماماتنا وفق حاجات العصر، ومتطلبات النّهوض والحضارة .

٢- إبراز الجانب الحضاري من منظومتنا العقدية والفكرية، حتى يتسنى لنا أن نصيغ واقعنا صياغة حضارية، وبعيدة عن كلِّ ألوان وأطياف فكر التّأخّر والانحطاط .

٣- بناء القدرات الذّاتية للأمة على مختلف الصُّعد والمستويات، وذلك حتى يتمكن مجالنا الإسلامي من رفد العالم المعاصر بالمزيد من القيم والنّظم الأخلاقية والوقائع الاجتماعية والاقتصادية التي تؤكّد سلامة الاختيارات، وصواب المنهج الذي يدمج بين المادة والروح، بين العقل والعاطفة، بين حاجات الدنيا ومتطلبات الحياة الأبدية.

فمكة المكرمة وبما تختزن من إرثٍ تاريخيٍّ وثقافيٍّ وقانونيّ، هي ضمير العالم، التي نقلت الإنسانية من مرحلة إلى أخرى باتجاه المزيد من عناصر التكامل.

حماية التّعدّديّة الفكريّة والثقافيّة:

لعلنا لا نأتي بجديد، حين القول: أنَّ الحياة العلمية والثقافية للمسلمين قائمة على حقائق وأسس التّنوع في منهجيات البحث والاستنباط والفهم، والتّعدّدية في الأفكار والأولويات والهموم. فالتعددية الفكرية والثقافية بكلِّ وقائعها وحقائقها، هي من لوازم حياة المسلمين العلمية والمعرفية. من هنا فإنَّ مفهوم الوحدة لا يمكن اكتشافه إلَّا من خلال منظور الاختلاف. وذلك؛ لأنَّ الاختلاف جزء أصيل من منظومة الوعي الذاتي، كما أنَّ (الاختلاف) هو الذي يثري مضمون الوحدة، ويمدّه بأسباب الحيوية والفعالية. إذ يقول -تبارك وتعالى-: (**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ**

وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ)[١]، وبين الاختلاف والوحدة مسافات، لا يمكن اجتيازها إلَّا بالتَّسامح، والاعتراف بقانون التّعدّد، ومبدأ التّنوّع.

لذلك فإنَّ الاختلاف المفضي إلى الوحدة الصلبة، هو ذلك الاختلاف الذي تسنده قيم التعدد والحرية وحقوق الإنسان. أمَّا الاختلاف الذي يجافي هذه القيم، فإنَّه يفضي إلى المزيد من التشرذم والتشتت والتجزئة. وحالات الإجماع والوحدة في المجتمعات الإنسانية، لا تنجز إلَّا على قاعدة تنمية قيم التَّعاون، والتَّعدد، والإدارة الواعية والحضارية للاختلافات العقدية والفكرية والسّياسيّة.

من هنا ندرك أهمّيّة حضور قيمة العدل في الاختلافات الإنسانيّة. حيث إنَّ مجرد الاختلاف، ينبغي أن لا يفضي إلى الظلم والخروج عن مبادئ وقواعد العدالة. يقول تبارك وتعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)**[٢]. فالاختلافات الفكرية والاجتماعية والسياسية، ينبغي أن لا تكون سببًا للقطيعة مع قيم العدالة والوحدة، بل وسيلة من وسائل الالتزام بهذه القيم، وذلك من أجل تحديد مجالات الاختلاف، وتنمية الجوامع المشتركة؛ لأنَّها جزء من عملية العدالة المطلوبة على كلِّ حال.

ترى في تنوعهم جمالاً كأغصان الشجرة الواحدة، وعاطفة الأمومة وحنانها يستوعب ويظلل الجميع. كذلك مكة المكرمة، فهي حاضنة المسلمين جميعا بكل مدارسهم وتوجهاتهم وأحوالهم. وعبر التاريخ كان المسجد الحرام هو جامعة الإسلام الأولى، حيث تعقد وتنتشر الحلقات العلمية التي تعلم أبناء الأمة قيم الإسلام وتشريعاته ونظمه ومثله العليا. وينقل لنا التاريخ مكة المكرمة البعيد والقريب، على أنّها كانت حاضرة العلم الأولى. إذ تتوفّر فيها كلّ حلقات الدرس والتعليم لمختلف المدارس والمذاهب الإسلامية، ويعيش في كنفها علماء وفقهاء وقادة من مختلف أقطار الإسلام وأصقاعه. ومكّة المكرّمة لا يمكن أن تكون، إلا حاضنة للجميع، وحامية لكلّ الاجتهادات الإسلامية. فتوفّر لكلِّ العلماء والفقهاء والمصلحين الأمن والحماية، وتمنحهم القدرة على التواصل مع كلِّ الاجتهادات، والإبداعات، والعطاءات الإسلاميّة.

فرسالة مكّة الثقافية، هي رسالة الوحدة والتّعدّدية. الوحدة التي لا تعني الإقصاء، والنبذ، والاستبعاد

---

(١) سورة الروم/ الآية: ٢٢ .

(٢) سورة المائدة/ الآية: ٨ .

والاستئصال. والتّعدّدية التي لا تساوي التشريع للفوضى والاندثار. فالوحدة التي صاغها تاريخ مكّة المكرمة، هي الوحدة المستندة على احترام كلّ حقائق التّنوّع والتّعددية الموجودة في الأمّة.

فمكّة المكرمة في تجربتها الثقافية والعلمية، هي جامع وجامعة، توحيد ووحدة، واجتهاد متواصل لتوحيد الواقع مع المثال.

وصيانة التعددية والوحدة في الفضاء الإسلامي تتطلب العناصر التالية:

١ – قدرة نفسية تتجسد في إرادة جمعية وتصميم وتخطيط مشترك، يتجه إلى تحقيق الانسجام بين الإنسان وحقائق التّعددية والوحدة، وحتى يتسنّى له معرفة وملامسة مكامن القوّة التي ينطلق منها في مشروعه الإنساني والحضاري.

٢– النّفاذ إلى القوانين التي تتحكّم بتطوّر المجتمعات الإنسانية، تمهيدًا للوصول إلى معرفة الواقع الاجتماعي وسياقه التاريخي، وإمكانات الفعل والتطور التي يزخر بها وجوده.

٣– تهيئة النّفوس والعقول للتفاعل الإيجابي والحضاري، مع متطلّبات التّعدّدية ومقتضيات الوحدة.

وإنَّ المتغيرات الراهنة، تدفعنا كمجال إسلامي إلى التفكير الجدّي الموصول بالممارسة والمبادرات الإيجابية الخلاقة، نحو إحداث تحوّلات نوعيّة في مسار الأمّة، من أجل مواكبة التطورات، والمشاركة الإيجابية والفعالة في سياق التّحوّلات الراهنة، بما ينسجم وقيم الإسلام ومستلزمات الشهود الحضاري.

تنمية العلم والمعرفة:

في مكة المكرمة انطلقت ملحمة الإسلام الخالدة، حيث نزل الوحي الإلهي على رسول الله ﷺ في غار حراء، معلنًا رسالة ربّانيّة جديدة؛ لتخليص البشرية جمعاء من عبادة الأوثان والجهل والزيغ والضلال. وبدأت هذه الرسالة مشوارها الرّبّاني، بكلمة **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)** [١] (فهي مفتاح العلم ووسيلة المعرفة. وتوالت بعد ذلك الآيات القرآنيّة التي تحثّ على تحصيل العلم والمعرفة، وحاربت الخرافة والقول بغير علم، ورغبت في اعتماد البحث والوصول إلى اليقين. قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ، وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ . وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)**[٢] **وقال: (وَمَا**

(١) سورة العلق/ الآية: ١.

(٢) سورة المجادلة/ الآية: ١١.

أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[1].

فالدّين الإسلامي بكلّ تشريعاته ونظمه، هو دين العلم، ومحاربة الجهل بكلِّ صنوفه وأشكاله.

ومكّة المكرّمة عاصمة الإسلام الأولى، ومهبط الوحي والرسالة، والتي تعلَّم فيها المسلمون الأوائل أوليات الإسلام وأبجديّاته، هي منحازة في كلِّ تاريخها وأطوارها إلى العلم والمعرفة. لذلك فإنَّ هذه العاصمة المقدَّسة، هي منارة العلم والمعرفة، ومعهد العلماء والقرّاء والفقهاء. ورسالتها عبر التاريخ كله، هي نشر العلم وتنمية المعرفة، ومحاربة الجهل والخرافة.

الحضور الروحي:

مكة المكرمة مليئة بالرموز والمضامين الروحية، التي تخلق توازنًا ضروريًا في حياة الإنسان بين النزعات المادية المتعاظمة والمضمون الروحي الذي يهذّب النفوس، ويقوّي من الإرادة والعزيمة.

فلا بد للعبادة التي شرعها الله -سبحانه- للإنسان، أن تكون غنية بالمضمون الروحي؛ لأنَّ الهدف الأساس من تشريعها أن تساهم في معرفة الله -تعالى-، وتقوي علاقة الإنسان به. وإذا ظهر ذلك قويًا في الصلاة والصوم، فإنَّ ظهوره في فريضة الحج لا يقل قوّة، فإنَّك فيه ترحل إلى الله بكلّ ما في كلمة الرحيل من مدلول. فأنت تهاجر من موطنك تاركًا، أهلك، ومالك، وجاهك، وحتى ثيابك، وتأتي ربَّك في بيته؛ لتؤكّد على وحدانيته وعلى الخضوع له، بكلِّ ما للخضوع من معنى.

(وتتجرد من دنياك، تخلع الثياب التي ترمز إلى الدنيا وبهرجها، والتي تلوّثت بجسدك العاصي، وتحرم على نفسك ألوان الملذات، النساء والطيب والصيد والتزين بالحلق ونحوه، وتلفحك الشمس، متنقلًا من منسك إلى منسك، وأنت في جميع ذلك تؤكّد على الارتباط بالله وحده.

وذكر الحبيب لا يفارق شفتيك، تلبية بليغة خالصة، وصلاة ودعاءً أو قراءة للقرآن، تلهج دائمًا باسمه وجسدك يجول في الأماكن التي يحبّها:

طواف تؤكّد فيه على أنَّ الله -تعالى- هو المحور الذي يجذب المخلوقات إليه. وسعي يؤكِّد أنَّه المبتدأ والمنتهى، وأنَّك بينهما تسعى إليه، فتعود إليه.

---

(١) سورة الأنبياء/ الآية: ٧.

رمي يرمز إلى إلغاء الذنوب.

ورجم الشيطان، لتخلص له العبادة دون انحراف.

أضحية هي قربان إليه، رمز للطاعة والإنابة.

وكما البداية طواف فالخاتمة طواف، لتجديد البيعة وتأكيد الولاء، فهو وحده المعبود.

وجميع هذا زاد روحي، وأي زاد، ففيه تمتزج العقيدة الواضحة الموحدة، بالطاعة الخالصة المجردة، وحيث يوجد الفكر والمعاناة، فلا بد أن يوجد الإيمان النقي)[1].

فرسالة مكة المكرمة الدائمة والأبدية، هي تقوى الله والخوف منه في السر والعلن، وخدمة الإنسان، والدفاع عن مقدّساته، والذود عن حرماته، في سياق وإطار روحي، تتجلى فيه كل معاني الطهارة والنقاء والإخلاص.

الخاتمة:

وستبقى كل هذه الأفكار والتّطلّعات، بحاجة إلى بناء مؤسّسات علمية وثقافية وإنسانية في مكة المكرمة. حتى تتمكن هذه العاصمة المقدسة من القيام بمهامها التاريخية والحضارية، في ظل أوضاع وظروف دولية وإنسانية خطيرة وحساسة.

فمكة المكرمة وعبر رسالتها القيمية والثقافية، قادرة لو تبلورت الإرادة، وترجمت التطلعات في أطر وهياكل مؤسسية لوقف الانحدار وبناء الأمة على الصعيد الثقافي والروحي وفق أسس معرفية وفكرية، تؤهل أبناء الأمة للقبض على أسباب التقدم وعوامل التمكن في الأرض.

(١) الشيخ محسن عطوي زاد المبلغين موسوعة إسلامية فكرية تعين الخطباء والموجهين ،ص٢١٦.

من كنت مولاه فهذا علي مولاه

خطبة الغدير

نص الخطبة
التي خطبها الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله
يوم غدير خم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذي عَلاَ في تَوَحُّدِهِ، وَدَنَا في تَفَرُّدِهِ، وَجَلَّ في سُلْطانِهِ، وَعَظُمَ في أَرْكانِهِ، وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَهُوَ في مَكَانِهِ، وَقَهَرَ جَميعَ الْخَلْقِ بِقُدْرَتِهِ وَبُرْهانِهِ، مَجيداً لَمْ يَزَلْ، مَحْمُوداً لاَ يَزَالُ.

بَارِئُ الْمَسْمُوكَاتِ، وَدَاحِي الْمَدْحُوَّاتِ، وَجَبَّارُ الأَرَضينَ وَالسَّمَاوَاتِ، قُدُّوسٌ سُبُّوحٌ، رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ، مُتَفَضِّلٌ عَلَى جَميعِ مَنْ بَرَأَهُ، مُتَطَوِّلٌ عَلَى جَميعِ مَنْ أَنْشَأَهُ. يَلْحَظُ كُلَّ عَيْنٍ وَالْعُيونُ لاَ تَراهُ. كَريمٌ حَليمٌ ذُو أَنَاة، قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَتُهُ، وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَتِهِ. لاَ يَعْجَلُ بِانْتِقَامِهِ، وَلاَ يُبَادِرُ إِلَيهِمْ بِمَا اسْتَحَقُّوا مِنْ عَذَابِهِ.

قَدْ فَهِمَ السَّرَائِرَ، وَعَلِمَ الضَّمَائِرَ، وَلَمْ تَخْفَ عَلَيْهِ الْمَكْنونَاتُ، وَلاَ اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ الْخَفِيَّاتُ. لَهُ الإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْغَلَبَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ في كُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ. وَهُوَ مُنْشِئُ الشَّيْءِ حينَ لاَ شَيْءَ. دَائِمٌ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ. جَلَّ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطيفُ الْخَبيرُ. لاَ يَلْحَقُ أَحَدٌ وَصْفَهُ مِنْ مُعَايَنَةٍ، وَلاَ يَجِدُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ مِنْ سِرٍّ وَعَلاَنِيَةٍ، إِلاَّ بِمَا دَلَّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَفْسِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ اللهُ الَّذي مَلأَ الدَّهْرَ قُدْسُهُ، وَالَّذي يَغْشَى الأَبَدَ نُورُهُ، وَالَّذي يُنْفِذُ أَمْرَهُ بِلاَ مُشَاوَرَةِ مُشيرٍ، وَلاَ مَعَهُ شَريكٌ في تَقْديرٍ وَلاَ يُعَاوَنُ في تَدْبيرٍ. صَوَّرَ مَا ابْتَدَعَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ، وَخَلَقَ مَا خَلَقَ بِلاَ مَعُونَة مِنْ أَحَدٍ، وَلاَ تَكَلُّفٍ وَلاَ احْتِيَالٍ. أَنْشَأَهَا فَكَانَتْ، وَبَرَأَهَا فَبَانَتْ. فَهُوَ اللهُ الَّذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، الْمُتْقِنُ الصَّنْعَةَ، الْحَسَنُ الصَّنيعَةُ، الْعَدْلُ الَّذي لاَ يَجُورُ، وَالأَكْرَمُ الَّذي تَرْجِعُ إِلَيْهِ الأُمُورُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ الَّذي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ، وَخَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَيْبَتِهِ. مَلِكُ الأَمْلاَكِ، وَمُفَلِّكُ الأَفلاَكِ، وَمُسَخِّرُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، كُلٌّ يَجْري لأَجَل مُسَمّى. يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ، وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ يَطْلُبُهُ حَثيثاً. قَاصِمُ كُلِّ جَبَّارٍ عَنيدٍ، وَمُهْلِكُ كُلِّ شَيْطَانٍ مَريدٍ.

لَمْ يَكُنْ مَعَهُ ضِدٌّ وَلاَ نِدٌّ، أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ. إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَرَبٌّ مَاجِدٌ، يَشَاءُ فَيُمْضي، وَيُريدُ فَيَقْضي، وَيَعْلَمُ فَيُحْصي، وَيُميتُ وَيُحْيي، وَيُفْقِرُ وَيُغْني، وَيُضْحِكُ وَيُبْكي، وَيَمنعُ وَيُعْطي، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ. يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزيزُ الْغَفَّارُ. مُجيبُ الدَّعَاءِ، وَمُجْزِلُ الْعَطَاءِ، مُحْصِي الأَنْفَاسِ، وَرَبُّ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ، لاَ يُشْكِلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلاَ يُضْجِرُهُ صُرَاخُ الْمُسْتَصْرِخينَ،

وَلاَ يُبْرِمُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحّينَ. الْعَاصِمُ لِلصَّالِحِينَ، وَالْمُوَفِّقُ لِلْمُفْلِحِينَ، وَمَوْلَى الْعَالَمِينَ. الَّذي اسْتَحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ خَلَقَ أَنْ يَشْكُرَهُ وَيَحْمَدَهُ.

أَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَأُومِنُ بِهِ وَبِمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. أَسْمَعُ لأَمْرِهِ وَأُطيعُ، وَأُبَادِرُ إِلى كُلِّ مَا يَرْضَاهُ، وَأَسْتَسْلِمُ لِقَضَائِهِ، رَغْبَةً فِي طَاعَتِهِ، وَخَوْفاً مِنْ عُقُوبَتِهِ، لأَنَّهُ اللهُ الَّذي لاَ يُؤْمَنُ مَكْرُهُ، وَلاَ يُخَافُ جَوْرُهُ.

وأُقِرُّ لَهُ عَلَى نَفْسي بِالْعُبُودِيَّةِ، وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأُؤَدّي مَا أَوْحَى إِليَّ حَذَراً مِنْ أَنْ لاَ أَفْعَلَ فَتَحِلَّ بي مِنْهُ قَارِعَةٌ لاَ يَدْفَعُهَا عَنّي أَحَدٌ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ: لاَ إِلَهَ إِلاّ هُوَ. لأَنَّهُ قَدْ أَعْلَمَنِي أَنّي إِنْ لَمْ أُبَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيَّ فَمَا بَلَّغْتُ رِسَالَتَهُ، وَقَدْ ضَمِنَ لي تَبَارَكَ وَتَعَالَى العِصْمَةَ، وَهُوَ اللهُ الكَافِي الكَرِيمُ.

فَأَوْحَى إِلَيَّ: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا أَيُّهَا الرَّسولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ـ في عَلِيٍّ يَعْنِي فِي الْخِلافَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبي طَالِبٍ ـ (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ).

مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَا قَصَّرْتُ فِي تَبْليغ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيَّ، وَأَنَا مُبَيِّنٌ لَكُمْ سَبَبَ نُزولِ هَذِهِ الآيَةِ: إِنَّ جَبْرَئيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ هَبَطَ إِلَيَّ مِرَاراً ثَلاَثاً يَأْمُرُني عَنِ السَّلاَمِ رَبّي ـ وَهُوَ السَّلاَمُ ـ أَنْ أَقُومَ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ، فَأُعْلِمَ كُلَّ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ:

أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبي طَالِبٍ أَخي وَوَصِيّي وَخَليفَتِي وَالإِمَامُ مِنْ بَعْدي، الَّذي مَحَلُّهُ مِنّي مَحَلُّ هَارونَ مِنْ مُوسى، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدي، وَهُوَ وَلِيُّكُمْ بَعْدَ اللهِ وَرَسولِهِ.

وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيَّ بِذَلِكَ آيَةً مِنْ كِتَابِهِ: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)، وَعَلِيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ أَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَهُوَ رَاكِعٌ يُرِيدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ حَال.

وَسَأَلْتُ جَبْرَئيلَ أَنْ يَسْتَعْفِيَ لِيَ عَنْ تَبْليغِ ذلِكَ إِلَيْكُمْ ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ لِعِلْمي بِقِلَّةِ الْمُتَّقينَ وَكَثْرَةِ الْمُنَافِقينَ وَإِدْغَالِ الآثِمينَ وَحِيَلِ الْمُسْتَهزِئينَ بِالإِسْلاَمِ، الَّذينَ وَصَفَهُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظيمٌ، وَكَثْرَةِ أَذَاهُمْ لِي غَيْرَ مَرَّةٍ، حَتَّى سَمُّوني (أُذُناً) وَزَعَمُوا أَنّي كَذَلِكَ لِكَثْرَةِ مُلاَزَمَتِهِ إِيَّايَ وَإِقْبَالي عَلَيْهِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي ذَلِكَ قُرْآناً: (ومِنْهُمُ الَّذينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنُ) ـ عَلَى الَّذينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أُذُنٌ ـ (خَيْرٍ لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنينَ).

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ بِأَسْمَائِهِمْ لَسَمَّيْتُ، وَأَنْ أُومِيَ إِلَيْهِمْ بِأَعْيَانِهِمْ لأَوْمَأْتُ، وَأَنْ أَدُلَّ عَلَيْهِمْ لَدَلَلْتُ، وَلَكِنّي وَاللهِ فِي أُمُورِهِمْ قَدْ تَكَرَّمْتُ.

وَكُلُّ ذلِكَ لاَ يَرْضَى اللهُ مِنّي إلاَّ أَنْ أُبَلِّغَ مَا أَنْزَلَ إِلَيَّ. ثُمَّ تَلاَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ـ في عَلِيٍّ ـ (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ).

فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النّاسِ أَنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِمَاماً مُفْتَرَضاً طَاعَتُهُ عَلَى الْمُهاجِرينَ وَالأَنْصَارِ وَعَلَى التَّابِعينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَعَلَى الْبَادي وَالْحَاضِرِ، وَعَلَى الأَعْجَميِّ وَالْعَرَبِيِّ، وَالْحُرِّ وَالْمَمْلوكِ، وَالصَّغيرِ وَالْكَبيرِ، وَعَلَى الأَبْيَضِ وَالأَسْوَدِ، وَعَلَى كُلِّ مُوَحِّدٍ. مَاضٍ حُكْمُهُ، جَازٍ قَوْلُهُ، نَافِذٌ أَمْرُهُ، مَلْعُونٌ مَنْ خَالَفَهُ، مَرْحُومٌ مَنْ تَبِعَهُ، مُؤْمِنٌ مَنْ صَدَّقَهُ، فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ وَأَطَاعَ لَهُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ آخِرُ مَقَامٍ أَقومُهُ في هَذَا الْمَشْهَدِ، فَاسْمَعوا وَأَطيعوا وَانْقَادُوا لأَمْرِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ هُوَ مَوْلاَكُمْ وَإِلهُكُمْ، ثُمَّ مِنْ دُونِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَلِيُّكُمْ الْقَائِمُ الْمُخَاطِبُ لَكُمْ، ثُمَّ مِنْ بَعْدي عَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ وَإِمَامُكُمْ بِأَمْرِ رَبِّكُمْ، ثُمَّ الإِمَامَةُ في ذُرِّيَّتي مِنْ وُلْدِهِ إِلَى يَوْم تَلْقَوْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ.

لاَ حَلاَلَ إِلاَّ مَا أَحَلَّهُ اللهُ، وَلاَ حَرَامَ إِلاَّ مَا حَرَّمَهُ اللهُ، عَرَّفَنِي الْحَلاَلَ وَالْحَرَامَ وَأَنَا أَفْضَيْتُ بِمَا عَلَّمَنِي رَبّي مِنْ كِتَابِهِ وَحَلاَلِهِ وَحَرَامِهِ إِلَيْهِ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَا مِنْ عِلْم إِلاَّ وَقَدْ أَحْصَاهُ اللهُ فِيَّ، وَكُلُّ عِلْمٍ عُلِّمْتُ فَقَدْ أَحْصَيْتُهُ في إِمَامِ الْمُتَّقينَ، وَمَا مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ عَلَّمْتُهُ عَلِيّاً، وَهُوَ الإِمَامُ الْمُبينُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، لاَ تَضِلُّوا عَنْهُ وَلاَ تَنْفِرُوا مِنْهُ، وَلاَ تَسْتَنْكِفُوا مِنْ وِلاَيَتِهِ، فَهُوَ الَّذي يَهْدي إِلَى الْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُزْهِقُ الْبَاطِلَ وَيَنْهَى عَنْهُ، وَلاَ تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ. ثُمّ إِنّهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسولِهِ، وَهُوَ الَّذي فَدَى رَسُولَهُ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ الَّذي كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ وَلاَ أَحَدَ يَعْبُدُ اللهَ مَعَ رَسُولِهِ مِنَ الرِّجَالِ غَيْرُهُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، فَضِّلُوهُ فَقَدْ فَضَّلَهُ اللهُ، وَاقْبَلُوهُ فَقَدْ نَصَبَهُ اللهُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ إِمَامٌ مِنَ اللهِ، وَلَنْ يَتُوبَ اللهُ عَلَى أَحَدٍ أَنْكَرَ وِلاَيَتَهُ وَلَنْ يَغْفِرَ لَهُ، حَتْماً عَلَى اللهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ فيه وَأَنْ يُعَذِّبَهُ عَذَاباً شديداً نُكْراً أَبَدَ الآبَادِ وَدَهْرَ الدُّهُورِ. فَاحْذَرُوا أَنْ تُخَالِفُوهُ، فَتَصْلَوا نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ.

أَيُّهَا النّاسُ، بي وَاللهِ بَشَّرَ الأَوَّلُونَ مِنَ النَّبِيّينَ وَالْمُرْسَلينَ، وَأَنَا خاتِمُ الأَنْبِياءِ وَالْمُرْسَلينَ وَالْحُجَّةُ عَلَى جَميعِ الْمَخْلُوقينَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاواتِ وَالأَرَضينَ. فَمَنْ شَكَّ في ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى، وَمَنْ شَكَّ في شَيْءٍ مِنْ قَوْلي هَذَا فَقَدْ

شَكَّ فِي الكُلِّ مِنْهُ، وَالشَّاكُ فِي ذلكَ فَلَهُ النَّارُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، حَبَانِيَ اللهُ بِهَذِهِ الْفَضيلَةِ مَنّاً مِنْهُ عَلَيَّ وَإِحْساناً مِنْهُ إِلَيَّ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، لَهُ الْحَمْدُ مِنّي أَبَدَ الآبِدينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرينَ وَعَلَى كُلِّ حَال.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، فَضِّلُوا عَلِيّاً، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدي مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى. بِنَا أَنْزَلَ اللهُ الرِّزْقَ وَبَقِيَ الْخَلْقُ.

مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ، مَغْضُوبٌ مَغْضُوبٌ مَنْ رَدَّ عَلَيَّ قَولي هَذَا وَلَمْ يُوَافِقْهُ. أَلاَ إِنَّ جَبْرَئيلَ خَبَّرَني عَنِ اللهِ تَعَالى بِذَلِكَ وَيَقُولُ: مَنْ عَادَى عَلِيّاً وَلَمْ يَتَوَلَّهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي وَغَضَبِي، (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ) ـ أَنْ تُخَالِفُوهُ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ـ (إِنَّ اللهَ خَبيرٌ بِمَا تَعْلَمُونَ).

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ جَنْبُ اللهِ الَّذي ذُكِرَ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَى مُخْبِراً: (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ).

مَعَاشِرَ النّاسِ، تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وَافْهَمُوا آيَاتِهِ وَانْظُرُوا إِلَى مُحْكَمَاتِهِ وَلاَ تَتَّبِعوا مُتَشَابِهَهُ، فَوَ اللهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَوَاجِرَهُ وَلَنْ يُوضِحَ لَكُمْ تَفْسيرَهُ إِلاَّ الَّذي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُصْعِدُهُ إِلَيَّ وَشَائِلٌ بِعَضُدِهِ وَمُعْلِمُكُمْ: أَنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلاَهُ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طَالِب أَخي وَوَصِيّي، وَمُوَالاَتُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهَا عَلَيَّ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ عَلِيّاً وَالطَّيِّبينَ مِنْ وُلْدي هُمُ الثِّقْلُ الأَصْغَرُ، وَالْقُرْآنُ الثِّقْلُ الأَكْبَرُ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مُنْبِئٌ عَنْ صَاحِبِهِ وَمُوَافِقٌ لَهُ، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ. هُمْ أُمَنَاءُ اللهِ فِي خَلْقِهِ وَحُكَّامُهُ فِي أَرْضِهِ.

أَلاَ وَقَدْ أَدَّيْتُ، أَلاَ وَقَدْ بَلَّغْتُ، أَلاَ وَقَدْ أَسْمَعْتُ، أَلاَ وَقَدْ أَوْضَحْتُ.

أَلاَ وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ وَأَنَا قُلْتُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أَلاَ إِنَّهُ لَيْسَ «أَميرَ الْمُؤْمِنينَ» غَيْرُ أَخي هَذَا. وَلاَ تَحِلُّ إِمْرَةُ الْمُؤْمِنينَ بَعْدي لأَحَدٍ غَيْرِهِ.

ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى عَضُدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَرَفَعَهُ، وَكَانَ أَميرُ المؤمنينَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مُنْذُ أَوَّل مَا صَعَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَشَالَ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلاَمُ حَتَّى صَارَت رِجْلُهُ مَعَ رُكْبَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. ثُمَّ قَالَ:

مَعَاشِرَ النَّاسِ، هَذَا عَلِيٌّ أَخي وَوَصِيّي وَوَاعي عِلْمي، وَخَليفَتِي فِي أُمَّتِي وَعَلَى تَفْسيرِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالدَّاعي إِلَيْهِ وَالْعَامِلُ بِمَا يَرْضَاهُ وَالْمُحَارِبُ لأَعْدَائِهِ وَالْمُوَالي عَلَى طَاعَتِهِ وَالنَّاهي عَنْ مَعْصِيَتِهِ. خَليفَةُ رَسُولِ اللهِ وَأَميرُ الْمُؤْمِنينَ وَالإِمَامُ الْهَادي وَقَاتِلُ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطينَ وَالْمَارِقينَ بِأَمْرِ اللهِ.

أَقُولُ وَمَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ بِأَمْرِ رَبّي، أَقُولُ: اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَالْعَنْ مَنْ أَنْكَرَهُ، وَاغْضَبْ عَلَى مَنْ جَحَدَ حَقَّهُ.

اللّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ عَلَيَّ أَنَّ الإِمَامَةَ بَعدي لِعَلِيٍّ وَلِيِّكَ عِنْدَ تِبيَاني ذَلِكَ وَنَصْبِي إِيَّاهُ بِمَا أَكْمَلتَ لِعِبَادِكَ مِنْ دينِهِم وَأَتْمَمْتَ عَلَيْهِم بِنعمَتِك وَرَضيتَ لَهُمْ الإسلاَمَ ديناً فَقُلْتَ: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرينَ).

اللّهُمَّ إِنّي أُشْهِدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهيداً أَنّي قَدْ بَلَّغْتُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنّمَا أَكْمَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ دينكُمْ بِإِمَامَتِهِ. فَمَنْ لَمْ يَأْتَمَّ بِهِ وَبِمَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ وُلْدي مِنْ صُلْبِهِ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْعَرْضِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأُولئِكَ الَّذينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ، (لاَ يُخَفِّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ).

مَعَاشِرَ النَّاسِ، هَذَا عَلِيٌّ، أَنْصَرُكُمْ لي، وَأَحَقُّكُمْ بي، وَأَقْرَبُكُمْ إِلَيَّ، وَأَعَزُّكُمْ عَلَيَّ، وَاللهُ عَزَّوجَلَّ وَأَنَا عَنْهُ رَاضِيَانِ. وَمَا نَزَلَتْ آيَةُ رِضاً إِلاَّ فيهِ، وَمَا خَاطَبَ اللهُ الَّذينَ آمَنوا إِلاَّ بَدَأَ بِهِ، وَلاَ نَزَلَتْ آيَةُ مَدْحٍ فِي الْقُرآنِ إِلاَّ فيهِ، وَلاَ شَهِدَ اللهُ بِالْجَنَّةِ فِي (هَلْ أَتى عَلَى الإِنْسَانِ) إِلاَّ لَهُ، وَلاَ أَنْزَلَهَا فِي سِوَاهُ وَلاَ مَدَحَ بِهَا غَيْرَهُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، هُوَ نَاصِرُ دينِ اللهِّ، وَالْمُجَادِلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ، وَهُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ. نَبِيُّكُمْ خَيْرُ نَبِيٍّ وَوَصِيُّكُمْ خَيْرُ وَصِيٍّ وَبَنُوهُ خَيْرُ الأَوْصِيَاءِ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، ذُرِّيَّةُ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ صُلْبِهِ، وَذُرِّيَّتِي مِنْ صُلْبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيٍّ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ إِبْليسَ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ بِالْحَسَدِ، فَلاَ تَحْسُدوهُ فَتَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَتَزِلَّ أَقْدَامُكُمْ، فَإِنَّ آدَمَ أُهْبِطَ إِلَى الأَرْضِ لِخَطيئَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ صَفْوَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَيْفَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ وَمِنْكُمْ أَعْدَاءُ اللهِ.

أَلاَ وَإِنَّهُ لاَ يُبْغِضُ عَلِيّاً إِلاَّ شَقِيٌّ، وَلاَ يُوَالي عَلِيّاً إِلاَّ تَقِيٌّ، وَلاَ يُؤْمِنُ بِهِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ مُخْلِصٌ. وَفي عَلِيٍّ ـ وَاللهِ ـ نَزَلَتْ سُورَةُ الْعَصْرِ: (بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ . وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنْسَانَ لَفي خُسْر . إِلاَّ الَّذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات وَتَوَاصَوْا بالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر).

مَعَاشِرَ النَّاسِ، قَدِ اسْتَشْهَدْتُ اللهَ وَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَتِي وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبينُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، اِتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، (آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذي أُنْزِلَ مَعَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ).

مَعَاشِرَ النَّاسِ، النُّورُ مِنَ اللهِ عَزَّوجَلَّ مَسْلُوكٌ فِيَّ، ثُمَّ في عَلِيِّ بْنِ أَبي طَالِبٍ، ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنْهُ إِلَى الْقَائِمِ الْمَهْدِيِّ الَّذي يَأْخُذُ بِحَقِّ اللهِ وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَنَا، لأَنَّ اللهَ عَزَّوَجلَّ قَدْ جَعَلَنَا حُجَّةً عَلَى الْمُقَصِّرينَ وَالْمُعَانِدينَ وَالمخَالِفينَ وَالْخَائِنينَ وَالآثِمينَ وَالظَّالِمِينَ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، أُنْذِرُكُمْ أَنِّي رَسولُ اللهِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِيَ الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مِتُّ أَوْ قُتِلْتُ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ الصَّابِرِينَ. أَلاَ وَإِنَّ عَلِيّاً هُوَ الْمَوصُوفُ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ وُلْدي مِنْ صُلْبِهِ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، لاَ تَمُنُّوا عَلَى اللهِ إِسْلاَمَكُمْ فَيَسْخَطَ عَلَيْكُمْ وَيُصيبَكُم بِعذَابٍ مِنْ عِندِهِ، إِنَّه لَبِالْمِرْصَادِ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدي أَئِمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنْصَرُونَ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ اللهَ وَأَنَا بَرِيئَانِ مِنْهُمْ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُمْ وَانْصَارُهُمْ وَأَتْبَاعُهُمْ وَأَشْيَاعُهُمْ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. أَلاَ إِنَّهُمْ أَصْحَابُ الصَّحيفَةِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ في صَحيفَتِهِ!!

قَالَ: فَذَهَبَ عَلَى النَّاسِ ـ إِلاَّ شِرْذِمَةٌ مِنْهُمْ ـ أَمْرُ الصَّحيفَةِ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنِّي أَدَعُهَا إِمَامَةً وَوِرَاثَةً في عَقِبِي إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ بَلَّغْتُ مَا أُمِرْتُ بِتَبْلِيغِهِ حُجَّةً عَلَى كُلِّ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ وَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ شَهِدَ أَوْ لَمْ يَشْهَدْ، وُلِدَ أَوْ لَمْ يُولَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الْحَاضِرُ الْغَائِبَ وَالْوَالِدُ الْوَلَدَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَسَيَجْعَلُونَ الإِمَامَةَ بَعْدي مُلْكاً وَاغْتِصَاباً، أَلاَ لَعَنَ اللهُ الغَاصِبينَ الْمُغْتَصِبينَ، وَعِنْدَهَا (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ)، وَ (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شوَاظٌ مِنْ نَار وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ).

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَكُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّى يَميزَ الْخَبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ مَا مِنْ قَرْيَة إِلاَّ وَاللهُ مُهْلِكُهَا بِتَكْذيبِهَا وَكَذَلِكَ يُهْلِكُ القُرى وَهُيَ ظَالِمَةٌ، وَهَذَا عَلِيٌّ إِمَامُكُم وَوَلِيُّكُم وَهُوَ مَوَاعيدُ اللهِ، وَاللهُ مُصَدِّقٌ وَعْدَهُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، قَدْ ظَلَّ قَبْلَكُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلينَ، وَاللهُ لَقَدْ أَهْلَكَ الأَوَّلينَ، وَهُوَ مُهْلِكُ الآخِرينَ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: (أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلينَ ، ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرينَ ، كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمينَ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذ لِلْمُكَذِّبينَ).

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَني وَنَهَاني، وَقَدْ أَمَرْتُ عَلِيّاً وَنَهَيْتُهُ. فَعِلْمُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَاسْمَعُوا لأَمْرِهِ تَسْلَمُوا، وَأَطيعُوهُ تَهْتَدُوا، وَانْتَهُوا لِنَهْيِهِ تَرْشُدُوا، وَصِيرُوا إلَى مُرَادِهِ وَلاَ تَتَفَرَّقَ بِكُمُ السُّبُلُ عَنْ سَبيلِهِ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَنَا صِرَاطُ اللهِ الْمُسْتَقيمُ الَّذي أَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِ، ثُمَّ عَلِيٌّ مِنْ بَعْدي، ثُمَّ وُلْدي مِنْ صُلْبِهِ أَئِمَّةٌ يَهْدونَ إلَى الْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ.

ثُمَّ قَرَأَ: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمينَ...) إلَى آخرهَا، وَقَال: فِيَّ نَزَلَتْ وَفيهِمْ نَزَلَتْ، وَلَهُمْ عَمَّتْ وَإيَّاهُمْ خَصَّتْ، أُولئِكَ أَوْلِيَاءُ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، أَلاَ إنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُون.

أَلاَ إنَّ أَعْدَاءَ عَلِيٍّ هُمْ أَهلُ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَالحَادُّونَ وَهُمُ العَادُونَ وَإخْوَانُ الشَّيَاطينِ الَّذينَ يُوحي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُروراً.

أَلاَ إنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ في كِتَابِهِ، فَقَالَ عَزَّ وجَلَّ: (لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إخْوَانَهُمْ أَوْ عَشيرَتَهُمْ، أُولئِكَ كَتَبَ في قُلوبِهِمُ الإيمَانَ...).

أَلاَ إنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذينَ وَصَفَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فَقَالَ: (الَّذينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ايمَانَهُمْ بِظُلْم أُولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ).

أَلاَ إنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ آمِنينَ، تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ بِالتَّسْليمِ يَقولُونَ: سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدينَ.

أَلاَ إنَّ أَوْلِيَاءَهُمْ الَّذين قَالَ لَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَدْخُلُونَ الْجَنَّةُ يُرْزَقُونَ فيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ).

أَلاَ إنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذينَ يَصْلَوْنَ سَعيراً.

أَلاَ إنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذينَ يَسْمَعُونَ لِجَهَنَّمَ شَهيقاً وَهِيَ تَفورُ وَلَهَا زَفير. أَلاَ إنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذينَ قَالَ اللهُ فيهِمْ: (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا).

أَلاَ إنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذينَ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: (كُلَّمَا أُلْقِيَ فيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نذيرٌ قَالوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ، إنْ أَنْتُمْ إلاَّ في ضَلاَل كَبير).

أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبيرٌ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، شَتَّانَ مَا بَيْنَ السَّعيرِ وَالجَنَّةِ.

عَدُوُّنَا مَنْ ذَمَّهُ اللهُ وَلَعَنَهُ، وَوَلِيُّنَا مَنْ مَدَحَهُ اللهُ وَأَحَبَّهُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَلاَ وَإِنّي مُنْذِرٌ وَعَلِيٌّ هَاد.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنّي نَبِيٌّ وَعِلِيٌّ وَصِيّي.

أَلاَ إِنَّ خَاتَمَ الأَئِمَّةِ مِنَّا الْقَائِمُ الْمَهْدِيَّ. أَلاَ إِنَّهُ الظَّاهِرُ عَلَى الدّينِ. أَلاَ إِنَّهُ الْمُنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ. أَلاَ إِنَّهُ فَاتِحُ الْحُصُونِ وَهَادِمُهَا. أَلاَ إِنَّهُ قَاتِلُ كُلِّ قَبيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ.

أَلاَ إِنَّهُ الْمُدْرِكُ بِكُلِّ ثَارٍ لأَوْلِيَاءِ اللهِ. أَلاَ إِنَّهُ النَّاصِرُ لِدينِ اللهِ.

أَلاَ إِنَّهُ الْغَرَّافُ في بَحْرٍ عَميق. أَلاَ إِنَّهُ يَسِمُ كُلَّ ذي فَضْل بِفَضْلِهِ وَكُلَّ ذي جَهْل بِجَهْلِهِ. أَلاَ إِنَّهُ خِيَرَةُ اللهِ وَمُخْتَارُهُ. أَلاَ إِنَّهُ وَارِثُ كُلِّ عِلْمٍ وَالمحيطُ بِكُلِّ فَهْم.

أَلاَ إِنَّهُ الْمُخْبِرُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ وَالْمُنَبِّهُ بِأَمْرِ إِيمَانِهِ، أَلاَ إِنَّهُ الرَّشيدُ السَّديدُ. أَلاَ إِنَّهُ الْمُفَوَّضُ إِلَيْهِ.

أَلاَ إِنَّهُ قَدْ بَشَّرَ بِهِ مَنْ سَلَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ. أَلاَ إِنَّهُ الْبَاقي حُجَّةً وَلاَ حُجَّةَ بَعْدَهُ، وَلاَ حَقَّ إِلاَّ مَعَهُ، وَلاَ نُورَ إِلاَّ عِنْدَهُ.

أَلاَ إِنَّهُ لاَ غَالِبَ لَهُ وَلاَ مَنْصُورَ عَلَيْهِ. أَلاَ وَإِنَّهُ وَلِيُّ اللهِ في أَرْضِهِ، وَحَكَمُهُ في خَلْقِهِ، وَأَمينُهُ في سِرِّهِ وَعَلاَنِيَتِهِ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ وَأَفْهَمْتُكُمْ، وَهَذَا عَلِيٌّ يُفْهِمُكُمْ بَعْدي. أَلاَ وَإِنّي عِنْدَ انْقِضَاءِ خُطْبَتِي أَدْعوكُمْ إِلى مُصَافَقَتِي عَلَى بَيْعَتِهِ وَالإِقْرَارِ بِهِ، ثُمَّ مُصَافَقَتِهِ بَعْدي. أَلاَ وَإِنّي قَدْ بَايَعْتُ اللهَ وَعَلِيٌّ قَدْ بَايَعَني، وَأَنَا آخِذُكُمْ بِالْبَيْعَةِ لَهُ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ. (إِنَّ الَّذينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعونَ اللهَ، يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْديهِمْ. فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتيهِ أَجْراً عَظيماً).

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا). مَعَاشِرَ النَّاسِ، حِجُّوا الْبَيْتَ، فَمَا وَرَدَهُ أَهْلُ بَيْتٍ إِلاَّ اسْتَغْنَوْا، وَلاَ تَخَلَّفوا عَنْهُ إِلاَّ افْتَقَرُوا. مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَا وَقَفَ بِالْمَوْقِفِ مُؤْمِنٌ إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلى وَقْتِهِ ذلِكَ، فَإِذَا انْقَضَتْ حَجَّتُهُ اسْتَأْنَفَ عَمَلَهُ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، الْحُجَّاجُ مُعَانُونَ وَنَفَقَاتُهُمْ مُخَلَّفَةٌ عَلَيْهِمْ، وَاللهُ لاَ يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، حِجُّوا الْبَيْتَ بِكَمَالِ الدّينِ وَالتَّفَقُّهِ، ولاَ

تَنْصَرِفُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ إلاَّ بِتَوْبَةٍ وَإقْلاَعٍ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَقيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فَإنْ طَالَ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَقَصَّرْتُمْ أَوْ نَسيتُمْ فَعَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ وَمُبَيِّنٌ لَكُمْ. الَّذي نَصَبَهُ اللهُ عزَّوَجلَّ لَكُمْ بَعْدي، وَمَنْ خَلَّفَهُ اللهُ مِنِّي وَمِنْهُ يُخْبِرُونَكُمْ بِمَا تَسأَلُونَ عَنْهُ وَيُبَيِّنُونَ لَكُمْ مَا لاَ تَعْلَمُونَ. أَلاَ إنَّ الْحَلاَلَ وَالْحَرَامَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَهُمَا وَأُعَرِّفَهُمَا فَآمُرَ بِالْحَلاَلِ وَأَنْهى عَنِ الْحَرَامِ في مَقَامٍ وَاحد، فَأُمِرْتُ أَنْ آخُذَ الْبَيْعَةَ مِنْكُمْ وَالصَّفْقَةَ لَكُمْ بِقَبولِ مَا جِئْتُ بِهِ عَنِ اللهِ عزَّوَجلَّ في عَلِيٍّ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَالأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ الَّذينَ هُمْ مِنِّي وَمِنْهُ إمَامَةً فيهِمْ قَائِمَةً، خَاتِمُهَا الْمَهْدِيُّ إلى يَوْمٍ يَلْقَى اللهَ الَّذي يَقْضي بالحَقِّ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، وَكُلُّ حَلاَلٍ دَلَلْتُكُمْ عَلَيْهِ، وَكُلُّ حَرَامٍ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ؛ فَإنِّي لَمْ أَرْجِعْ عَنْ ذلِكَ وَلَمْ أُبَدِّلْ. أَلاَ فَاذْكُرُوا ذَلِكَ وَاحْفَظُوهُ وَتَوَاصَوْا بِهِ، وَلاَ تُبَدِّلُوهُ وَلاَ تُغَيِّرُوهُ. أَلاَ وَإنِّي أُجَدِّدُ الْقَوْلَ: أَلاَ فَأَقيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأْمُروا بِالْمَعْروفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ. أَلاَ وَإنَّ رَأْسَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهي عَنِ الْمُنْكَرِ أَنْ تَنْتَهُوا إلى قَوْلي وَتُبَلِّغوهُ مَنْ لَمْ يَحْضُرْ، وَتَأْمُرُوهُ بِقَبُولِهِ عَنّي، وَتَنْهَوْهُ عَنْ مُخَالَفَتِهِ فَإنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَمِنّي. وَلاَ أَمْرَ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ نَهْيَ عَنْ مُنْكَرٍ إلاَّ مَعَ إمَامٍ مَعْصُوم.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، الْقُرآنُ يُعَرِّفُكُمْ أَنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ وُلْدُهُ، وَعَرَّفْتُكُمْ أَنَّهُمْ مِنّي وَأَنَا مِنْهُ، حَيْثُ يَقُولُ اللهُ في كِتَابِهِ: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً في عَقِبِهِ)، وَقُلْتُ: (لَنْ تَضِلُّوا مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا). مَعَاشِرَ النَّاسِ، التَّقْوَى، التَّقْوَى، وَاحْذَرُوا السَّاعَةَ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظيمٌ). أُذْكُرُوا الْمَمَاتَ وَالْمَعادَ، وَالْحِسَابَ وَالْمَوَازينَ، وَالمحَاسَبَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ. فَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ أُثيبَ عَلَيْهَا، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَيْسَ لَهُ فِي الْجِنَانِ نَصيبٌ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إنَّكُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُصَافِقُوني بِكَفٍّ وَاحِدٍ، وَقَدْ أَمَرَنيَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ آخُذَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الإقْرَارَ بِمَا عَقَدْتُ لَعَلِيٍّ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ، وَلِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الأَئِمَّةِ مِنّي وَمِنْهُ، عَلَى مَا أَعْلَمْتُكُمْ أَنَّ ذُرِّيَّتي مِنْ صُلْبِهِ. فَقُولُوا بِأَجْمَعِكُمْ: «إنَّا سَامِعُونَ مُطيعُونَ رَاضُونَ مُنْقَادُونَ لِمَا بَلَّغْتَ عَنْ رَبِّنَا وَرَبِّكَ في أَمْرِ إمَامِنَا عَلِيٍّ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَأَمْرِ وُلْدِهِ مِنْ صُلْبِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ. نُبَايِعُكَ عَلَى ذلِكَ بِقُلُوبِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَلْسِنَتِنَا وَأَيْدينَا. عَلَى ذَلِكَ نَحْيى وَعَلَيْهِ نَمُوتُ وَعَلَيْهِ نُبْعَثُ. وَلاَ نُغَيِّرُ وَلاَ نُبَدِّلُ، وَلاَ نَشُكُّ وَلاَ نَجْحَدُ وَلاَ نَرْتَابُ، وَلاَ نَرْجِعُ عَنِ الْعَهْدِ وَلاَ نَنْقُضُ الْمِيثَاقَ.

نُطيعُ اللهَ وَنُطيعُكَ وَعَلِيّاً أَميرَ الْمُؤْمِنينَ وَالأَئِمَّةَ الَّذينَ ذَكَرْتَهُم مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ وُلْدِهِ بَعْدَهُ، الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ.... فَالْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ لَهُمْ مَأْخُوذٌ مِنَّا، مِنْ قُلُوبِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَلْسِنَتِنَا وَضَمَايِرِنَا وَمُصَافَقَةِ أَيدينَا. مَن أَدرَكَهَا بِيَدِه وَإلاَّ فَقَد أَقَرَّ بِلِسَانِهِ وَلاَ يَبغي بِذلِكَ بَدَلاً وَلاَ يَرَى اللهُ مِنْ أَنْفُسِنَا عَنْهُ حِوَلاً أَبداً. نَحْنُ نُؤَدّي ذلِكَ عَنْكَ، الدَّاني وَالْقَاصي مِنْ أَوْلاَدِنَا

وَأَهَالينَا، وَنُشْهِدُ اللهَ بِذلِكَ وَكَفى بِالله شَهيداً وَأَنْتَ عَلَيْنَا بِهِ شَهيدٌ»... مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَا تَقُولُونَ؟ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ كُلَّ صَوْت وَخَافِيَةَ كُلِّ نَفْس، (فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا)، وَمَنْ بَايَعَ فَإِنَّمَا يُبَايِعُ الله، (يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ).

مَعَاشِرَ النَّاسِ، فَاتّقُوا الله وَبَايِعُوا عَلِيّاً أَميرَ الْمُؤْمِنينَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالأَئِمَّةَ كَلِمَةً طيّبةً بَاقِيَةً؛ يُهْلِكُ اللهُ مَنْ غَدَرَ وَيَرْحَمُ مَنْ وَفى. (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهُ فَسَيُؤْتيهِ أَجْراً عَظيماً).

مَعَاشِرَ النَّاسِ، قُولُوا الَّذي قُلْتُ لَكُمْ وَسَلِّمُوا عَلَى عَلِيٍّ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنينَ، وَقُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصيرُ، وَقُولُوا: الْحَمْدُ لله الَّذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدانَا اللهُ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ فَضَائِلَ عَلِيِّ بْنَ أَبي طَالِب عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ـ وَقَدْ أَنْزَلَهَا فِي الْقُرآنِ ـ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَهَا فِي مَقَامٍ وَاحِد، فَمَنْ أَنْبَأَكُمْ بِهَا وَعَرَّفَهَا فَصَدِّقُوهُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسولَهُ وَعَلِيّاً وَالأَئِمَّةَ الَّذينَ ذَكَرْتُهُمْ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظيماً. مَعَاشِرَ النَّاسِ، السَّابِقُونَ إِلى مُبَايَعَتِهِ وَمُوَالاَتِهِ وَالتَّسْليمِ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنينَ أُولئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعيمِ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، قُولُوا ما يَرْضَى اللهُ بِهِ عَنْكُمْ مِنَ الْقَوْلِ، فإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَميعاً فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً. اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنينَ وَاغْضَبْ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ» [1].

(١) الاحتجاج: ج١/ ص٥٩.